الدكتور حسّان شمسي باشا

سَهرة عائليّة

في رياض الجنة



سَهرة عائليّة
في رياض الجنة

الدكتور حسّان شمسي باشا

استشاري أمراض القلب
في مستشفى الملك فهد للقوات المسلحة بجدة
زميل الكليات الملكية للأطباء في لندن وغلاسجو وايرلندا
زميل الكلية الأمريكية لأطباء القلب





الطبعة السابعة
١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

الفهرس

❀ ❀ ❀

إهداء

إلى كل أسرةٍ
تنشد السعادة والهناء
وتسعى لروضةٍ غنّاء
في جنة خلدٍ
عند مليك الأرض والسماء
إلى كل أسرة
تطلب علماً في لقاء
دقائق معدودة
في كل مساء
إلى كل من يبتغي
قطف زهرةٍ
من هذه الباقة الفيحاء
ويرتجي رشف فكرةٍ
من شَهْد الصفاء والنقاء
ويروم حذْوَ سيرةٍ
نحو السمو والعلياء
أُهدي جهد عبد ضعيفٍ
وكلي رجاء
أن أنال من الله قبولاً
وحسنَ جزاء

حسان

من مَعِينْ النُّبُوَّةِ

عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال:

قال رسول الله ﷺ: **«إذا مَرَرْتُم بِرِياضِ الجَنَّةِ فارْتَعُوا»**.

قالوا: وما رياضُ الجَنَّةِ؟.

قال: **«حِلَقُ الذِّكْرِ»**.

[السلسلة الصحيحة، للألباني (٢٥٦٢)]

❁ ❁ ❁



وعن عبد الله بن عبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قال:

قال رسول الله ﷺ: **«إذا مررْتُم بِرِياضِ الجَنَّةِ فارْتَعُوا»**.

قالوا: وما رياضُ الجَنَّةِ؟.

قال: **«مجالسُ العِلْمِ»**.

[رواه الهيثمي في مجمع الزوائد، ضعيف الجامع (٧٠٠)]

❁ ❁ ❁

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

يقول المثل: «ربُّوا آباءكم قبل أن تُربُّوا أبناءكم»..

فتربية الآباء مقدَّمة على تربية الأبناء.. وكل واحد منَّا سيكون أباً أو أمّاً بإذن الله.

أجل.. إن أنت أحسنتَ تربية الآباءِ والأمهات؛ خرج جيل يعرف طريق الحقِّ، وتربَّى على الخُلُق السليم.

يروى: أن رجلاً أحضر ابنه البكر إلى قاضي المدينة، وقال:

إن ابني عاقٌّ.. يشرب الخمر، ولا يصلّي الفرائض الخمس.

فأنكر الابنُ ما ادّعاه والده، وقال: إنني يا سيدي القاضي أداوم على الصلاة.

فقال والده: أتكون صلاة بغير قراءة؟!.

قال الولد: إنني أقرأ القرآن يا سيدي القاضي!..

قال القاضي: اقرأ بعض الآيات حتى أسمع.

فقال الولد هذين البيتين وهو يظن أنهما آيات في القرآن:

عَلَقَ القَلْبُ الرَّبَابَا بعدَمَا شابَتْ وشَابَا

إنَّ دِينَ اللَّهِ حَقٌّ لا أرى فِيهِ ارْتِيَابَا

فقال أبوه: والله إنه لم يتعلَّم هذه الآيات إلا البارحة.. فقد سرق مصحف الجيران وحفظ هذا منه!..

إذا كانت هذه القصةُ تُروى على سبيل الدعابة؛ فإنك تجد ـ للأسف ـ أمثالها كثيراً في مجتمعات المسلمين.

فإذا كان الأبوان لا يعلمان من هو صديق ابنهما، أو صديقة ابنتهما!.. وإذا كانا لا يعلمان ما يحيِّر بال أبنائهما، أو يشغل فكر بناتهما!..

وإذا كانا لا يتكلَّمان مع أبنائهما وبناتهما إلا مرة في الشهر!..

وإذا كانا لا يهتمَّان بشؤون أسرتهما، ولا يدريان أين يقضي أولادهما وبناتهما أوقاتهم.

إذا كان هذا ديدنهما في كلِّ تلك الأمور؛ فهما كذاك الذي ورد في القصة السابقة.

❁ ❁ ❁

وإذا كانت أمة ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ ـ للأسف ـ لا تقرأ.. فإن هذا الكتاب قد وُضع حتى للذين لا يقرؤون إلا النذر القليل.

ابتغيتُ من هذا الكتاب أن يكون فرصة لكي يجتمع فردان أو أكثر من أفراد العائلة، يقرؤون صفحتين فقط في كل ليلة، ولا يستغرق ذلك أكثر من خمس دقائق، ومن شاء أن يقرأ المزيد فبارك الله فيه، وزاده علماً ورفعة.

يغطِّي هذا الكتاب نصف عام، وسيليه بإذن الله تعالى كتاب آخر بعنوان «**عندما يحلو المساء**» يغطي النصف الآخر من العام.

نريد أن تعود للبيوت سهراتها؛ لا مع الفضائيات والإنترنت، ولكن في ظلال وارفة من المحبة؛ من التفاهم والحوار؛ وتبادل المشاعر

والآراء. . . نريد أنَّ نرى الأسرة مجتمعة ـ أو على الأقل بعض أفرادها ـ ولو لدقائق معدودات، أقفل التلفاز خلالها، وافتح حديثاً مع أبنائك أو إخوانك وأخواتك!. .

اجعل سهرتك روضة من رياض الجنة؛ فمجالس العلم وحلقات الذكر ـ كما ورد في الأثر ـ روضة من رياض الجنة.

ألا يستطيع أحد الأبناء أو البنات أن يأخذ صفحتين من الكتاب؛ يلخصهما بدقيقتين، تكون أساساً لفتح حوار عائلي هادئ؟!. .

ألم يقل الرسول عليه الصلاة والسلام: «**بلِّغوا عني ولو آية**»[(١)]؟!.

أيعجز أحدنا عن تبليغ آية أو حديث شريف؟!.

والكتاب مليء بالآيات والأحاديث الشريفة؛ إضافة إلى درر ثمينة من القصص والحكم والأشعار. . وأقسم أني ما كتبتُ كلمة في هذا الكتاب إلا وابتغيتُ من ورائها وجه الله.

أسأل الله تعالى أن يجعل هذا الكتاب عملاً خالصاً لوجهه الكريم. . وأن يكتب الثواب لكاتبه وقارئه وناشره. .

اللهمَّ هذا عملي؛ فإن وُفِّقتُ فمنك وحدك، وإن قصَّرتُ فمني ومن الشيطان. .

وآخر دعوانا أن الحمدُ لله ربِّ العالمين.

حمص: غرة رمضان ١٤٢٩هـ
الموافق ١ أيلول (سبتمبر) ٢٠٠٨م

الدكتور حسان شمسي باشا

---

(١) رواه البخاري والترمذي.

الليلة ١

هل تريد النجاح؟ (١)

كلنا يريد النجاح في الحياة، ولكن البعض منَّا يخفق في الوصول إليه؛ لأنه يظن أنَّ النجاح كلمة مستحيلة صعبة المنال.. والحقيقة أننا ربَّما نكون قد أهملنا أسباب النجاح، وأخلدنا إلى الأرض، فزادتنا هواناً على هوان.

والنجاح هو طموحك من الحسن إلى الأحسن، فالكمال لله تعالى وحده، وإذا سمعتَ أحداً يقول لك: «وصلت إلى غايتي في الحياة»؛ فاعلم أنه قد بدأ بالانحدار!.. وعلى الإنسان السعي نحو النجاح، والله تعالى لا يضيع أجر العاملين، يقول بديع الزمان الهمذاني:

وعليَّ أنْ أسعى وليس عَلَيَّ إدراكُ النجاحِ

وإليك هذه الوصايا لمن أراد أن يقطف ثمار النجاح من بستان الحياة.. وما هي إلا دعوة للوصول إلى الفلاح في الدارين، إذ ما قيمة نجاح الدنيا، إن كان في الآخرة خسران مبين؟!..

١ ـ عليك بتقوى الله تعالى فهي خير زاد، وأفضل وصية؛ فالله تعالى يقول: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢ ـ ٣]، ويقول تعالى أيضاً: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤].

٢ ـ املأ قلبك بمحبة الله ورسوله ﷺ، ثمَّ محبة أبويك ومَنْ حولك؛ فالحب يجدِّد الشباب، ويطيل العمر، ويورث الطمأنينة.. والكراهية تملأ القلوب تعاسة وشقاء.. اجعل في بيتك ما يكفيك من حب أهلك وعائلتك؛ فالحب يضمِّد الجِراح، ويبعث في القلب حرارة الألفة والمودَّة.

٣ ـ اجعل حبَّك لنفسك يتضاءل أمام حبِّك لغيرك؛ فالله تعالى يقول:

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]، والسعداء يوزعون الخير على الناس، فتتضاعف سعادتهم.. والأشقياء يحتكرون الخير لأنفسهم، فيختنق في صدورهم.. اجعل قلبك مليئاً بالحب والتسامح والحنان؛ فالأشقياء هم الذين امتلأت قلوبهم حقداً وكراهية ونقمة.

٤ ـ لا تذرف الدموع على ما مضى، فالذين يذرفون الدموع على حظِّهم العاثر لا تضحك لهم الدنيا، والذي يضحكون على متاعب غيرهم، لا ترحمهم الأيام.. لا تبكِ على اللبن المسكوب، بل ابذل جهداً إضافيّاً حتى تعوِّض اللبن الذي ضاع منك.

وتذكَّر قول رسول الله ﷺ: «**وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت؛ كان كذا وكذا، ولكن قل: قدَّر الله وما شاء فعل، فإن (لو) تفتح عمل الشيطان**»[١].

٥ ـ اجعل نفسك أكثر تفاؤلاً؛ فالمتفائل يتطلَّع في الليل إلى السماء، ويرى حنان القمر، والمتشائم ينظر إلى السماء ولا يرى إلا قسوة الظلام.. كن أكثر تفاؤلاً ممَّا أنت عليه، فالمتفائل يجذب إليه محبة الآخرين، والمتشائم يطردها عن نفسه.. يقول الحليمي: «كان النبي ﷺ يعجبه الفأل، لأن التشاؤم سوء ظن بالله تعالى، والتفاؤل حسن ظن به، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله تعالى على كل حال».

فعن معاوية بن الحكم رضي الله عنه، قال: قلت: يا رسول الله، منَّا رجال يتطيَّرون! فقال: «**ذلك شيء يجدونه في صدورهم، فلا يصدّنهم**»[٢].

❁ ❁ ❁

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

الليلة ٢

هل تريد النجاح؟ (٢)

٦ ـ كن أكثر إنصافاً للناس ممَّا أنت عليه؛ فالظلم يقصّر العمر، ويُذهب النوم من العيون، ونحن نفقد الذين نحبُّهم لأننا نظلم ونغالط في حسابهم؛ نركِّز حسابنا على أخطائهم، وننسى فضائلهم، نطالبهم بأن يكونوا خالين من كل عيب، ونبرر أخطاءنا بحجة أننا بشر غير معصومين.

٧ ـ إذا رماك الناس بالطوب؛ فاجمع هذا الطوب لتسهم في تعمير بيت.. وإذا رموك بالزهور؛ فوزِّعها على الذين علّموك؛ الذين أخذوا بيدك وأنت تكافح عند سفح الجبل.

٨ ـ كن واثقاً بالله تعالى أولاً ثم بنفسك، وتعرَّف على عيوبك، وتيقَّن أنك لو تخلصت من عيوبك لكنت أكثر قرباً من أحلامك.. تذكر أخطاءك لتتخلص من عيوبك، وانسَ أخطاء إخوانك وأصدقائك كي تحافظ عليهم، واعلم أن من سعادة المرء اشتغاله بعيوب نفسه عن عيوب غيره.

٩ ـ إذا نجحتَ في أمر؛ فلا تدعِ الغرور يتسلَّل إلى قلبك، فالله تعالى يقول: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢]. والرسول عليه الصلاة والسلام يقول: «**وإن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد**»[١].

وإذا وقعت على الأرض فلا تدع الجهل يوهمك أن الناس قد حفروا لك الحفرة، حاول الوقوف من جديد، وافتح عينيك وعقلك كي لا تقع في حفر الأيام ونكبات الليالي.. وإذا وقعت فتعلَّم كيف تقف لا كيف

(١) رواه مسلم.

تجزع، وإذا وقفت فتذكَّر الواقعين على الأرض، لتنحني لهم وتساعدهم على الوقوف.

١٠ ـ إذا انتصرتَ على خصومك فلا تشمت بهم، وإذا أصيبوا بمصيبة فشاركهم ولو بالدعاء؛ فالله تعالى يقول: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣]، ولقد كان من دعاء النبي ﷺ قوله: «**اللهمَّ لا تشمت بي عدوّاً حاسداً**»، وقال عليه الصلاة والسلام: «**لا تُظهر الشماتة لأخيك، فيرحمه الله ويبتليك**»[(١)].

١١ ـ لا تجمع بين القناعة والخمول، ولا بين العزة والغرور، ولا بين التواضع والمذلة؛ قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ تواضع لله رفعه الله حتى يجعله في أعلى عليين**»[(٢)].

١٢ ـ اختر لنفسك من الصالحين صديقاً واحرص عليه؛ فالرسول ﷺ يقول: «**الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل**»[(٣)].. لا تعاتبه في كل صغيرة وكبيرة، وغضَّ الطرفَ عن زلّاته، فإن الكمال لله تعالى وحده..

١٣ ـ لا تخاصم الآخرين، فالخصام يمزق حبل الصداقة، ويخلق سدوداً وهمية بين الأرواح.. فالسعداء لا تضيق صدورهم، وهم يتسامحون مع غيرهم ويحتملون عيوبهم.. وانسَ إساءة الناس وتذكَّر جميلهم.

١٤ ـ تسامح مع الذين أخطؤوا في حقِّك، والتمس لهم الأعذار، قال رسول الله ﷺ: «**أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم؟!.. كان إذا خرج من بيته قال: إني تصدقت بعرضي على الناس**»[(٤)].

---

(١) رواه الترمذي.
(٢) رواه ابن ماجه.
(٣) رواه الترمذي.
(٤) رواه أبو داود.

الليلة
٣

هل تريد النجاح؟ (٣)

١٥ ـ أعطِ الآخرين من قلبك وعقلك ومالك ووقتك، ولا تقدم لهم فواتير الحساب.. وإذا ساعدتَ غيرك فلا تطلب من الناس أن يساعدوك، وليكن عملك خالصاً لوجه الله تعالى.. وإذا أنت أسديت جميلاً إلى إنسان فحذار أن تذكره، وإن أسدى إنسان إليك جميلاً فحذار أن تنساه؛ قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

١٦ ـ اعتبر كلَّ فشل يصادفك إحدى تجارب الحياة التي تسبق كلَّ نجاح وانتصار؛ فالليل مهما طال فلا بد من بزوغ الفجر، قال أحدهم: النجاح سلالم لا تستطيع أن ترتقيها ويداك في جيبك!..

١٧ ـ احمد الله تعالى على طبق الفول، ولا تلعن الأيام لأنها لم تقدم لك طبق الكافيار في كل يوم.. كن قنوعاً، وإياك والحسد، فالله تعالى قد اختص أناساً بنعمة أسداها إليهم، فلا تتمنَّ زوال النعمة عن الآخرين، بل اسأل الله تعالى من فضله.

١٨ ـ لا تنسَ في كل يوم أن تطلب من الله العفو والعافية؛ ففي الحديث الذي رواه الترمذي، يقول النبي ﷺ: «**اسألوا الله العفو والعافية؛ فإن أحداً لم يعطَ بعد اليقين خيراً من العافية**»[1].

١٩ ـ اسأل الله تعالى علماً نافعاً، ورزقاً واسعاً؛ فالعلم هو الخزانة التي لا يتسلل إليها اللصوص.. وألف دينار في يد الجاهل تصبح حفنة من التراب، وحفنة من التراب في يد متعلِّم تتحوَّل إلى ألف دينار؛ قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لرجل من أصحابه: «يا كميل، العلم خير من

(١) رواه الترمذي.

المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والعلم حاكم والمال محكوم عليه، والمال تنقصه النفقة، والعلم يزكو بالإنفاق».

والعلم يحطّم الغرور؛ والغرور هو قشرة الموز التي تتزحلق بها وأنت تتسلَّق جبل النجاح؛ يقول رسول الله ﷺ: «**سلوا الله علماً نافعاً، وتعوَّذوا بالله من علم لا ينفع**»[١].

٢٠ ـ حاول أن تسعد كلَّ من حولك، لتسعد ويسعد الآخرون من حولك؛ فأنت لا تستطيع الضحك بين الدموع، ولا الاستمتاع بنور الفجر وحولك من يعيش في الظلام.. وسعادة الإنسان تتضاعف بعدد الذين ينجح في إسعادهم.. وإذا اتسع رزقك، فحاول أن تسعد الناس ببعض مالك، وإذا ضاق رزقك، فحاول أن تسعدهم بالكلمة الطيبة.

٢١ ـ حاول أن تتذكَّر الذين ساعدوك في أيام محنتك، والذين مدُّوا إليك أيديهم وأنت تتعثَّر، والذين وقفوا معك عندما أدارت لك الدنيا ظهرها، والذين أخرجوك من وحدتك يوم تخلَّى عنك بعض من حولك.. قال عليه الصلاة والسلام: «**من لا يشكر الناس لا يشكر الله**»[٢]، وقال عليه الصلاة والسلام: «**من صنع إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه**»[٣].

٢٢ ـ حاول أن تتذكر أسماء الذين أسأت إليهم من غير قصد، اسأل الله تعالى أن يعفو عنك، وادعُ الله لهم أن يطلبوا منه الغفران لك، ولا تحاسب الناس؛ فحسابهم إضاعة للوقت.

❁ ❁ ❁

(١) رواه ابن ماجه.
(٢) رواه الترمذي.
(٣) رواه أبو داود.

الليلة
٤

هل تريد النجاح؟ (٤)

٢٣ ـ خذ بيد الضعيف حتى يستردَّ قوته، وقف بجانب اليائس حتى يبصر بارقة الأمل، وكن مع الفاشل حتى يدرك طريق النجاح.. حاول أن تضمِّد جراح بعض الناس، وتسهم في ترميم بيوت آيلة للسقوط.. وتأمَّل قول المصطفى ﷺ في تجسيد العلاقة القائمة بينك وبين الآخرين: «**المؤمن مرآة المؤمن، والمؤمن أخو المؤمن، يكف عليه ضيعته ويحوطه من ورائه**»[1].

٢٤ ـ إذا زحف الظلام، فكن أحد حملة الشموع، لا أحد الذين يقذفون الفوانيس بالحجارة.. وإذا جاء الفجر، فكن مِنْ بين الذين يستقبلون أشعة النهار، لا أحد الكسالى الذين لا يدركون شروق الشمس.

٢٥ ـ حاول أن تسدِّد بعض ديون الناس عليك؛ فبعضهم أعطاك خلاصة تجاربه خلال أعوام من الزمان مضت، وبعضهم أعطاك ثقته، فلم تقف وحدك في مواجهة عواصف الحياة، وبعضهم أضاء لك شمعة وسط الظلام، فأبصرت الطريق في النهار، وبعضهم ملأ عقلك، وآخرون ملؤوا قلبك.. وأعظم من ذلك شكر المولى تعالى المتفضل عليك بالنعم كلِّها.

٢٦ ـ إذا اقتربتَ من قمة الجبل، فلا تدع الغرور يفقدك صوابك، ولا تتوهَّمْ أن الذين يقفون عند السفح هم أقزام؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨].

ولقد سئل الحسن البصري عن التواضع، فقال: التواضع هو أن تخرج من منزلك ولا تلقى مسلماً إلا رأيت له عليك فضلاً.

---

(١) رواه أبو داود، وحسنه الألباني.

٢٧ ـ لا تفتِّش عن عيوب الآخرين؛ قال رسول الله ﷺ: «**إذا قال الرجل: هلك الناس؛ فهو أهلكهم**»(١).

٢٨ ـ لا تجعل لليأس طريقاً إلى قلبك، فاليأس يغمض العيون؛ فلا ترى الأبواب المفتوحة ولا الأيدي الممدودة؛ قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

٢٩ ـ أيقن بأنك إذا أتقنت عملك وأحببته وتفانيت فيه؛ تستطيع أن تحقق ما عجز عنه الآخرون، ولا تنسَ حديث رسول الله ﷺ: «**إن الله يحبُّ إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه**»(٢).

٣٠ ـ تذكَّر أن المؤمن يحتمل الجوع، ويحتمل الحرمان، ويحتمل العيش في العراء، ولكنه لا يستطيع أن يعيش ذليلاً.. والله تعالى يقول: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

٣١ ـ حاسب نفسك قبل أن تحاسب، وأحصِ أعمالك قبل أن تُحصى عليك؛ قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا فإنه أهون لحسابكم، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وتجهَّزوا ليوم تعرضون فيه لا تخفى منكم خافية».

❁ ❁ ❁

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أبو يعلى.

الليلة
٥

حسنةٌ تُنقذك من النار (١)

تخيَّلْ أخي الحبيب أنك في يوم الحساب؛ وقد تساوت حسناتك مع سيئاتك، ووجدتَ أنه لا بدَّ لك من البحث عن حسنةٍ واحدة كي تزحزحك عن عذاب النار!..

فأنت الآن على استعداد لتبذل كلَّ ما تملك للحصول على تلك الحسنة! فتسعى في ذلك اليوم الطويل؛ اليوم الذي مقداره خمسون ألف سنة.. والذي تدنو فيه الشمس من رؤوس العباد قدر ميل؛ يُطفأ نورها ويُضاعف حرُّها..

أنت في هلع شديد، وخوف قاتل؛ مع مليارات البشر العراة في ذلك الوقت.

وفي ذلك الخضمِّ الهائل من البشر؛ تبحث عن والدك العطوف كي تسأله تلك الحسنة التي بها سوف يرجح ميزان حسناتك فتنجو من النار...

تبحث عنه، وتسأل.. وكلٌّ في شغل شاغل عنك.. كلٌّ يريد أن ينجو بنفسه.. وكلٌّ يبحث عما تبحثُ عنه!..

تخيَّل كم ستستغرق من الزمن كي تجده بين هؤلاء البشر!..

وكم ستكون فرصتك لو وجدته وأخذتَ منه تلك الحسنة!.. تظن أن والدك العطوف ـ الذي كان يُغدق عليك الأموال في الدنيا ـ لن يبخل عليك الآن بتلك الحسنة! ولكن اليأس يدبُّ إلى قلبك عندما تسمع منه تلك العبارة: نفسي.. نفسي.

فتخطر ببالك أمك الرؤوم التي حرمت نفسها الكثير في الدنيا لتعطيك! تبحث عنها في ذلك الحر والعرق الذي يسيل منك.. تستعطفها لعلَّها تجود

عليك بتلك الحسنة؛ حسنة واحدة كنتَ مستغنياً عنها في الدنيا.. ولكنها تقول لك: نفسي.. نفسي.. لا أوثرك اليوم على نفسي.

فتتذكَّر زوجتَك الحبيبة، التي طالما أغدقت عليها من الدلال والملبس والمأكل.. وكم من السنين الطوال تستغرق في سبيل البحث عنها؟ وما إن تجدها حتى تسمع منها الإجابة نفسها.

فتذهب إلى كلِّ من يخطر ببالك تستنجد به؛ إلى ولدك.. إلى ابنتك.. إلى أخيك وأختك.. وفي كلِّ مرة تسمع الإجابة نفسها: نفسي.. نفسي.. سنين طوال وأنت تبحث عن حسنة واحدة فلا تجدها؛ وكنت تستطيع أن تحصل على العديد من تلك الحسنات في الدنيا في أقل من دقيقة واحدة!..

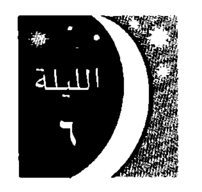
أرأيت كيف أصبحت سوق الحسنات الآن غالية؟!..

ولنفترض أنك قد حصلت على تلك الحسنة عند أحدهم؛ فكم أنت على استعداد أن تدفع مقابل تلك الحسنة؟ ألست مستعدّاً لتدفع كلَّ ما تملك من غالٍ ونفيس في سبيلها؟ نعم، كيف لا وبعدها تدخل الجنة وتنجو من النار؟![1].

يقول الله تعالى في شأن الكفار: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٣٦].

❀ ❀ ❀

(١) الاستثمار الأمثل، د. عبد الله بهجت، وإيمان كردي، (بتصرف).



حَسَنةٌ تُنقذك من النار (٢)

لعلّك لا تكاد تصدِّق أن تلك الحسنة التي كانت حقيرة في عينيك سوف يأتي عليها يوم العرض الأكبر فتساوي الدنيا وما فيها.

فيا من كنت تخاطر بأموالك في تجارة غير مؤكدة الربح؛ أليست التجارة مع الله هي التجارة الأمثل؟!..

فسارع باقتناء تلك الحسنات.. أقدم ولا تتردد..

يقول الشيخ محمد الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أعرف كثيراً من الناس لا يعوزهم الرأي الصائب، فلهم من الفطنة ما يكشف خوافي الأمور، بَيْدَ أنهم لا يستفيدون شيئاً من هذه الفطنة؛ لأنهم محرومون من قوة الإقدام، فيبقون في مكانهم محسورين؛ بين مشاعر الحيرة والارتباك»[(١)].

أليس هذا الخوف من الإقدام على الحسنات هو بسبب الأهواء التي تملكت قلوبنا، فأصبحنا نخطئ ونظن أننا من الذين أحسنوا صنعاً؟! أتخاف ـ إن أنفقت في سبيل الله ـ أن تذهب الدنيا من بين يديك؟! كلا.. بل سنربح الاثنتين معاً: الدنيا والآخرة.

فعن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن رجلاً تصدَّق بناقة مخطومة في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: **«ليأتينَّ يوم القيامة بسبعمئة ناقة مخطومة»**[(٢)].

فكم يحتاج استثمار أموالنا في الدنيا إلى جهد وتفكير؟ وبعد ذلك لا نعلم إن كنّا سنربح أم نكون من الخاسرين؟!.

---

(١) محمد الغزالي، جدد حياتك.

(٢) رواه النسائي، وقال الألباني: صحيح.

أما تجارة الحسنات؛ فليست صعبة أبداً، وقد تكسبها وأنت جالس في مكانك!..

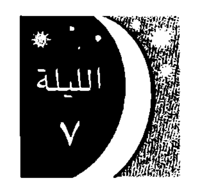
ففي دقيقة واحدة تستطيع أن تكسب كنوزاً لا تُحصى؛ تستطيع أن تقرأ سورة الإخلاص: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ خمس عشرة مرة؛ والرسول عليه الصلاة والسلام يقول: «**والذي نفسي بيده؛ إنها لتعدل ثلث القرآن**»[1].

وفي دقيقة واحدة تستطيع أن تقول: «**سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضا نفسه، وزِنَة عرشه، ومداد كلماته**» عشر مرات.

وفي دقيقة واحدة تستغفر الله تعالى أكثر من سبعين مرة؛ والاستغفار سبب لدخول الجنة.

❁ ❁ ❁

(١) رواه البخاري.



ذنبٌ يرفع.. وذنبٌ يضع!

يقول ابن عطاء: قد يعمل العبد الذنب فيدخل به الجنة.. ويعمل الطاعة فيدخل بها النار!.

قالوا: وكيف ذلك؟.

قال: يعملُ الذنبَ فلا يزالُ يذكُر ذنبه، فيحدِثُ له انكساراً وذُلّاً ونَدماً، ويكون ذلك سبب نجاته!..

ويعمل الحسنةَ فلا تزالُ نُصبَ عينيه؛ كلما ذكرها أورثتْهُ عُجْباً وكِبْراً ومِنَّة على الآخرين؛ فتكون سبب هلاكه!..

روي عن الإمام مالك: أنه كان يقول: «لا تنظروا في **ذنوب الناس** كأنكم أرباب، وانظروا في **ذنوبكم** كأنكم عبيد؛ فارحموا أهل البلاء، واحمدوا الله على العافية».

وإياك أن تقول: هذا من أهل النار.. وهذا من أهل الجنة.. لا تتكبَّر على أهل المعصية، بل ادعُ الله لهم بالهداية والرشاد.

كان رجل من العصاة يغشى حدود الله في البلد الحرام، وكان رجل من الأخيار يذكّره بالله دائماً ويقول له: يا أخي اتقِ الله، يا أخي خَفِ الله.. كيف تفعل الفواحش والموبقات وأنت في أطهر بقعة من بقاع الأرض؟!..

وفي يوم من الأيام ذكّره بالله؛ فما التفت إليه، وردَّ عليه ردّاً سيِّئاً، فما كان من ذلك الرجل الصالح إلا أن استعجل وقال له: **إذن لا يغفر الله لمثلك** ـ لشدة ما وجد من غلظة الجواب ـ.

انهالت هذه الكلمة على العاصي كالضربة القاضية، وقال: الله لا يغفر لي؟! الله لا يغفر لي؟! سأريك أيغفر الله لي أم لا يغفر!..

يقول من حضر ذلك المشهد: لقد رأينا ذلك العاصي بعدها بساعات وقد اعتمر من التنعيم، وما أن انتهى من طوافه، حتى سقط مغشياً عليه.. ومات بين الركن والمقام!..

جاء في بعض الأخبار: «أن الله سبحانه وتعالى خاطب داود: يا داود! بشِّر المذنبين، وأنذر الصدِّيقين!..

فتعجب داود عليه السلام، فقال: يا رب! كيف أُبشِّر المذنبين، وأُنذر الصدِّيقين؟!.

فقال الله تعالى: يا داود! بشِّر المذنبين ألا يتعاظمني ذنب أغفره (أي: ليس هناك ذنب عظيم لا أغفره).. **وأنذر الصدِّيقين ألا يعجبوا بأعمالهم؛** فإني لا أَضعُ حسابي على أحد إلا هلك!..

يا داود! إنْ كنتَ تزعمُ أنك تحبني؛ فأخرج حبَّ الدنيا من قلبك، فإن حُبِّي وحبَّها لا يجتمعان في قلب واحد.

يا داود! من أحبَّني يتهجَّدُ بين يديّ إذا نام النائمون، ويذكرني في خلوته إذا لهى عن ذكريَ الغافلون، ويشكر نعمتي إذا غفل عني الساهون».

أما آن لمن عصى الله أن يقلع عن هواه، ويعود إلى مولاه؟!..

أَنَسِيَ الإنسان ما منَحَه الله وأعطاه؟!..

قم في الليل مناجياً ربك: اللهمَّ أنت الغفور، وأنا العاصي.. أنت الرحيم، وأنا الجاني.. ارحم خضوعي وذلَّتي بين يديك.

❊ ❊ ❊

الليلة ٨

مَنْ يشتري دموع عينيك؟

• يقول فرقد السبخي: بلغنا أن الأعمال كلها توزن؛ إلا الدمعة؛ تخرج من عين العبد من خشية الله؛ فإنه ليس لها وزن ولا قدر، وإنه ليُطفَأ بالدمعة البحور من النار!..

أرأيت إلى عظمة هذه الدمعة التي تذرفها وأنت تذكر الله أو تناجيه في هدأة الليل، وجنح الظلام؟!..

أرأيت إلى بحور النار تُطفأ بدمعة بكتْها عيناك من خشية الله؟!..

اذهب إلى السوق، واعرض على الناس دموع عينيك؛ أَتُراك تجد أحداً يشتريها منك؟!..

هذه الدمعة التي تطفئ بحور النار يوم القيامة؛ ليس لها عند الناس قيمة، ولكنها عند الله أمرٌ عظيم!..

ألم يقل الرسول ﷺ: **«عينان لا تمسُّهما النار أبداً: عيْن بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله»**[1].

• يقول المعضل بن مهلهل: بلغني أن العبد إذا بكى من خشية الله؛ مُلئتْ جوارحه نوراً، واستبشرتْ ببكائه، وأخذت يسأل بعضها بعضاً: ما هذا النور؟ فيقال لها: هذا حظُّكم من نور البكاء!..

فهل شعرْنا بهذا الإحساس يغمر جوارحنا ونحن نذرف دمعة حبٍّ وشوق لخالق الأكوان؟!.

• كان عطاء السلمي كثير البكاء من خشية الله؛ سُئل مرة: لِمَ تُكثر

---

(١) صحيح الجامع الصغير (٤١١٣).

البكاء؟ فقال: لِمَ لا أبكي ووثاق الموتِ في عنقي، والقبر منزلي، والقيامة موقفي، والخصوم حولي يقولون: إما إلى جنة وإما إلى نار؟!..

إذا ضاقت بك السبل، وشعرت أنك قد ضللت الطريق، وأجهشت بالبكاء متضرِّعاً لرب السماء؛ تذكَّر أن الله ينظر إليك، وأنه يسعى إليك ليتوب عليك، وليغفر ذنوبك ولو بلغت عنان السماء.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

❋ ❋ ❋

الليلة
٩

إيَّاك أن تستسلم..

● **قد تمرُّ بك لحظات ضعف**؛ فيخيل إليك أن قواك قد خارت، وأنه لم تَعُدْ فيك قدرة على المجاهدة والصبر ومواصلة العمل؛ فلا تستسلم لهذا الخاطر؛ فإن للنفوس إقبالاً وإدباراً؛ فلعلَّ ذلك الإدبار يعقبه إقبالٌ.

● **وقد تشعر أحياناً بإحباط**، وضعف في الثقة، وشعور بالنقص، وأنك لا تصلح لشيء من الأعمال؛ فلا تستسلم لهذا الشعور.. تذكَّر أن الإخفاق ليس عاراً إذا ما بذلت جهدك بإخلاص، وتذكَّر أن المرء لا يُعدّ مخفقاً حتى يقبل الهزيمة، ويتخلَّى عن المحاولة.

فحاول مرة بعد مرة، وأعد الكرّة بعد الكرّة، وستصل إلى مبتغاك ـ بإذن الله ـ.

● **وقد يعتريك شعور بالزهو والإعجاب**، فتشعر بأنك نسيج وحدك؛ فلا تحتاج إلى ناصحٍ أو مشير!..

فإذا مرَّ بك ذلك الخاطر فلا تستسلم له، ولا تركن إلى ما أوتيت من ذكاء وعلم.

إياك والغرور؛ فإنه قاتلك، وقد اغترَّ إبليس من قبلك فطُرد من رحمة الله.. تذكر ما فيك من نقص وضعف، وأيقن أن التوفيق من الله وحده.

● **وقد تهجم عليك الهموم**، وتتوالى عليك الغموم، فيخيَّل إليك أنها ستلازمك طوال عمرك، وتظن أن أيامك المقبلة أيام سوداء لا نور فيها؛ فلا تستسلم لهذا الخاطر، ولا تحسبنَّ الشر لا خير بعده، أو أنه لاصقٌ بك لا يزول؛ فإن مع العسر يسراً، إن مع العسر يسراً.

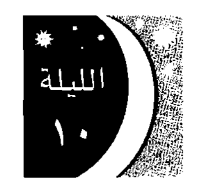
● **وقد تتحرَّى الصواب**، وتحرص كلَّ الحرص على ألَّا تخطئ في

حق أحد، ثم لا تلبث أن تقع في الهفوة تلوَ الهفوة؛ فلا تظنَّنَّ أن ذلك يبعدك عن الكمال والسعي إليه.

● **وقد تقع في الذنب إثر الذنب،** فيلقي الشيطان في روعك أن الخير منك بعيد، وأنك ممن كتبت عليه الشقاوة؛ فلا تستسلم لهذا الخاطر الشيطاني، وتذكَّر أن كل ابن آدم خطَّاء، وخير الخطائين التوابون، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١]، وبذلك تنقشع عنك غياهب اليأس[١].

❃ ❃ ❃

(١) لا تستسلم، للأستاذ محمد بن إبراهيم الحمد، (بتصرف).



توبة عاصٍ على يد ابنه الأصمِّ

يقول صاحب القصة؛ وهو من أهل المدينة المنورة:

أنا شاب في السابعة والثلاثين من عمري، متزوج، ولي أولاد.. ارتكبتُ كلَّ ما حرَّم الله من الموبقات؛ أما الصلاة فكنتُ لا أؤديها مع الجماعة إلا في المناسبات؛ وذلك أني كنتُ أصاحب الأشرار من الناس!.. كان لي ولد في السابعة من عمره؛ اسمه مروان، أصمُّ أبكم، لكنه قد رضع الإيمان من ثدي أمه حافظة القرآن.

وذات ليلة كنتُ أخطط ماذا سأفعل أنا والأصحاب.. لم يكن في البيت معي إلا مروان.. كان الوقت أذان المغرب، فإذا بابني مروان يكلِّمني (بالإشارة): يا أبتِ لِمَ لا تصلي؟ ثم أخذ يرفع يده إلى السماء، ويهدّدني بأن الله يراك!.. وكان ابني يراني أحياناً وأنا أفعل بعض المنكرات!..

دخل عليَّ ابني الأصم الأبكم وصلَّى المغرب، ثم أحضر المصحف الشريف، وفتحه مباشرة، ووضع أصبعه على هذه الآية من سورة مريم: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٥]، ثم أجهش بالبكاء.. وبكيت معه طويلاً، ثم قبَّل رأسي ويدي، وقال لي بالإشارة: صلِّ يا والدي قبل أن تُوضع في التراب، وتكون رهن العذاب!..

أصابني عندها خوف شديد، فقمت فوراً بإضاءة أنوار البيت جميعاً؛ فإذا به يقول: دع الأنوار، وهيا إلى المسجد الكبير (يقصد به المسجد النبوي الشريف).

أخذتُه إلى هناك وأنا في خوف شديد، دخلنا الروضة الشريفة وكانت

مليئة بالناس، وأُقيم لصلاة العشاء، وإذا بإمام الحرم يقرأ قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ [النور: ٢١].

لم أتمالك نفسي من البكاء، ومروان بجانبي يبكي لبكائي، وبعد الصلاة ظللتُ أبكي وهو يمسح دموعي!..

عدنا إلى المنزل، فكانت تلك الليلة من أعظم الليالي عندي، فلقد وُلدتُ فيها من جديد، دخلت فيها على باب الرحمن، وهجرتُ فيها طريق الشيطان..

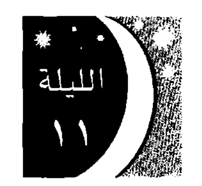
حضرت زوجتي وحضر أولادي، فأخذوا يبكون جميعاً وهم لا يعلمون شيئاً مما حدث.. فقال لهم مروان: أبي صلَّى في الحرم.

فرحتْ زوجتي بهذا الخبر فرحاً شديداً.

وأنا الآن ـ ولله الحمد ـ لا تفوتني صلاة الجماعة في المسجد، هجرتُ رفقاء السوء، وذقتُ طعم الإيمان..

أصبحت حياتنا في البيت حياة سعيدة بعد أن كانت نكداً وتعاسة، وزاد حبي لابني مروان؛ كيف لا وقد كانت هدايتي على يديه؟!..

* * *



اللذة تزول.. والإثم يبقى

يقول أحدهم: ليس عاراً على الإنسان أن يسقط أمام الألم، ولكن العار أن ينهار أمام اللذة!..

يروى عن علي ﷺ: أنه قال: إذا تلذذتَ في الإثم؛ فإن اللذة تزول، والإثمَ يبقى.. وإذا تعبتَ في البرِّ؛ فإن التعبَ يزول، والبرَّ يبقى!.

ولقد سألتُ الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله عن أجمل حكمة قرأها في حياته، فقال: لقد قرأتُ لأكثر من سبعين عاماً؛ فما وجدتُ حكمة أجمل من تلك التي رواها ابن الجوزي في كتابه (صيد الخاطر)؛ حيث يقول: «إن مشقة الطاعة تذهب ويبقى ثوابها، وإن لذة المعاصي تذهب ويبقى عقابها».

وفي هذا المعنى يقول كثيّر عزة:

تفنى اللذاذةُ ممَّنْ نالَ صفوتَها   مِنَ الحرَامِ ويبقَى الإثمُ والعارُ

وتذكَّر دوماً أن ليس هناك لذة تعدل لذة الانتصار على الذات أمام مغريات الحياة!..

ولكلِّ امرئ لذَّته:

فلذَّة العابدين.. في المناجاة.

ولذَّة العلماء.. في التفكُّر.

ولذَّة الأسخياء.. في الإحسان.

ولذَّة المصلحين.. في الهداية.

ولذة الأشقياء.. في المشاكسة.

ولذة اللئام.. في الأذى.

ولذة الضالين.. في الإغواء والإفساد.

فهلَّا توقفت لحظةً تسأل نفسك: أين أجد لذَّتي؟ فاللذة التي تجعل للحياة قيمة ليست حيازة الذهب، ولا شرف النسب، ولا علوَّ المناصب..

وإنما هي البصمة الخيِّرة التي تتركها أثراً خالداً من بعدك.. هي العمل الطيب الذي تعمله دون رياء، فيترك عند الناس الذكر الحسن.. هي علم ينتفع به، أو قرآنٌ علَّمته لأولادك فراحوا يرتلونه ويرسلون إليك بالثواب تنتفع به في حياتك وبعد مماتك.. هي سُنَّةٌ حسنة في فعل الخيرات سلكها من بعدك أُناس آخرون.. هي إضافة ترضي الله في أي مجال من مجالات الحياة.





الليلة ١٢

أيستقرضنا الله؟!

لـمَّـا نـزل قـول الله تـعـالـى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥]، قال أبو الدحداح: يا رسول الله! أيستقرضنا الله وهو الغني عن القرض؟!.

قال ﷺ: «**نعم؛ يريد أن يدخلكم الجنة به**».

قال: فإن أقرضتُ ربي قرضاً؛ أيضمنُ الله لي به ولصِبْيتي معي الجنة؟.

قال: «**نعم**».

قال: فناولني يدك..

فناوله رسول الله ﷺ يده، فقال: إن لي حديقتين؛ إحداهما بالسافلة، والأخرى بالعالية، والله لا أملكُ غيرهما، قد جعلتهما قرضاً لله تعالى.

قال رسول الله ﷺ: «**اجعل إحداهما لله، والأخرى دعها معيشة لك ولعيالك**».

قال: فإني أُشهدُك يا رسول الله! أني قد جعلتُ خيرهما، (أي: أحسنهما) لله تعالى.. وهو حائط (أي: بستان) فيه ستمئة نخلة.

قال: «**إذن يجزيك الله به الجنة**».

فانطلق أبو الدحداح إلى الحديقة (البستان)، وأم الدحداح جالسة فيها مع صبيانها، فناداها: يا أم الدحداح! اخرجي؛ فقد أقرضتُ ربي هذه الحديقة.

فماذا قالت أم الدحداح؟..

هل قالت: لا يا أبا الدحداح.. كيف تفعل هذا؟! أليس الأوْلى أن تتركها لصبيانك من بعدك؟! لماذا لم تتصدق بربعها، بنصفها، وتترك لنا النصف الآخر؟!..

لا والله ما قالت شيئاً من هذا!..

إنما قالت: ربح بيعك، بارك الله لك فيما اشتريت!.

ثم أقبلتْ على صبيانها تنفض ما في أكمامهم، وتُخرِجُ ما في أفواههم من التمر، وخرجتْ معهم ودخلت الحديقة الثانية!.

فقال النبي ﷺ: «**كم من عذق رداح (النخلة المثقلة بالتمر)، ودار فياح لأبي الدحداح!**».

لله درك يا أبا الدحداح! كيف استجبتَ لأمر الله بتلك السرعة الفائقة؟! وكيف قدَّمت بستانك الجميل المليء بشجر النخل صدقة لله، وطمعاً في جنته؟!.

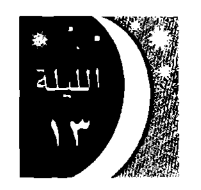
هل فكَّر طويلاً كما يفعل بعض الأغنياء عندما يأتيهم الثقات من الناس يطلبون المعونة في بناء مسجد أو مشروع من مشاريع الخير للمسلمين؟!..

هل طلب مديحاً أم قصيدة عصماء؟!..

لا والله! ولكنه فعله طلباً للجنة التي أعدَّها الله لعباده المخلصين.

هنيئاً لكَ يا أبا الدحداح مرتين: هنيئاً لكَ على صنيعك، وهنيئاً لكَ على هذه الزوجة الصالحة!.. هنيئاً لكِ يا أم الدحداح على ذلك الموقف العظيم، وبمثلكِ تقتدي نساء المسلمين.

❋ ❋ ❋



اللهمَّ أعطِ منفقاً خلَفاً

يقول عليه الصلاة والسلام: «**ما مِن يوم يصبح العباد فيه، إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعطِ منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعطِ ممسكاً تلفاً**»(١).

فهل تريد أن تكون أنت وأسرتك من الفريق الأول؟:

- ضع صندوقاً صغيراً ـ ويفضّل أن يكون شفافاً ـ في مكان بارز في البيت.
- ضع في هذا الصندوق مبلغاً يوميّاً ولو كان صغيراً.
- شجِّع أبناءك على أن يضعوا المبلغ بأنفسهم داخل الصندوق حتى تشركهم في الأجر، وتعوِّدهم على حب الخير.
- حاول أن توزِّع المبلغ المتجمِّع ـ كل شهر مثلاً ـ على المحتاجين بصحبة أبنائك؛ حتى يشعروا بلذة الإنفاق في سبيل الله، وبحب الفقراء، وحب الخيرِ للمسلمين..
- تذكَّر نِعَم الله عليك، واشكر الله على نعمائه، واستمتع بلذة العطاء في سبيل الله.
- إذا تصدَّقتَ، فلا تفعل ذلك ليقال: إنك كريم.. وإذا أَعطيتَ فأجزل العطاء، فإنك تتعامل مع أكرم الأكرمين.
- لا تستهن بالقليل إذا ما استمرَّ دون انقطاع؛ فالرسول عليه الصلاة والسلام يقول: «**أحبُّ الأعمال إلى الله أدومها وإن قلَّ**»(٢).

---

(١) متفق عليه. (٢) رواه البخاري.

- يذكِّرك هذا الصندوق يوميّاً بأحوال المسلمين، ويغرس في نفوس أبنائك روابط الانتماء لأمة الإسلام، والتفكُّر بأوضاع المسلمين.

جاء في الأثر: **«من لا يهتمّ بأمر المسلمين؛ فليس منهم»**[١].

- كن قدوة لأبنائك في عمل الخير: فـ **«من سنَّ سنّة حسنة، عمل بها بعده، كان له أجره ومثل أجورهم، من غير أن ينقص من أجورهم شيء. ومن سنَّ سنّة سيئة، فعمل بها بعده، كان عليه وزرها، ومثل أوزارهم، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»**[٢].

فلننظر كيف نُعلِّم أبناءنا، وأهلينا، ومَنْ حولنا، وبمن يقتدون؟!..

❁ ❁ ❁

---

(١) ضعيف الترغيب، للألباني (١٠٩٩).

(٢) صحيح الجامع (٦٣٠٦).

الليلة
١٤

أم ربيعة الرأي (١)

أمٌّ رائعة، ضحَّت بكل ما تملك من مال وجهد لتجعل من ولدها الصغير أعجوبة زمانه..

تبدأ القصة عندما تزوَّجت هذه المرأة من المجاهد (فروخ)، وكان مولى للصحابي والمجاهد الجليل الربيع بن زياد رضي الله عنه.

كان الربيع بن زياد من هؤلاء القادة المرموقين الذين استطاعوا أن يصنعوا النصر للمسلمين في كثير من المواقع في (سجستان) وغيرها؛ فلما كلَّل الله عز وجل جهاده بالنصر؛ أطلق حرية غلامه (فروخ) وأعطاه نصيبه من الغنائم.

عاد (فروخ) إلى المدينة وهو يريد الزواج بفتاة مؤمنة تعينه على طاعة ربه، وتحفظ بيته..

ولما صار يمتلك البيت والزوجة، إذا بالحنين إلى الجهاد يدفعه ليسترجع تلك اللحظات الرائعة؛ وهو يمتشق حسامه ويجاهد في سبيل الله.

كانت زوجته في شهورها الأولى من الحمل، جلس إلى زوجته وحدَّثها حديث القلب، فوجد نفسه أمام زوجة تعلم قيمة الجهاد وما أعدَّ الله للمجاهدين؛ فلم تمانع..

ثم طرح إليها صُرَّة ثقيلة وقال لها: هذه صرَّة فيها ثلاثون ألف دينار؛ أنفقي على نفسك ووليدك بالمعروف حتى أعود إليكما إذا قدَّر الله لنا البقاء إن شاء الله..

ومضت الأيام.. ووضعت الزوجة طفلاً أطلقت عليه اسم (ربيعة).

ولـمَّا بلغ عدة سنوات دفعت به إلى المؤدِّبين ليحفظ شيئاً من كتاب الله.. واستطاع حفظ الكثير من سور القرآن خلال شهور قليلة.

شعرت الأم أن عليها أن تستثمر فيه تلك المواهب، فدفعت به إلى أيدي الفقهاء والعلماء ليقوموا على تعليمه..

لم تبخل أم ربيعة على أي أحد يقدِّم جهده وعلمه لولدها الصغير، ممَّا جعل هؤلاء يتسابقون لتعليم ربيعة.. كانت تبذل المال من أجل الوصول إلى غاية واحدة: أن يصبح ربيعة أحد الكواكب التي تضيء سماء الأمة فينفع الله به المسلمين.

وتمضي الأعوام.. ويبلغ ربيعة من العمر ثلاثين سنة! نعم؛ فقد ظن الجميع بما فيهم الزوجة والابن أن فروخ قد مات، وكانت المفاجأة الكبرى.. فقد عاد المجاهد فروخ الذي ناهز الستين من عمره بملابس الفرسان إلى المدينة!.. تغيَّرت البيوت والشوارع كثيراً، ولكنه استطاع أن يجد بيته.

كان المساء قد حلَّ.. دفع باب بيته وولج صحن الدار.. فتنبَّه ربُّ الدار ربيعة، فلما رأى ذلك الفارس يقف منتصباً في صحن الدار؛ هبط مزمجراً: كيف تقتحم بيتي يا عدو الله؟!.. أما تعلم أن للبيوت حرمة يجب أن تُصان؟!..

وفروخ يقول: بل كيف لك أنت أن تسكن في بيتي أيها الدخيل؟!..

وتصارع الرجلان.. وفي لحظات امتلأ البيت بالجيران..

كان فروخ يظن أن أحداً سيعرفه.. فأخذ يصيح: يا ناس أنا فروخ؛ ألا يعرفني أحد؟ أنا صاحب الدار...

وفي تلك اللحظة انطلقت كلمة أصابت الجميع بالوجوم والدهشة، صاحت الأم: إنه أبوك يا ولدي..

ثم أشارت إلى الجمع: جزاكم الله خيراً، فهذا زوجي فروخ جاء إلينا بعد غياب..

يتبع..

الليلة
١٥

أم ربيعة الرأي (٢)

تعانق الأب والابن عناقاً حارّاً، وراحت دموعهما تنهمر بشدة.

وجلس فروخ مع زوجته؛ قال لها: كيف حال الثلاثين ألف دينار يا زوجتي العزيزة؟ إن معي عشرة آلاف أخرى جئت بها، سوف نضمها إلى الثلاثين ألفاً ونشتري بها بيتاً جديداً.

اضطربت الزوجة ولم تعرف ماذا تقول!..

وفي تلك اللحظة تردد صوت الأذان..

انطلق فروخ إلى مسجد رسول الله ﷺ: ليصلّي الفجر.. فوجد زحاماً شديداً، فاضطر للصلاة بالخارج.

وبعد الصلاة دخل فروخ مسجد رسول الله ﷺ فسلَّم عليه، ثم وقف في الروضة يصلّي ويصلّي.. فلما انتهى فروخ من صلاته وهمَّ بمغادرة المسجد؛ استوقفته أعداد غفيرة من الناس يجلسون في باحة المسجد ينتظرون أحد العلماء الكبار ليلقي عليهم محاضرة.

جلس فروخ في أقرب مكان، وتكلّم الشيخ فاهتزَّتْ لمسامعه القلوب.. والطلاب يمسكون بأقلامهم ويسجلون ما يقول.

أُعجب فروخ بالشيخ، إعجاباً شديداً، فلما انتهى الشيخ من محاضرته ونهض قائماً؛ تزاحم الناس عليه يصافحونه بحرارة.

اتجه فروخ نحو أحد الجالسين وهمس قائلاً: مَنِ الشيخ؟.

رفع الرجل حاجبيه دهشة وقال: هل ثمة أحد لا يعرف الشيخ؟! إن اسمه يتردد في الآفاق.. يبدو أنك غريب عن المدينة؟.

قال فروخ: لا؛ ولكنني كنت في رحلة طويلة ولم آتِ إلا الليلة.

ابتسم الرجل وقال: هذا يا عزيزي سيد من سادات التابعين، وعَلَمٌ من أعلام المسلمين.. إنه المحدّث الورع، والفقيه الإمام الذي يضم مجلسُه كما رأيتَ مالك بن أنس، وأبا حنيفة النعمان، ويحيى بن سعيد، وسفيان الثوري، والأوزاعي، والليث بن سعد وغيرهم..

هذا ربيعة الرأي بن فروخ.. خرج والده للجهاد منذ سنوات طويلة ولم يعد إلا الليلة.. الناس يقولون ذلك.

ما كادت الكلمات تخرج من فم الرجل حتى كاد فروخ أن يُغشى عليه من فرط السعادة.. أسرع الخُطا نحو بيته وقلبه مليء بالاعتزاز والفخر: أنَّ هذا العالِم العظيم هو ولده..

دخل على زوجته، وقال: والله لقد أذهلني مشهد في غاية الروعة يا زوجتي العزيزة.. والله الذي لا إلٰه غيره؛ لو وُزن بكل كنوز الدنيا لرجح!..

قالت الزوجة: وما ذاك؟.

قال: ابننا ربيعة بلغ مكانة عظيمة في العلم؛ حتى إن كبار العلماء كانوا يجلسون بين يديه يرتشفون منه العلم.

ابتسمت الزوجة وقالت: أرأيتَ الثلاثين ألف دينار التي تركْتَها عند خروجك للجهاد؟..

قال: نعم.

قالت: أنفقتُها جميعها على تهذيب ولدك وتأديبه حتى صار كما رأيت.

قال: جزاكِ الله خيراً يا زوجتي العزيزة، وبارك الله فيك؛ فأَنتِ بحق نعم الزوجة المؤمنة![1].

❀ ❀ ❀

(١) صور من حياة التابعين، أوردها ابن خلكان في: وفيات الأعيان، وردَّ القصة بعض العلماء.

الليلة
١٦

كيف تُحَبِّب القراءة إلى أبنائك؟

ما من شك في أن عادة القراءة تُغرَس في البيت قبل المدرسة، وما من شك في أن القراءة أفضل العادات على الإطلاق؛ فكيف تنشئ أبناءك على حبِّ القراءة ونحن في زمن التلفاز والإنترنت، والفضائيات والمسلسلات؟..

١ ـ كن قدوة لأبنائك؛ فإن وجد الطفل في بيته مكتبة عامرة بالكتب والقصص.. ورأى أباه وأمه يمسكون بالكتاب من حين إلى حين؛ فإن ذلك سيدفعه على الأغلب لحبِّ القراءة والسير على طريق أبويه.

٢ ـ قدِّم لطفلك الكتب المناسبة لسنِّه وطبيعته؛ فمن غير المعقول أن تعطي طفلك كتاباً كبيراً خالياً من الصور أو الرسوم.

٣ ـ شجِّع أطفالك على تكوين مكتبة خاصة بهم مهما كانت صغيرة؛ فيها القصص الجذّابة، والمجلات المشوّقة، واصطحب أطفالك إلى المكتبات ليشتروا الكتب أو المجلات تحت إشرافك.

٤ ـ تدرَّج مع أبنائك في اختيار الكتب؛ فابدأ بكتب ذات نصوص قليلة وصور كثيرة.. وهكذا.

٥ ـ انتبه إلى رغبات طفلك؛ فقد يهوى في البداية قصص المغامرات والبطولات.. لا تجبره على قراءة الكتب التي لا يرغب بها..

٦ ـ اقرأ لطفلك من المراحل المبكِّرة من عمره.. حتى ولو كان رضيعاً؛ بحيث يتفاعل مع حركاتك وتعبيرات وجهك.

٧ ـ حاول أن تقرأ لطفلك قصة كل ليلة قبل أن ينام في سريره (بالطبع قد تتشارك هذا مع الأم).. حاول التفاعل مع القصة؛ مغيراً صوتك..

وعندما يكبر تقرأ له ولإخوته في المساء ولو لبضع دقائق..

٨ ـ قدِّم لطفلك الكتب المناسبة في الأعياد وعند النجاح وفي كل مناسبة، وخذ له كتباً في الإجازة للسيارة والطائرة وغيرها.

٩ ـ لا تجعل في بيتك أكثر من تلفاز واحد؛ فتعدد أجهزة التلفاز يجعل أبناءك يقضون معظم أوقاتهم في مشاهدتها.. حدِّد مدة ساعة ونصف يوميّاً لمشاهدة برامج التلفاز المفيدة، وساعة واحدة في اليوم أيام الدراسة، وإياك أن تجعل التلفاز في غرفة نوم الأطفال؛ فينامون وهم يشاهدونه!..

١٠ ـ امدح جهود ولدك في القراءة، وسجِّل اسم كل كتاب قرأه، وخذه إلى المكتبة من حين لآخر[١].

❀ ❀ ❀

(١) سيِّدي كيف، (بتصرف).

الليلة
١٧

اتصل بآيات الله

إذا كنتَ تريد أن تصعد في درجات الجنان، وتكون مع السَّفَرة الكرام البررة؛ فاتصل بآيات الله على الدوام، ألم يقل الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام: «**الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة**»[١]؟!.

وفي حديث آخر: «**يقال لصاحب القرآن يوم القيامة إذا دخل الجنة: اقرأ واصعد، فيقرأ ويصعد بكل آية درجة، حتى يقرأ آخر شيء معه**»[٢].

فكيف تتصل بآيات الله تعالى؟:

١ - احصل على المصحف المجزَّأ، وليكن الجزء المخصص لذلك اليوم معك في عملك..

استغل وقت فراغك، ولو ببضع آيات..

٢ - بكِّر إلى صلاتك، وليكن لك نصيب من آيات الله بين الأذان وإقامة الصلاة..

٣ - ضع مصحفاً في السيارة، واقرأ منه ولو بضع آيات قبل دخول بيتك، فتدخل البيت وأنت مع آيات الله.

٤ - ضع أشرطة القرآن الكريم قريبة منك في السيارة، وثبِّت محطة القرآن الكريم في مذياع سيارتك.

٥ - استمع إلى القرآن الكريم ولو لدقائق معدودات أثناء ذهابك إلى عملك، والعودة منه.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أحمد.

٦ ـ بكِّر إلى صلاة الجمعة، وعوِّض ما فاتك خلال الأسبوع في ذلك الوقت المبارك.

٧ ـ ضعي شريط القرآن الكريم في بيتكِ وأنتِ تعملين في ترتيب البيت، أو وأنتِ تطهين الطعام، فكم من وقت يضيع سُدًى من بين أيدينا، ثم نندم عليه يوم لا ينفع ندم ولا حسرة على ما فات!..

٨ ـ ضع برنامج المصحف على شاشة الحاسوب، وليكن لك نصيب منه ولو لآيات معدودات.

٩ ـ اقرأ شيئاً مما حفظت في قلبك وأنت تمشي إلى عملك، أو إلى أي مكان.

١٠ ـ ضع مصحفاً قريباً من سرير نومك، وانْتَهِ من الحزب المقرر اليومي قبل النوم.. لتجعل آخر يومك بين آيات الله.



الليلة ١٨

من هو الفقيرُ الحقيقيُّ؟

اتفق أكثر الناس على أن الفقير مَنْ لا درهم له ولا متاع، ولكن الفقير الحقيقي: من كان أسير الجهل والأهواء والشهوات، من تسربت إلى قلبه صفات النفاق والظلم والغرور، من فرغ قلبه من الشعور بكرامة الإنسان، من انطفأت في قلبه شعلة الإيمان..

يقول ميخائيل نعيمة:

«كل منافق أو سارق أو فاسق ـ فقير!..

كل غضوب أو حقود أو ناقمٍ ـ فقير!..

كل حسودٍ أو نمَّام أو مُراءٍ ـ فقير!..

كل مزهوٍّ بمال أو جمال أو سلطان ـ فقير!..

كل من أكل خبزه بعرق جبين غيره ـ فقير!..

كل من أذلَّ جاره ليعتزَّ أو أجاعه ليشبع ـ فقير!..

كل مَنْ ركب هواه وجَهِلَ مبتداهُ ومنتهاهُ ـ فقير!..

وبعد.. أليس هؤلاء هم الفقراء الحقيقيين؟!..».

أليسوا فقراء في محاسن الأخلاق؟!..

اللهمَّ لا تجعلنا من هؤلاء الفقراء ولا أمثالهم، واجعلنا من الفقراء إليك، الأغنياء بما رضوا من عطاياك.

ألم يقل رسول الله ﷺ: «**أقربكم إليَّ مجلساً يوم القيامة أحسنكم أخلاقاً**»[1]؟!.

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة، للألباني (٧٩١).

ألا يستحق هؤلاء دمعة حزن عليهم أنهم من المحرومين من رحمة الله ـ إن هم لم يتوبوا إلى الله ويُصلحوا أحوالهم؟!.

فكِّر في نفسك لحظة: هل أنت واحد من هؤلاء؟.

إن كان الجواب: «نعم»؛ فحاسب نفسك وتخلّص من هذه الصفة الذميمة فوراً، وعُد إلى الله.

وإن كان الجواب: «لا»؛ فاحمد الله على أنك غني بأخلاقك، غني بإيمانك، غني برحمة الله.

يقول عليه الصلاة والسلام: «**ليس الغنى عن كثرة العرض** (أي المال)؛ **إنما الغنى غنى النفس**»[1].

ويقول أحدهم: ليس الفقير من مَلَكَ القليل، بل من طَلَبَ الكثير!.

وفي هذا يقول المتنبي:

ومَنْ يُنفق الساعات في جمع مالِهِ مخافة فَقرٍ فالذي فعلَ الفقرُ

ويقول بكر بن أذينة:

كم من فقيرٍ غنيِّ النفسِ نعرفُه ومِنْ غنيٍّ فقيرِ النفس مسكينِ

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه البخاري.

الليلة ١٩

الحِلْمُ.. سيد الأخلاق

● خرج عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ إلى المسجد ليلاً ومعه عَسْكَره، فَتَعثَّر برَجُلٍ جالسٍ في الطريق، فقال له الرجل: أأعمى أنت؟!..

فقال له عمر: لا!..

فهمَّ الحرس بالرجل ليضربوه، فنهاهم عمر وقال: قد سألني سؤالاً وأجبتُه..

لم يغضب عمر ولم يثأر لكرامته، بل عفا وصفح وانتهى الأمر.

● وهذا عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ترجمان القرآن، سبَّهُ رجل ذات يوم؛ فماذا فعل؟..

دعا خادمه وقال: قل لهذا الرجل: هل مِنْ حاجة فنقضيها له؟.

فنكّس الرجل رأسه واستحيا!..

● وهذا أبو حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ؛ شتمه رجل وهو في درسه، فلم يلتفت إليه ولم يقطع كلامه، ونهى أصحابه عن نَهْره، فلما فرغ أبو حنيفة خرج إلى داره وقال للرجل: هذه داري؛ فإن بقي معك شيء فأتمَّه حتى لا يبقى في نفسك شيء.. فاستحيا الرجل واعتذر.

● يقول المصطفى ﷺ: «**إن امرؤ شتمك وعيَّرك بما يعلم فيك؛ فلا تعيّره بما تعلم فيه، فإنَّما وبال ذلك عليه**»[١].

● صبَّ أحد السفهاء على الإمام الجنيد ماءً قذراً وهو خارجٌ لصلاة الجمعة!.. فبلَّله بالماء من رأسه إلى قدميه..

---

(١) السلسلة الصحيحة، للألباني (١١٠٩).

فقال: أستغفر الله العظيم من كل ذنب وتقصير، وأحمد الله على لطفه وكرمه، فلعلَّني فعلتُ ذنباً جازاني الله به في الدنيا، فلا ينبغي أن أغضب..

ثم عاد إلى البيت واغتسل، وغيَّر ملابسه وعاد إلى المسجد للصلاة.

● مرَّ يهوديٌّ على إبراهيم بن أدهم ومعه كلب، فقال: يا إبراهيم! لَحْيتُك أطهرُ أم ذيلُ هذا الكلب؟.

فماذا كان جواب إبراهيم؟ هل شتمه؟ هل نَهَرَه؟ هل قال له: ويحك يا يهودي! كيف تقارن لحيتي بذيل كلبك؟!.

قال إبراهيم: لئن كانت لحيتي في الجنة؛ فهي أطهر وأفضل من ذَنَبِ كلبك! وإن كانت في النار، فإن ذَنَب كلبك أطهر منها وأفضل!..

فما تمالك اليهودي نفسه حتى نطق بالشهادتين، وقال: والله ما هذه إلا أخلاق الأنبياء.

تواضع إبراهيم بن أدهم لله، فأسلم على يديه يهودي!.

ما أخذه الكِبر ولا العنجهية، ولا استشاط غضباً لنفسه، فأعطاه الله خيراً من حُمْر النَّعَمِ!..

قال ﷺ: «**لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حُمْر النَّعَمِ**»(١).

❁ ❁ ❁

(١) رواه البخاري ومسلم.

الليلة ٢٠

كيف تدخل قلوب أبنائك؟

ما مِنْ أحد إلا ويبتغي بيتاً ترفرف عليه ظلال المحبة والسعادة، وهاك وصايا توطِّد جسر المحبة بين الآباء والأبناء:

١ ـ احترم أبناءك؛ شجِّعهم، عزز ثقتهم بأنفسهم؛ ينشؤوا أبناءً ناجحين في حياتهم.

٢ ـ علِّم أبناءك التفاؤل في الحياة، والتوكل على الله بعد إتقان العمل، وعلِّمهم إخلاص النية لله في كل عمل.

٣ ـ عبِّر لهم عن مشاعر فخرك بهم، وأنهم أبناؤك وفلذة كبدك؛ أنشأتهم على الطريقة السليمة بإذن الله.

٤ ـ اترك لهم مجالاً من الحرية الشخصية، يتخذون قراراتهم بأنفسهم فيما يتعلق بأمورهم الشخصية من ملابس وألعاب، وغير ذلك، ولكن راقب تصرفاتهم عن بُعد، ووجههم بالحكمة إن حادوا عن الطريق.

٥ ـ خصِّص وقتاً للحديث مع أبنائك ولو لبضعة دقائق، اقرأ عليهم ولو صفحتين من هذا الكتاب أو غيره من الكتب النافعة.

٦ ـ أنصِتْ لهم، ولا تتجاهل حديثهم.. انظر إليهم بحنان وهم يحدِّثونك ويُفرغون ما في جعبتهم من مشاعر وأحاسيس.

٧ ـ حدِّثهم عن أشياء تعلَّمتها منهم.. واستفدتها من سلوكهم.

إذا عَلَّمك ابنك الالتزام بصلاة الجماعة، فأخبره أن الفضل ـ من بعد الله تعالى ـ له في أن علَّمك حضور الجماعة لكل صلاة.

٨ ـ لا تتاجر بعواطف أبنائك، ولا تجعل حبَّك مشروطاً بتفوُّقهم في

المدرسة، أو بالتزامهم بعملٍ ما؛ فالحب بينك وبينهم ينبغي أن يكون بلا حدود!.

٩ ـ لا تمسَّنَّ كرامة ابنك أو ابنتك بالإهانة؛ كأن تقول: يا قليل الأدب! أو ما شابه.. علِّمه أنك لا تحبُّ التصرف الذي فَعل، وأنك ما زلت تحبه.

١٠ ـ أسْمِعْ ابنك أو ابنتك كلمات الحبِّ والثناء ولو بشكل غير مباشر؛ كأن يكونوا في غرفة مجاورة..

١١ ـ ابدأ كل يوم صفحة جديدة، وانسَ أخطاء الماضي، وأعطِ ابنك في كل يوم فرصة جديدة فيزداد قرباً منك، ومحبة لك.

١٢ ـ أشعرهم باحترامك الكبير لأمهم، وارفع مِنْ قدرها أمامهم؛ فإنهم لن يغفروا لك إساءتك لأمهم.

❊ ❊ ❊

الليلة ٢١

تهادوا تحابُّوا

لعلَّ الحيرة تسيطر عليك كلما أردت أن تُسعد الآخرين بهدية في يوم من الأيام!.

تستوقفك المحبة وتسألك بخجل بالغ: كيف أصل إلى قلوب الآخرين؟..

ويأتيك الهدي النبوي الشريف بإيقاع جميل: «**تهادوا تحابُّوا**»[١].. فتدرك عندها أن الهدية مطيَّةٌ إلى قلوب مَنْ تحب.

وهي الطريق لتصفية القلوب، وتنقية الأجواء، وتوثيق عُرى المحبة والوفاء..

ويأتي السؤال الآخر: كيف نختار تلك الهدية؟ وكيف نجعلها رمزاً للمحبة والسعادة والحبور؟.

فالإنسان مغرم بالمفاجِئات، يسعد بالهدية التي لم تخطر له ببال، وخصوصاً عندما تردفها كلمة طيبة، أو عطاء مؤثِّر.

ولا بد عند اختيار الهدية من أن تراعي عُمر مَنْ تهدي، وجنسه، وثقافته، وهواياته.. ثم تختار الوقت الأمثل لتقديمها أو إرسالها إلى مَنْ تريد، حاول أن تجعل الهدية جذّابة؛ غلِّفها بحرصٍ بالغ، وأرفق معها بطاقة بكلمات مِنْ عندك، وبخطِّ يدك، وبدعوة صادقة من القلب بدوام السعادة والسرور.

اجعل هديتك مناسبة لمستوى من تهدي إليه؛ فلا تجعلها بخيسة الثمن، ولا ترهق من تهدي بغلاء سعرها؛ فلا يستطيع أن يرد الجميل بهدية

---

(١) صحيح الجامع (٣٠٠٤).

مماثلة! وإذا أتتك هدية فاستقبلها بابتسامة الشكر والثناء، وانظر إلى عيني من أهدى إليك بعين السعادة والامتنان.

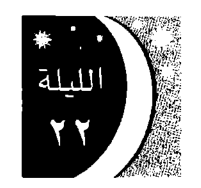
فليست الهدية إلا وسيلة للتواصل والتحابب والتآلف.. افتح الهدية أمام من قدَّمها إليك، وأثنِ عليها من دون مبالغة أو إسفاف.

لا تهملها وتضعها جانباً وكأنها لم تنل رضاك، ولا إعجابك!.. فما أجمل الهدية عندما تأتي في مناسبة ما، وما أروعها حينما تأتي من دون مناسبة!..

فلنتذكَّر دوماً قول الحبيب المصطفى: «**تهادوا تحابُّوا**»[1]، ولنجعل من هدايانا ـ مهما كانت بسيطة ورمزيةً ـ طريقاً إلى قلوب الآخرين، فنسقي بها شجرة المودة والوفاء، ويعبق في القلب أريج المحبة والإخاء.

❁ ❁ ❁

(١) صحيح الجامع (٣٠٠٤).



فنّ الأمر بالمعروف

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مهنة الأنبياء والعلماء العاملين، وهي من أعظم الطاعات، ولكن لها أصول وإمكانيات؛ فإن كنتَ آمراً بالمعروف، فاعرف ما تقول أو تفعل؛ ابدأ بنفسك فانهها عن غيِّها.. ابدأ بأولادك وأصحابك، ابتغ بعملك وجه الله، لا ليقال عنك: إنك صالح ناصح.. كن لبقاً لطيفاً؛ عملاً بقول الله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

كن صبوراً واسع الصدر، ولا تكن قنوطاً يائساً، وكفى الداعية إلى الله فخراً أن يقوم بوظيفة الأنبياء والمرسلين في هداية الناس.

ويبقى بعد ذلك أن تعيَ أنَّ الدعوة همٌّ لا بد للداعية من حمله، وفنٌّ لا بد للداعية من تعلُّمه، وتجارب وخبرات يستفيد فيها اللاحق من السابق.

● أذنبَ رجلٌ فضربه الناس وشتموه، فاستنقذه أبو الدرداء وقال: ما الخبر؟.

فذكروا أنه أذنب!..

فقال: أرأيتم لو وقع في بئر؛ أفلا تستخرجوه منه؟!..

قالوا: بلى.

قال: لا تسبُّوه، ولا تضربوه، وإنما عظوه وبصِّروه، واحمدوا الله الذي عافاكم من الوقوع في ذنبه!.

فبكى الرجل وتاب!..

● ومرَّ شابٌّ يجرُّ ثوبَه اختيالاً أمام أحد الصالحين، فهمَّ أصحاب

الرجل الصالح بالحديث عن سوء فعل هذا المختال في مشيته.

فقال لهم: دعوه لي.. فقام إليه وقال له: يا بن أخي! لي عندك حاجة..

قال: وما هي؟.

قال: أن تتواضع وترفع ثوبك عن الأرض؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨]، ولا أريد أن يحسبك الناس مختالاً فخوراً.

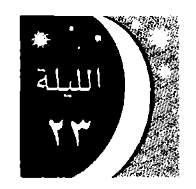
فقال الشاب: حبّاً وكرامة.. فرفع ثوبه واعتدل في مشيته..

عاد الرجل الصالح إلى أصحابه قائلاً: أليس هذا أفضل من أن تغتابوه فتنالوا إثمه، أو أن تشتموه فيشتمكم؟! فالله تعالى يقول: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥].

● ودخل واعظ على الخليفة المأمون.. فقال له: إني واعظك فمُغلظٌ لكَ في القول!..

فقال المأمون: مهلاً؛ فإن الله قد أرسلَ مَنْ هو خيرٌ منك (موسى وهارون)، إلى مَنْ هو شرٌّ مني (فرعون)، وقال تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤].

* * *



هل في القرآن حُـبٌّ؟ (١)

لعلَّ البعض يعجب من عنوان كهذا! فكيف يكون الحب في القرآن؟ وما هو كنهه؟ وما هي أنواعه؟..

وربما ينسى البعض أن الإسلام هو دين الحب، وأن المؤمن لا يجد حلاوة الإيمان إلا إذا أحسَّ بحرارة الحب في قلبه.. وقد أمرنا ديننا بالحب، ودعانا إليه.

يقول الرسول ﷺ: «**أحبُّوا الله لما يغذوكم من نعمه، وأحبوني لحبِّ الله، وأحبوا آل بيتي لحبي**»(١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رجلاً سأل النبي ﷺ: متى الساعة يا رسول الله؟ قال: «**وماذا أعددت لها؟**» قال: ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة، ولكني أُحبُّ الله ورسوله، قال: «**أنت مع من أحببت**»(٢). يقول أنس رضي الله عنه: فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي ﷺ: «**أنت مع من أحببت**»، فأنا أحب النبي ﷺ وأبا بكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبِّي إياهم وإن لم أعمل بمثل أعمالهم.

وقيل للنبي ﷺ: الرجل يحبُّ القوم ولمّا يلحق بهم.. قال: «**المرء مع من أحبَّ**»(٣).

والإيمان في الإسلام قائم على المحبة، ومؤسس على المودة، يقول ﷺ: «**والذي نفسي بيده، لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولن تؤمنوا حتى تحابُّوا، ألا أدلكم على شيء إن فعلتموه تحاببتم؟.. أفشوا السلام بينكم**»(٤).

---

(١) رواه الترمذي.
(٢) رواه البخاري.
(٣) رواه البخاري.
(٤) رواه أبو داود.

فجعل الفوز بالجنة مرتبطاً بالإيمان، وجعل الإيمان متوقِّفاً على المحبة والمودة.. فأحبب الخير لغيرك، فإن ذلك من كمال الإيمان؛ يقول ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحبَّ لأخيه ـ أو قال: لجاره ـ ما يحبُّ لنفسه**»[١].

● **حُبُّ الله تعالى للعبد:**

والله جلَّ في علاه يحبُّ من أحبَّ دينه، واتَّبع ملته وشريعته.. يحب ربي من أخلص له وأناب إليه، ولاذ إلى رحابه.. يحبُّ من يتسامى في حبه، ويجاهد في سبيله لنصرة دينه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ﴾ [الصف: ٤].

والله تعالى يحبُّ التوَّابين، فتبْ إلى الله تكن حبيباً لله؛ قال الله تعالى في محكم كتابه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

إننا نخطئ في حق الله تعالى، ونقع في وحل المعصية، وبحر الشهوات، ونتلطَّخ بأدران الإثم.. ثم يصحو الضمير ويستيقظ، وتطارد الخطيئة المذنب، ويحسُّ بثقلها على نفسه كأنها الجبل، ويتجسَّم أمام عينيه فظاعة ما ارتكب في حق الله تعالى، فتضيق عليه الأرض بما رحبت، فلا يلجأ إلا إلى الله تعالى، ففراره من الله إلى الله تعالى.. إليه الملجأ وإليه المآل؛ قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

والتوبة رجوع إلى الله؛ وما أحلى الرجوع إليه!..

❁ ❁ ❁

(١) رواه مسلم.

الليلة ٢٤

هل في القرآن حُبٌّ؟ (٢)

أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: «**لو يعلم المدبرون عني كيف انتظاري لهم، ورفقي بهم، وشوقي إلى ترك معاصيهم؛ لماتوا شوقاً إليَّ! هذه إرادتي في المدبرين عني، فكيف إرادتي في المقبلين عليَّ؟! يا داود! أرحم ما أكون بعبدي إذا أدبر عني، وأجلُّ ما يكون عندي إذا رجع إليَّ**».

والله تعالى يلقي محبته على من يحبه، وأي منزلة أعلى، بل وأي درجة أكمل من أن يقول الله تعالى لعبده: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ [طه: ٣٩]؟!.. فمحبة الله تعالى العزيز المتعال وهو في عليائه وكبريائه، للعبد وهو في ذلّه وضعفه؛ هي العطاء بعينه، وهي النعمة والمنة من الله تعالى ذي الكرم والجود؛ قال الله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

● والمؤمنون يحبُّون:

ومحبتهم الأقوى هي لله تعالى؛ مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

والحب تقرُّب وعطاء.. تقرُّب من المحبِّ، وعطاء من المحبوب؛ يقول الله تعالى في الحديث القدسي: «**وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيء أحبَّ إليَّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أحبَّه، فإذا أحببتُه كنتُ سمعَه الذي يسمع به، وبصرَه الذي يبصر به، ويدَه التي يبطش بها، ورجلَه التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينَّه، ولئن استعاذني لأعيذنَّه**»[١].

---

(١) رواه البخاري.

● أحببِ الله:

أحبب الله؛ فنحن مأمورون بحب الله؛ يقول سيدنا محمد ﷺ: «**أحبوا الله لما يغذوكم من نعمه**»(١).

وهل هناك غير الله تعالى أحقُّ بالحب؟ وهو الخالق البارئ، الذي خلقك أيها الإنسان فصوَّرك وركَّبك، المنعم عليك بجميع النعم صغيرها وكبيرها!..

يقول الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله:

«من أنستْ نفسُه بالله؛ لم يجد لذة في الأنس بغيره..

ومن أشرق قلبُه بالنور؛ لم يعد فيه متَّسع للظلام..

ومن سمت روحه بالتقوى؛ لم يرضَ إلا سكنى السماء..

ومن أحبَّ معالي الأمور؛ لم يجد مستقرّاً إلا الجنة..

ومن أحبَّ العظماء؛ لم يقنعه إلا أن يكون مع محمد ﷺ..

ومن أدرك أسرار الحياة؛ لم يرَ جديراً بالحبِّ حقَّ الحبِّ إلا الله تبارك وتعالى».

ولا تجعلن محبة غير الله تعالى فوق محبة الله؛ فالله تعالى يتوعَّد من شغلتْه محبة غيره عن محبته جلَّ في علاه؛ قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

❋ ❋ ❋

(١) رواه الترمذي.

الليلة
٢٥

هل في القرآن حُبٌّ؟ (٣)

والمحبُّ يطيع من أحبَّ، وينفِّذ أوامره في سعادة وسرور؛ يقول ابن المبارك:

تعصي الإلٰهَ وأنتَ تُظهِرُ حُبَّه   هذا لعمري في القياسِ شَنيعُ
لو كانَ حبُّك صادقاً لأطعْتَه   إن المحِبَّ لمَنْ يحبُّ مطيعُ

وهكذا يكون طريق المحبة: أوله أمر إلٰهي، وآخره طاعة لله تعالى واستجابة لأمره.

● **لماذا نُحبُّ رسول الله ﷺ؟:**

لأنه حبيب الله تعالى وخليله، وأحبُّ خلق الله إلى الله..

ولأن الله تعالى أدَّبه، فأحسن تأديبه..

ولأن الله تعالى علَّمه، فجمَّل علمه بالخلق العظيم؛ قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

ولأنَّ الله تعالى اصطفاه على الناس برسالته الخالدة، وبعثه للناس رحمة للعالمين.

ولأنه صاحب الحوض المورود، والشفاعة العظمى؛ قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

ولأن الله تعالى وملائكته يصلون على النبي ﷺ؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

ولأن اتباع الحبيب الأعظم ﷺ هو الطريق والسبيل إلى محبة الله تعالى؛ لقول ربي جلَّ في علاه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: «إن هذه الآية حاكمة على كلِّ من ادَّعى محبة الله تعالى وهو ليس على الطريقة المحمدية، فإنه كاذب في نفس الأمر، حتى يتبع الهدي المحمدي والدين النبوي، في جميع أقواله وأفعاله وأحواله، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»[١]؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾؛ أي: يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه، وهو محبته إياكم، وهو أعظم من الأول؛ كما قال بعض الحكماء العلماء: ليس الشأن أن تُحِبَّ.. إنما الشأن أن تُحَبَّ»[٢].

ولا شكَّ أن حبَّ سنَّة النبي ﷺ من حبِّ رسول الله ﷺ؛ ورد في الأثر: «**من أحيا سنتي فقد أحبني، ومن أحبني كان معي في الجنة**»[٣].

❋ ❋ ❋

(١) رواه مسلم.
(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٢/ ٣٢.
(٣) ضعيف الجامع (٥٣٦٠).

هل في القرآن حُبٌّ؟ (٤)

● الميول الغريزية عند الإنسان:

تناول القرآن الكريم مسألة الميول الغريزية عند الإنسان؛ فقد جاء في سورة آل عمران قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾ [آل عمران: ١٤]..

ومما يميل إليه الإنسان ويحبُّه:

حب النساء: ويمكن أن يكون مشروعاً كحبِّ الرجل لزوجته، أو محرَّماً كحبِّ الرجل للمرأة الأجنبية عنه.

وحبّ البنين: وقد يكون مذموماً إذا كان غريزة قُصد بها المفاخرة، أو محموداً إذا قصد تكوين أسرة مسلمة تنشأ في طاعة الله.

وحبّ المال من الذهب والفضة: وقد أشار القرآن الكريم إلى حبِّ امتلاك المال الكثير، وسواء كان سعي المؤمن لإنفاقه في سبيل الله، أو كان مقصده العبث به؛ فكلاهما مما يشتهيه الإنسان ويحبُّه.

وحبّ الخيل المسوَّمة: والقرآن ذكر الخيل؛ لأنها مركوب تلك الأيام، ولكن الأمر يتعداه إلى مراكب الناس في هذه الأيام.

● مقامات الحب:

مَنْ عرف الله تعالى أحبَّ الله، وعلى قدر معرفته بالله يكون حبُّه لله.

والله تعالى يحبُّ، ومن أحبَّه اللهُ كان مع الله؛ في معيته وتحت حفظه وعنايته جلَّ في علاه؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

ومعية الله تعالى لمن يحبُّ هي معية خاصة يخصُّ بها أحبَّاءه وأولياءه.. معية نصر وتكريم، وعناية ورعاية، فضلاً عن المعية العامة التي هي معية العلم المحيط الشامل؛ ففي الحديث القدسي: «**أنا عند ظنِّ عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني**»[(١)].

والله تعالى يحبُّ، ومن أسمائه: «الودود».. وقد ذكر لفظ: «الودود» في القرآن الكريم مرتين: في سورة هود؛ حيث يقول تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: ٩٠]، وفي سورة البروج حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾ [البروج: ١٤]، والود: الحب، ومعنى الودود: المحب للمؤمنين (الذين يودهم ويودونه، ويحبهم ويحبونه).

فانظر في نفسك؛ هل يحبك الناس أم هم لك كارهون؟..

هل يحبك من حولك، ويفرح بلقائك؟..

تأكّد من حبِّ الناس لك حبّاً خالصاً لله تعالى؛ لا حبّاً من أجل مال أو متاع، ولا مراءات أو مداهنة..

يروى أن الله تعالى قال لداود عليه السلام: «**يا داود! أبلغ أهلَ أرضي أني حبيبٌ لمن أحبني، وجليسٌ لمن جالسني، ومؤنسٌ لمن أنس بذكري.. ما أحبني عبد من قلبه إلا قبلته لنفسي وأحببته حبّاً لا يتقدّمه أحد من خلقي**»

فكن حبيباً لله تعالى، تكن حبيباً لمن في الأرض والسماء.

❋ ❋ ❋

(١) رواه البخاري.

الليلة
٢٧

هل فيك ذرَّةٌ مِنْ كبر؟

لو سألتَ أكثر الناس: هل أنتَ متكبِّر؟ لقال لك على الفور: لا..

ولكن لو طرحتُ عليك عدداً من الأسئلة، وأجبتَ عليها بـ «نعم»؛ لكان فيك كِبرٌ خفيٌّ..

وقد ذكر أخي الحبيب الأستاذ أحمد الشقيري في كتابه الممتع: (خواطر شاب) عدداً من الأسئلة؛ أجبْ عليها بصراحة تامة؛ فلا يراك أحد غير الله:

١ ـ عندما تُواجَه بنقد من شخص ما؛ هل تغضب أم تشعر بعدم ارتياح، أو تبدأ بالدفاع عن نفسك فوراً وبأية وسيلة كانت؟..

٢ ـ هل تقاطعْ حديث الناس عندما لا تعجبك نقطة أو قولٌ معيَّن؟.

٣ ـ هل تشعر بقلق ونوع من الخوف وأنت أمام شخص أعلى منك مكانة في الشركة أو في المنصب؟..

٤ ـ هل تشعر بخوف عند إبداء رأيك أمام الناس خوفاً من أن لا يوافقوك الرأي؟..

٥ ـ هل تتحدث أكثر مما تسمع؟..

٦ ـ هل طريقة تعاملك مع مديرك مختلفة تماماً عن طريقة تعاملك مع مَنْ هم دونك في العمل، فتتعامل مع الناس حسب مناصبهم، وليس على أساس أنهم سواسية؟..

٧ ـ هل تأخذ الأمور بشكل شخصي عندما يجادلك أحد في مجلس؟..

٨ ـ هل تغضب أو تتوتَّر عندما لا يؤيِّدك الناس، ولا يتفقون مع وجهة نظرك؟..

٩ ـ هل ترغب دائماً في سماع المديح، وتبذل جهدك كي يمدحك الناس؟..

١٠ ـ هل تقارن نفسك بغيرك وتشعر بارتياح عندما تكون مع مَنْ هو دونك، بينما تشعر بتوتر عندما تكون مع مَن هو أفضل منك حديثاً أو موهبة.

لا تعجب يا أخي إن كنتَ من الراسبين في هذا الامتحان! فكثير منّا قد يرسب فيه.. وصدق رسول الله ﷺ: «**لا يدخل الجنة مَنْ كان في قلبه مثقال ذرة من كِبْر**»[1].

ويأتي السؤال المهم: كيف أتواضع؟.

وباختصار: اعكس الأسئلة السابقة تجد منهجاً واضحاً للتواضع..

- لا تقاطع الناس، ولكن أنصت إليهم..
- استمع أكثر مما تتحدَّث..
- لا تفرِّق عند تعاملك مع طبقات الناس المختلفة..
- اعمل من أجل الله.. وليس من أجل سماع مديح الناس.

وأخيراً: إذا لم ينعكس تواضعك أمام الله إلى تواضع عملي أمام خلْق الله؛ فاعلم أن تواضعك أمام الله فيه خلل![2].

❋ ❋ ❋

---

(١) رواه مسلم.

(٢) خواطر شاب، للأستاذ أحمد الشقيري، (بتصرف).

الليلة
٢٨

الجنة تناديكم (١)

ذِكرُ الجنة حياة للقلوب، ونسيان الجنة موت للقلوب.. فهيَّا نتطلق معاً في رحاب الجنة التي تفتَّحت أبوابها.

فمهما جال في خواطركم، أو تردد في أذهانكم؛ فإنَّ في الجنة ما هو أعلى منه وأتمّ.

قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].

وقال الله تعالى في الحديث القدسي: «**أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر**»(١).

ومهما كان جمال الوصف فلا يعدُّ شيئاً؛ لأنَّ الله تعالى إنما وصفها لنا على قدر عقولنا، وصوّرها على حسب فهمنا.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وكيف يقدِّر العقلُ القاصر الضعيف قدر جنةٍ؛ غرسها الرحمن بيده، وجعلها جزاءً لأحبابه، وملأها برضوانه ورحمته، وزيَّنها وأتقنها بعظيم قدرته، ووصف نعيمها بالفوز العظيم، ووصف مُلكها بالمُلك الكبير؟!..

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢٠ ـ ٢١]، ومن الذي سقاهم؟.. ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ [الإنسان: ٢١ ـ ٢٢].

---

(١) رواه البخاري.

● **ما هي صفات أهل الجنة؟:**

قال رسول الله ﷺ: «**أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أشدّ كوكب دريّ في السماء إضاءة، لا يبولون، ولا يتغوَّطون، ولا يتفلون، ولا يتمخطون، أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومجامرهم الأُلُوَّة، أزواجهم الحور العين، على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم عليه السلام**»[(١)].

وقال رسول الله ﷺ: «**إنَّ في الجنة لغرفاً يُرى ظهورها من بطونها، وبطونها من ظهورها**»، فقام إليه إعرابي، فقال: يا رسول الله! لمن هي يا نبي الله؟! قال: «**لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلّى بالليل والناس نيام**»[(٢)].

أما أعظم نعيم الجنان؛ فهو التمتع بالنظر إلى وجه الرحمن؛ قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [يونس: ٢٥ ـ ٢٦].

فالحسنى: هي الجنة.. **والزيادة**: هي النظر إلى وجه الله الكريم.

ومن دعائه ﷺ: «**اللهم إني أسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة**»..

❀ ❀ ❀

(١) متفق عليه.

(٢) صحيح الترمذي (٢٥٢٧).

الليلة
٢٩

الجنة تناديكم (٢)

هل جاءك من خبر العيون والأنهار التي تجري تحت تلك الدور والقصور في الجنة؟..

فماؤها أشدّ بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، وأبرد من الثلج.. شربها يزيد في نور الوجوه والأجسام، وينوِّر القلوب والأرواح والأبدان.

قال الله جلَّ في علاه: ﴿مَثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥].

وما ظنُّك بامرأة إذا ضحكت في وجه زوجها أضاءت الجنة من ضحكها وابتسامتها؟!.

سماهنَّ الله بالحور العين.. **والحور**: جمع حوراء، وهي المرأة الشابة الحسناء، الجميلة البيضاء، شديدة سواد العيون.. يقلن: نحن الخالدات فلا نبيد، ونحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الراضيات فلا نسخط، طوبى لمن كان لنا وكنَّا له...

تقول عائشة رضي الله عنها:

إنَّ الحور العين إذا قلنَ هذه المقالة أجبنهنّ المؤمنات من نساء الدنيا:

نحن المصليات وما صليتنَّ..

ونحن الصائمات وما صمتنَّ..

ونحن المتوضِّئات وما توضأتنَّ..

ونحن المتصدِّقات وما تصدقتنَّ..

قالت عائشة: فغلبنهنَّ ـ أي نساء الدنيا المؤمنات غلبن الحور العين ـ.

فأنتِ أكرم عند الله من الحور العين.. أنتِ أكرم وأجمل..

ولولا حياء المرأة لوصف الله ما أعدّ لهنَّ في الجنان..

وأنتِ أيضاً أيتها المشتاقة المستبشرة!.. إذا أردتِ أن تكوني من أهل الجنان فاسمعي بعضاً من صفات نسائها..

قال ﷺ: «**ألا أخبركم بنسائكم من أهل الجنة: الودود، الولود، العؤود، التي إذا ظلمت قالت: هذه يدي في يدك لا أذوق غمضاً، حتى ترضى**»[١].

وقال أيضاً مبشراً الصادقات القانتات المطيعات: «**المرأة إذا صلَّت خمسها؛ وصامت شهرها، وأحصنت فرجها، وأطاعت بعلها، فلتدخل من أي أبواب الجنة شاءت**»[٢].

إنها الجنة.. التي اشتاق إليها الصالحون، وقدّم مهرها الصادقون..

إنها الجنة.. فاعمل لها بقدر مقامك فيها، وبقدر شوقك إليها..

إنها الجنة.. دار الموقنين بوعد الله، المتهجدين في ظلام الليل، الصائمين في الهواجر[٣].

* * *

(١) صحيح الجامع (٢٦٠٤).

(٢) مشكاة المصابيح، للألباني.

(٣) الجنة تنادي، للأستاذ خالد الراشد، (بتصرف).

الليلة ٣٠

هل يتحسَّر أهل الجنة؟

كيف يتحسَّر من نال مراده وفاز بالجنة؟..

يجيبك على هذا السؤال سيد الأولين والآخرين؛ فيقول عليه الصلاة والسلام: «**ليس يتحسَّر أهل الجنة على شيء إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله ﷻ فيها**»(١).

عجيب أمر هؤلاء!.. وهم في رياض الجنة يتحسَّرون؛ على ماذا؟ على ساعة تركوا فيها ذكر الله تعالى!.

فكم مِنَ الساعات تمر بنا دون ذكر لله تعالى؟!..

فهل نتحسَّر الآن في الدنيا على تلك الساعات؟!..

يقول الإمام الأوزاعي: ليس ساعة من ساعات الدنيا إلا وهي معروضة على العبد يوم القيامة يوماً يوماً، وساعة ساعة، ولا تمرُّ به ساعة لم يُذكر الله فيها إلا انقطعت نفسه عليها حسرات، فكيف إذا مرَّت به ساعة مع ساعة.. ويوم مع يوم، وليلة مع ليلة، دون ذكر للَّه أو استغفار، ودون تفكّر أو اعتبار؟!..

يقول رسول الله ﷺ: «**سبَقَ المفرِّدون**»، قالوا: وما المفرِّدون يا رسول الله؟ قال: «**الذاكرون الله كثيراً والذاكرات**»(٢).

يقول الله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]؛ فمن أحبَّ شيئاً أكثَرَ ذِكره، فاذكر الله ذكر المحبين.. ومن عظَّم شيئاً أجلَّ قدره، فعَظِّم الله تعظيم العارفين..

---

(١) صحيح الجامع (٥٤٤٦)، ثم تراجع الشيخ وضعفه. انظر: السلسلة الضعيفة (٤٩٨٦).

(٢) رواه مسلم.

فالذكر ترياق المذنبين، وأنيس المنقطعين، وغذاء الموقنين، وشراب المحبين، فاذكر الله في الليل والنهار، في السفر والحضر، في الغنى والفقر، في الصحة والسَّقَم، في السر والعلن، وفي كل حين... ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١ ـ ٤٢].

يقول الحسن البصري:

«تفقَّدوا حلاوة الإيمان في ثلاثة أشياء:

في الصلاة، وفي الذكر، وفي قراءة القرآن..

فإن وجدتم، وإلا فاعلموا أن الباب مغلق».

فإن لم تكن تستشعر حلاوة الإيمان في هذه الأشياء؛ فتقرّب إلى الله تعالى بركعتين والناس نيام.. باستغفارٍ.. بدعاءٍ.. في جنح الظلام.

❁ ❁ ❁

الليلة ٣١

هل هذا جزاء نعم الله عليك؟!

● اعترف لله من قلبك بتلك النعم التي أنعمها عليك..

اشكر الله تعالى على تلك النعم بذكر إنعامه عليك؛ قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١].

جدد حبَّك لله..

لا تستعمل هذه النعم فيما يكره المُنعم..

أجرِ لسانك بذكره، وجوارحك بطاعته..

كان النبي ﷺ يقول: «من قالَ حين يُصبح: **اللهمَّ ما أصبح بي من نعمة؛ فمنك وحدك، لا شريك لك، فلك الحمد ولك الشكر؛ فقد أدى شكر يومه، ومن قال مثل ذلك حين يمسي؛ فقد أدى شكر ليلته**»[١].

● لا تستعمل تلك النعم في معصية الله..

مرَّ ابن المنكدر بشاب يراوغ امرأة؛ فقال: يا بنيَّ **ما هذا جزاء نعمة الله عليك!**..

أينعم الله عليك بالصحة والشباب، فترد له ذلك بالمعاصي والذنوب؟!.

فكِّر في نفسك؛ هل أنت من الشاكرين حقّاً؟..

هل أنت من المحبين صدقاً؟..

هل أنت من المعترفين لله بأفضاله ونعمائه؟..

هل ظهر أثر الشكر على قلبك وجوارحك؟..

---

(١) رواه أبو داود.

هل ظهر على أخلاقك وتعاملاتك؟ . .

يقول المبرد:

إذا كان شكري نعمةَ الله نعمةً عليَّ له في مثلها يجب الشكرُ
فكيف بلوغُ الشكر إلا بفضلهِ وإن طالتِ الأيامُ واتصل العمرُ

ومعنى هذا: أن الله ﷻ لا يُحمد إلا بتوفيقه، فينبغي أن يُحمَدَ على أن وفقك إلى شكره، ثم ينبغي في الحمد الثاني ما وجب في الحمد الأول؛ إلى حيث ما لا نهاية! . .

ولقد أحسن أبو العتاهية في قوله:

إذا أنتَ لم تزددْ على كلِّ نعمةٍ قد آتاكها شكراً فلستَ بشاكرِ

والله تعالى يقول: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

قال بعضهم: إذا كانت القلوب جُبلت على محبة من أحسن إليها؛ فوا عجباً لمن لا يعلم محسناً إلا الله؛ كيف لا يميل إليه بكل جوارحه؟! . .

كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يقول في دعائه:

اللهمَّ إني أعوذ بك أن أبدّل نعمتك كفراً، أو أن أكفرها بعد معرفتها، أو أنساها فلا أثني بها.

❊ ❊ ❊

الليلة
٣٢

أدعوك يا ربِّ (١)

يا رب.. أعطني الأمل، وخذ مني اليأس..

يا رب.. ازرع نضارة الحب في قلبي، وانزع أشواك الحقد من نفسي..

يا رب.. امنحني القوة على أن أتغلَّب على شهواتي، وارزقني التعقُّل لأنتصر على غروري وأهوائي..

يا رب.. قوِّ بصيرتي لأرى عيوب نفسي، وضع على عيني عصابة سوداء كي لا أبالغ في عيوب غيري..

يا رب.. ساعدني على إسعاد أكبر عدد من الناس، فأزيد أيامهم السعيدة، وأختصر لياليهم الباكية..

يا رب.. هبني لذة العفو، وجرِّدْني من شهوة الانتقام، لا تجعلني ضعيفاً أمام الأقوياء، ولا جبّاراً في مواجهة الضعفاء..

يا رب.. ازرع في قلبي التسامح والرحمة، وانزع من نفسي التعصب والقسوة..

يا رب.. املأ قلبي بالإيمان بك، وجوانحي بمحبتك، وجوارحي بالإخلاص لك..

يا رب.. افتح عيني لأرى جمال ما صنعت في كلِّ ما حولي..

يا رب.. إذا أعماني الغرور فبصّرني، وإذا ركبني الذلُّ فارفعني، وإذا اضطرني الزمن أن أحني رأسي للقوة، فذكّرني بأن القوة لا تدوم، وأن كلمة الحق هي التي تدوم..

يا رب.. إذا وقعتُ فعلّمني كيف أقف، وإذا وقفتُ فذكّرني بالواقعين على الأرض حتى أنحني وأساعدهم على الوقوف..

يا رب.. إذا نصرتني على خصومي فلا تتركني أشمت بهم..

يا رب.. لا تدعني أخلط بين القناعة والخمول، ولا بين العزة والغرور، ولا بين التواضع والمذلة..

يا رب.. أعطني القوة على أن أنتصر للحق؛ سواء كان هذا الحق في أيدي الأقوياء أو الضعفاء..

يا رب.. ساعدني أن أكون إحدى الشموع الصغيرة التي تبدِّد الظلام.

يا رب.. ساعدني على نشر التسامح بين الناس، وإقناعهم بأن الانتقام هو سلاح الضعيف، والتسامح سلاح الأقوياء..

يا رب.. ساعدني على أن أرى عيوبي كبيرة لأتخلَّص منها، وعيوب الناس صغيرة حتى لا تعيش في ذاكرتي..

يا رب.. ساعدني على ألَّا أكره من يكرهني، وأن أزداد حبّاً لمن يحبني..

يا رب.. إذا أخطأتُ في حق الناس؛ فساعدني على أن أعتذر لهم عن أخطائي، وإذا أخطأ الناس في حقِّي؛ فساعدني لأغفر لهم زلاتهم..

❁ ❁ ❁

الليلة ٣٣

أدعوك يا ربِّ (٢)

يا رب.. ساعدني على أن أجد لذة في العطاء أكثر من متعة التجار في تحصيل ديونهم..

يا رب.. أسعد كل مَنْ حولي؛ حتى أتمتع بسعادتي، فأنا لا أستطيع أن أضحك بين الدموع، ولا أن أستمتع بنور الفجر وحولي مَنْ يعيش في الظلام..

يا رب.. إذا رماني الناس بالطوب، فساعدني على أن أجمع هذا الطوب فأبني به عمارة، وإذا رموني بالزهور، فساعدني على أن أوزعها على الذين علّموني وأمسكوا بيدي الصغيرة وأنا أكافح عند سفح الجبل..

يا رب.. ساعدني على أن أذكر أخطائي لأتخلص من عيوبي، وأن أنسى أخطاء إخواني لأحتفظ بهم..

يا رب.. إذا نجحتُ؛ فلا تدع الغرور يقتلني، وإذا وقعتُ على الأرض؛ فلا تدع الجهل يوهمني أن الناس قد حفروا لي تلك الحفرة..

يا رب.. ساعدني على أن أقف من جديد، وافتح عيني وعقلي حتى لا أقع في حفر الأيام القادمات..

يا رب.. أعطني شجاعة الرأي لأقول رأيي، وشجاعة الخُلق لأتراجع إذا كنتُ مخطئاً، فالأقوياء يؤمنون بآرائهم ويسمعون آراء الآخرين، والضعفاء يتعصَّبون لرأي من الآراء، ويوصدون عقولهم عن رأي الآخرين..

يا رب.. ساعدني على ألا أتخلَّى عن مظلوم، وألا أخاف من ظالم، وإذا انتصر الظلم فلا تتركني أعدو في موكب الهاربين..

يا رب.. ساعدني على أن أقنع الناس أن التسامح ليس ضعفاً، وأن الحبَّ أقوى من الكراهية، وأن الكسب الحلال أبرك من المال الحرام..

يا رب.. لا تدع اليأس يتسلَّل إلى قلبي؛ فاليأس يعمي العيون، فلا ترى الأبواب المفتوحة ولا الأيدي الممدودة..

يا رب.. ساعدني على أن أملأ قلبي بعرفان الجميل للذين ساعدوني على الاقتراب من قمة الجبل، وعلمني كيف أمسح دموع الناس، وأرسم على شفاههم البسمات والضحكات..

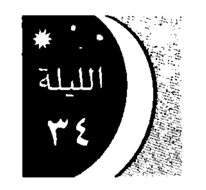
يا رب.. علِّمني كيف أزرع الأمل في قلب يائس، وكيف أمدّ يدي لإغاثة ملهوف أو محتاج..

يا رب.. علِّمني أن الرفعة في التواضع، وأن العالِمَ هو الذي يعترف بجهله، وأن القويَّ هو الذي ينحني لرجل ضعيف يأخذ بيده.

يا رب.. ساعدني على أن أحوّل فشلي إلى نجاح، وأن أقنع الناس أن الفشل هو أول درجات النجاح، وليس آخر مراحل الكفاح..

يا رب.. ساعدني على أن أزرع الأمل في القلوب، وأضمِّد الجراح، وأمسح الدموع، وأضيء الشموع في وسط الظلام..

❁ ❁ ❁



تدعو عليهم.. أم تدعو لهم؟

إذا رأيتَ أناساً يعصون الله؛ فماذا أنت فاعل؟..

كان معروف الكرخي جالساً يوماً مع أصحابه على نهر دجلة؛ فمرَّ زورقٌ فيه شباب يغنّون ويرقصون، ويضربون بالدفوف، ويشربون الخمر، فقال له أصحابه: إن هؤلاء يعصون الله، ويفعلون المنكر، **فادعُ عليهم**..

فرفع يديه إلى السماء وقال: اللهمَّ كما فرَّحتَهم في الدنيا؛ فرِّحهم في الآخرة، وأدخلهم الجنة!.

فقال له أصحابه: قلنا لك: **ادعُ عليهم، فدعوتَ لهم** أن يفرحوا في الآخرة! وكيف سيفرحون وهم عصاة كما رأيت؟!..

فقال الكرخيُّ: إنِ استجابَ الله دعائي وأراد أن يُفرحَهمْ في الآخرة؛ هداهم إلى ما يحبُّ ويرضى، وأصلحَ أمرهم في الدنيا، ففرحوا في الآخرة ودخلوا الجنة!..

فإذا رأيتَ أناساً عصاة يفعلون ما لا يُرضي الله؛ فادعُ لهم بالهداية؛ لا تدعُ عليهم بالهلاك والخسران.. ألم يدعُ حبيبنا المصطفى ﷺ لقريش عندما أتاه مَلَكُ الجبال وعرض عليه أن يُطبق على مكة الأخشبين (جبلين في مكة)؛ ألم يقل: «**اللهمَّ اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون**»؟!..

وقال أيضاً: «**بل أرجو أن يُخرِجَ الله من أصلابهم مَنْ يعبد الله وحده، لا يُشرك به شيئاً**»[1].

ذَكر لي شابٌّ: أنه سافر للدراسة في فرنسا، وكان يسكن في الشقة

---

(١) رواه البخاري.

المقابلة شاب فرنسي، كان موزع الجرائد يضع الجريدة كلَّ يوم أمام باب الفرنسي، انتبه صاحبنا إلى تراكم الجرائد أمام بيت جاره، سأل عن الخبر، فعلِمَ أنه مسافر!..

أخذ يجمع الجرائد للفرنسي عنده في البيت.

وبعد ثلاثة أشهر عاد الفرنسي من سفره، فسلَّم عليه صاحبنا وهنأه بسلامة الوصول، ثم أعطاه الجرائد مرتبة حسب وصولها!..

تعجّب الفرنسي من هذا الفعل، وقال: كم تريد مني أجرةً على ذلك؟.

قال صاحبنا: لا.. أنا ما فعلت هذا إلا لأن ديننا يوصينا بالجار!..

واستمر صاحبنا في **حسن معاملته لجاره الفرنسي**.. سأله الفرنسي كتباً عن الإسلام، فأهداه.. ولم تمضِ بضعة شهور حتى دخل في الإسلام!..

تُرى لو أننا أحسنَّا معاملة غير المسلمين من حولنا، أما كان قد دخل الآلاف بل الملايين منهم في الإسلام؟.

أليست الدعوة إلى الله بالفعل قبل القول؟..

وللأسف الشديد فإن الطالب المسلم عندما يذهب إلى بلاد أجنبية بقصد الدراسة، سرعان ما يقع فريسة العادات السيئة، إلَّا من رحِمَ ربُّك..

وإذا ضمَّه مجلس تحاور في الدين؛ وجد نفسه أميّاً لا يستطيع دفع شبهة، ولا ردَّ استهزاء بدينه؛ لأنه لم ينل من الثقافة الإسلامية ما يؤهِّله للدفاع عن دينه.. فلم يطمع مبشرو الديانات الأخرى أن يترك المسلم دينه ليدخل في دينهم؛ ولكنهم رضوا بأن يجهل المسلم دينه، ليصبح معلّقاً في فضاء فكري؛ لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء!..

الليلة ٣٥

كيف نذكر الله؟

هل الذكر هو تلك التسابيح التي يرددها المسلم في أوقات معينة فحسب؟.

هل الذكر مجرد تمتمة باللسان فحسب؟.

لا.. فذِكر الله أنواع: ذكر اللسان، وذكر القلب، وذكر العمل..

وذكر الله هو اتصال القلب به، والانشغال بمراقبته في كلِّ خطوة يخطوها العبد، وفي كل عمل يعمله؛ فلا يقوم بأمر إلا وهو ذاكر لله؛ هل هو في مرضاته؟ هل هو في حدود شرعه؟..

فإن تحرَّيتَ الصدق فيما تقول؛ فأنت ذاكرٌ لله..

وإن صدقتَ في وعودك؛ فأنت ذاكرٌ لله..

وإن أحسنتَ عملك ونصحت للآخرين؛ فأنت ذاكرٌ لله..

وإن أحسنتَ معاملة والديك؛ فأنت ذاكرٌ لله..

وإن أحسنتَ معاملة جيرانك؛ فأنت ذاكرٌ لله..

وإن سعيتَ في طلب الرزق الحلال؛ فأنت ذاكرٌ لله..

وكلُّ عمل تقوم به؛ وكل كلمة تلفظها ـ ما دامت ضمن حدود الشرع ـ فأنت فيها ذاكرٌ لله.

أما أن تؤدي العبادات، وتُسيء المعاملات؛ فقلبك غافل عن ذكر الله.

وتلك القراءات والأذكار التي تتلوها في صلاتك وعباداتك ألفاظ ينطق بها لسانك، ولا يستشعرها قلبك؛ فليس هذا بالذكر الصادق.. فالذكر

الصادق هو الذي يصدر عن قلبٍ واعٍ؛ ومراقبة دائمة لله ﷻ[١].

أما الذكر اللفظي باللسان؛ فهو تلك العبارات المنزِّهة لله تعالى، الشاكرة، الحامدة، المكبِّرة، الموحِّدة؛ فهو أمرٌ مطلوب بنص الآية القرآنية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١ ـ ٤٢].

يقول عليه الصلاة والسلام: «**من أكل طعاماً ثم قال: الحمد لله الذي أطعمني هذا الطعام، ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة؛ غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخّر، ومن لبس ثوباً فقال: الحمد لله الذي كساني هذا الثوب ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة؛ غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخّر**»[٢].

فكم منا من يفطن إلى هذا الذكر العظيم الأجر؟!..

● **آداب السوق:**

كم مِنَ الناس يفطن ـ حين يدخل السوق ـ فيدعو دعاء السوق؟!..

وكم مِنَ الناس يُحرم ذلك الأجر العظيم الذي يناله بكلمات معدودات؟!.. يقول عليه الصلاة والسلام: «**من دخل السوق فقال: لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير، وهو على كلِّ شيءٍ قدير؛ كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة، ورفع له ألف ألف درجة**»[٣].

* * *

---

(١) قطوف إسلامية، للأستاذ محمد الصائغ، ١٩٩٩م.

(٢) صحيح الجامع (٦٠٨٦)، وأبو داود (٤٠٢٣).

(٣) رواه الترمذي، وحسّنه الألباني.

الليلة ٣٦

إنه كان صادق الوعد

إذا كان الناس في الغرب قد تفوَّقوا علينا بالتزامهم بالوعد، والتقيد بتنفيذ مواعيدهم بحرص بالغٍ ودقة تامة، ولا يتأخَّرون عن مواعيدهم المضروبة فيما بينهم.. إذا كانوا كذلك فإن هذه الصفة من صميم الأخلاق الإسلامية؛ يقول الله تعالى مثنياً على إسماعيل عليه السلام: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٥٥].

يقول المفسِّرون: إن إسماعيل عليه السلام **وعد رجلاً أن يلقاه في موضع،** فجاء إسماعيل **وانتظر الرجلَ يومه وليلته،** فلما كان في اليوم الآخر جاء فقال له: ما زلتُ هاهنا في انتظارك منذ أمس، ولم أكن لأبرح حتى تأتينَّ..

أليس للصلاة وقت محدد؛ فإن أَدَّيْتها قبل ثوانٍ أو بعد ثوانٍ من وقتها لم تُحسَب لك؟!..

أليس للصيام وقت محدد؛ فإن أفطرتَ قبل ثوانٍ من غروب الشمس لا تُعتبر صمتَ ذلك اليوم كله؟!..

فلماذا لا نتعلَّم من عبادتنا، من أصول ديننا؟! لماذا لا نلتزم بالمواعيد؟!.. وكما يقول الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله: «فإن الناس يُكرِمُون المتأخِّر، ويعاقبون مَنْ أتى في موعده!.. فلا يضعون الطعام إلا حين يأتي المتأخّرون، ولا يبدأ الحفل إلا حين يتكرم عليهم غير المنضبطين بمواعيدهم!»..

وورد مثل هذا التأخير على النبي صلى الله عليه وسلم؛ فقد أخرج أبو داود: عن عبد الله بن أبي الحمساء، قال: بايعتُ النبي صلى الله عليه وسلم ببيع قبل أن يبعث، وبقيتْ له بقيةٌ، فوعدْتُه أن آتيه بها في مكانه، فنسيتُ.. ثم تذكرتُ بعد ثلاثٍ،

فجئتُ فإذا هو في مكانه.. فقال: «**يا فتى لقد شققتَ عليَّ!.. أنا هاهنا منذ ثلاثٍ أنتظرك**».

تأخّر عن الموعد ليس لدقائق أو ساعات، بل لثلاثة أيام!.. فيا ليت المسلمين اليوم يلتزمون بمواعيدهم؛ إذن لأراحوا أنفسهم، وأراحوا غيرهم..

فللناس أعمال وأشغال، ومن الظلم أن تتأخَّر أنت في تنفيذ مواعيدك معهم.. ففي التأخُّر عن الموعد تعطيل لمصالحهم، وخرقٌ لمبدأ الوفاء بالوعد والعهد..

يقول أحد الحكماء: «لا تَعِدَنَّ عدةً (أي: وعداً) لا تثق من نفسك بإنجازها.. فإذا لم تكن واثقاً من قدرتك على تنفيذ وعدك والالتزام بالموعد المحدد؛ فخير لك ألا تعطي وعداً»..

ونحن الآن في عصر الجوال، لا عذر لأحد في أن يترك مُضيفه ينتظره!.. أو يترك صديقه في الشارع واقفاً في انتظار مَنْ واعده، فإن كان هناك ظرف طارئ فيمكنك الاتصال بمَنْ واعدتَ؛ أخبره بما حدث، يجدْ لك عذراً..

يقول المثنى بن حارثة الشيباني:

لَأَنْ أموتُ عطشاً أحبّ إليَّ من أن أُخلف موعداً.

يقول الشاعر:

ولا خيرَ في وعدٍ إذا كان كاذباً ... ولا خيرَ في قولٍ إذا لم يكن فِعْلُ

❋ ❋ ❋

الليلة ٣٧

دواء.. لا داء فيه

سئل الحارث بن كلدة طبيب العرب يوماً: ما الدواء الذي لا داء فيه؟.

فقال: هو ألا يدخل بطنك طعامٌ وفيه طعام!..

فإدخال الطعام على الطعام يورث الأدواء والأسقام.

وسئل آخر عن خير الدواء؛ فقال: هو أن يُقدَّم إليك الطعام وأنتَ تشتهيه، وأن يُرفعَ عنكَ وأنتَ تشتهيه..

أليس هذا الدواء متوفِّراً في كلّ بيت؟! أتُرانا نحتاج إلى صيدلية نبتاعُ منها هذا الدواء؟!..

أليس بإمكان الواحد منّا أن لا يأكل حتى يجوع، وإذا أَكل أن لا يشبع؟!..

لا تجعل الطعام أكبر همك، فعليٌّ رضي الله عنه يقول: من كان همّه ما يدخل جوفه، فقيمته ما يخرج!.. ويروى أن علياً رضي الله عنه كان إذا دُعي إلى طعام أكل شيئاً قبل أن يأتيه (أي: قبل أن يذهب إلى الدعوة)، فلما سُئل عن ذلك قال: قبيح بالإنسان أن يُظهر نهمه في طعام غيره!..

ولعلّ في هذا تذكرة إلى أولئك الذين يُدعَونَ إلى العشاء في الفنادق والحفلات، فيملؤون الصحون من أطايب الطعام والمأكولات وهم يحسبون أنهم سيأكلون كل ما ملؤوا من صحون، ثم يجدون أنفسهم غير قادرين على أكل ربع هذا الطعام، بل ربما عُشْرَه.. ومن ثَمَّ ترى ذلك المنظر المؤلم؛ منظر الخادم يرمي بكل ما تبقى من طعام في سلة القاذورات!.

ولا يذكر هذا الإنسان أن هناك الملايين من الجوعى المسلمين الذين هم بحاجة إلى لقمة مما يُرمى في سلة المهملات..

يُروى أن يوسف عليه السلام لمَّا ملك خزائن مصر؛ كان يجوع ويأكل من خبز الشعير، فلما سئل: أتجوع وبيدكَ خزائن الأرض؟!..

قال: أخاف أن أشبع فأنسى الجائع!..

سبحان الله! كم منّا من يفطن في كل يوم لأولئك الجائعين من المسلمين.. في إفريقية وغيرها من البلدان؟! أنذكُر هؤلاء فنُخْرِج شيئاً من جيوبنا نتصدق عليهم ـ عن طريق المؤسسات الخيرية ـ فنشعر بلذة مواساة هؤلاء الجوعى أو العرايا من إخواننا المسلمين؟!.

❁ ❁ ❁



الليلة ٣٨

وداعاً للقلق (١)

القلق حالة نفسية تتَّصف بالخوف والتوتر وكثرة التوقعات، ويعاني منه كلُّ إنسان في مواقف معينة؛ فقد نقلق من أجل امتحان، أو مشكلة متوقعة في العمل، أو خلافات في الأسرة، أو مرض أحد الأبناء، أو ضائقة مادية.

وينجم القلق عن الخوف من المستقبل، أو توقع شيء ما، أو عن صراع في داخل النفس.

ويزداد حدوثه في الفترات الانتقالية من العمر، كالانتقال من مرحلة البيت إلى المدرسة، أو من مرحلة الطفولة إلى المراهقة، وعند الانتقال إلى سنِّ الشيخوخة والتقاعد، أو سنّ اليأس عند النساء. . . وقد يحدث القلق كانفعال طارئ يزول بزوال السبب، إلا أنه قد يصبح مزمناً يبقى مع الإنسان لساعات أو أيام.

ومن أشكال القلق: قلق الإنسان على وظيفته وعمله، أو قلق المرء على صحته حين يمرض، وقلق الأم على ابنها إن تأخَّر عن موعد وصوله، أو قلق الطالب على نتائج امتحاناته، إلى غير ذلك من الأحوال.

وقد يشكو الإنسان القلِقُ من الشعور بعدم الارتياح، وعدم الطمأنينة، أو الإحساس بالانقباض. . كما قد يشكو من اضطراب الهضم وآلام البطن، أو الخفقان واضطرابات البول، أو برودة في الأطراف، أو اضطراب في الحياة الجنسية.

ومن الناس من يقلق لأتفه الأسباب، فتساوره الهموم والشكوك، ويعيش أيامه بين القلق والاكتئاب!. .

فإذا أردت اجتناب القلق، فعليك بمراجعة نفسك، وإليك بعض الوصايا التي يمكن أن تساعدك في التخلص من القلق:

١ ـ لا تقلق على المستقبل، ولا تخشَ قلة الرزق، فالرزق بيد الله تعالى؛ قال تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢].

٢ ـ دعِ التفكير في الماضي، ولا تندم على ما فات؛ يقول الرسول ﷺ: «وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدّر الله وما شاء فعل، فإن (لو) تفتح عمل الشيطان»(١).

٣ ـ ارضَ بقضاء الله وقدره، فالمؤمن لا يخشى مصائب الحياة، وكل أمره خير؛ يقول رسول الله ﷺ: «عجباً لأمر المؤمن؛ إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن؛ إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له»(٢).

٤ ـ أحصِ نِعَم الله عليك بدلاً من أن تحصي همومك ومتاعبك؛ قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

٥ ـ لا تكن أنانيّاً، وصبَّ اهتمامك على الآخرين، اصنع في كلِّ يوم عملاً طيباً يرسم الابتسامة على وجه إنسان؛ يقول عليه الصلاة والسلام: «أفضل الأعمال أن تدخل على أخيك المؤمن سروراً، أو تقضي عنه ديناً، أو تطعمه خبزاً»(٣).

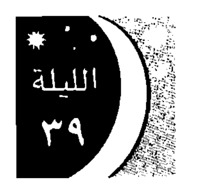
❋ ❋ ❋

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) صحيح الجامع الصغير (١٠٩٦).



وداعاً للقلق (٢)

٦ ـ اجعل عملك خالصاً لله تعالى، ولا تنتظر الشكر من أحد؛ قال رسول الله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى**»[1]. وركِّز جهودك في العمل الذي تشعر من أعماقك أنه صواب، ولا تستمع للوم اللائمين.

٧ ـ حاول أن تغيِّر الأشياء السلبية إلى إيجابية.. ويضرب ديل كارنيجي مثلاً فيقول: «إذا ألقيت بين يديك ليمونة مالحة، فحاول أن تصنع منها شراباً سائغاً حلواً».

فكِّر دوماً في السعادة، واصطنعها لنفسك تجد السعادة بين يديك.. ولا تفكِّر في محاولة الاقتصاص ممن أساء إليك؛ قال تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].

٨ ـ التزم في حياتك القواعد التالية:

أ ـ لا تهتمَّ بتوافه الأمور، ولا تعطِ الأمور أكثر مما تستحقُّ، ولا تجعل صغائر المشاكل تهدم سعادتك.

ب ـ احتفظ لنفسك بسجلٍّ تدوِّن فيه الأخطاء التي ارتكبتها، واعلم أنه من العسير أن تكون دوماً على صواب.

جـ ـ تقبَّل نصيحة الراشدين؛ فالرسول ﷺ يقول: «**الدين النصيحة**»[2].

د ـ حين تعترضك مشكلة احسمها فور ظهورها.

---

(١) رواه البخاري. (٢) رواه مسلم.

هـ ـ أضف إلى عملك ما يزيد استمتاعك به.

و ـ لا تؤجّل عمل اليوم إلى الغد.

ز ـ تعوَّد النظام والترتيب، وافعل الأهمَّ ثم الأهمَّ.

ح ـ لا تحمِّل نفسك ما لا تطيق؛ قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، واسترحْ قبل أن يدركك التعب.

٩ ـ تحرَّى الحكمة في إنفاقك، ولا تقتِّر على عيالك، قال ﷺ: **«أفضل دينار ينفقه الرجل: دينار ينفقه على عياله، ودينار ينفقه الرجل على دابته في سبيل الله، ودينار ينفقه على أصحابه في سبيل الله ﷻ»**[1].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩].

١٠ ـ لا تستسلم لعقدة الإحساس بالذنب، فالله غفور رحيم؛ قال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢].

وقال تعالى في محكم كتابه: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ [الزمر: ٥٣].

وإذا أصابتك لحظات من القلق والخوف؛ فلا تجزع ولا تيئس؛ فقد تكون ابتلاءً من الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

❋ ❋ ❋

---

(١) رواه مسلم.

الليلة ٤٠

هل أنتَ مهمٌّ؟

إذا كنتَ هنيَّ النفس، أنيساً مع أهلك وذويك، محسناً إلى والديك وإلى من في جوارك . .

وإذا كنتَ تستقبل الصباح بالتسبيح لله، والمساء بالتمجيد له . .

وإذا كنتَ تحب رؤية الجمال فيما خلق الله . .

وإذا أدركت أن كلَّ شيء يسبح بحمد الله، وتأكدت أنك مخلوق للعظائم لا للتوافه . .

وإذا عرفتَ أن ابن آدم خطَّاء، فأصبحت تميل إلى السماح والعفو عمن أساء إليك .

وإذا رأيتَ نفسك في منجًى من كل تعجرف وتسلّط وعدوان؛ إذا تهيأ لك كل ذلك، مع عشرات الأمور التي لم أُشِر إليها . . أصبحتَ قادراً على أن تفهم حكمة الله وتدنو منه وتحبه وتشكره؛ أنْ آثرك على كثيرٍ من خلقه، وأنشأك على الكرامة ونبل المقاصد، فأصبحت تفهم كيف يكون الإنسان خليفة الله في الأرض، وغدوتَ مستعدّاً لأن تكون من عباد الله المخلصين[١] .

يقول أحد الحكماء : من رُزق ستّاً لم يُحرم ستّاً :

من رُزق **الشكر** لم يُحرم **الزيادة**؛ لأن الله تعالى يقول : ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم : ٧] .

ومن رُزق **الصبر** لم يُحرم **الثواب**؛ لأن الله تعالى يقول : ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر : ١٠] .

---

(١) الصحة النفسية للمراهقين والشباب، للأستاذ عدنان السبيعي، (بتصرف) .

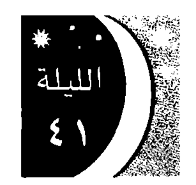
ومن رزق **التوبة** لم يُحرم **القَبول**؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ [الشورى: ٢٥].

ومن رُزق **الاستغفار** لم يُحرم **المغفرة**؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح: ١٠].

ومن رُزق **الدعاء** لم يُحرم **الإجابة**؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ١٠].

ومن رُزق **النفقة** لم يُحرم **الخَلَف**؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ [سبأ: ٣٩].

❃ ❃ ❃



أحسن إلى والديك ولو كانا كافرَيْنِ!..

لبستِ العلاقة مع الوالدين في كثير من بلادنا ثوبَ «الاستحباب»، وخلعت ثوب الفرض أو الواجب الذي جاء به الإسلام! وكأن بعض الشباب فَهِمَ أنه يُستحب لهم طاعة الوالدين، وأن ذلك ليس فرضاً عليهم!..

ألم يقرن الله الإحسان إلى الوالدين بعبادته سبحانه؛ فقال: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾ [النساء: ٣٦]؟!..

ألم يكرر الله ذلك في مواضع عدة في القرآن الكريم ليبيّن عظمة برِّ الوالدين؛ فقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ﴾ [الإسراء: ٢٣]؟!.

فالإحسان إلى الوالدين عبادة..

والكلمة الطيبة مع الوالدين عبادة..

ونظرة الود إليهما عبادة..

وأي عمل تُدخِلُ فيه السرور عليهما.. عبادة.

ولا تأتي كلمة الإحسان إلا في أمر يُزاد فيه على المفروض، وكأنَّ الله تعالى لا يريد من الأبناء فرض البر لوالديهم فحسب، بل يريد منهم أن يصلوا إلى مقام الإحسان في برِّهم لوالديهم؛ أليس الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه؟! ثم أليس برّ الوالدين عبادة أمرنا الله تعالى بها؟! فكيف يكون الإحسان في برِّ الوالدين؟.

إنها علاقة جميلة فريدة، تكون بأن **تُحسن إلى والديك وكأنك ترى الله تعالى في تعاملك معهما**.. فإن لم تكن تراه، فاعلم أنه يراك، ويرى وما

تُخفي نواياك وأنت تتعامل مع والديك!.. أين هذا من علاقة الأبناء بآبائهم في أوروبة وأمريكة؟!..

والعجيب أن **لفظ الإحسان إلى الوالدين قد تكرر في القرآن الكريم خمس مرات**: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ تأكيداً على عظمة هذا الأمر، وعلى أن يبذل الأبناء أقصى ما يستطيعون في إحسانهم لوالديهم.. ألن يصبح هؤلاء الأبناء والبنات آباءً وأمهات عمّا قريب؟! ألن يعاملهم أبناؤهم بنفس الطريقة التي عاملوا بها آباءهم؟!.

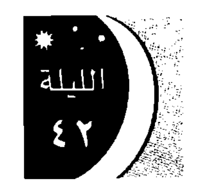
وقد أوصى الله تعالى بالإحسان إلى الوالدين حتى ولو كانا كافرين..

فهذا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يروي عن أمه أنها قالت: أليس قد أمر الله بالبرِّ؟!.. والله لا أطعم طعاماً ولا أشرب شراباً حتى أموت أو تكفر!.

فأبى سعد أن يطيع أمه، فنزل قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت: ٨].

فلا طاعة لهما في معصية الله، مع بقاء الصلة والإحسان إليهما..

❊ ❊ ❊



تفنَّنْ في شُكر والديك

شكر بالقلب. . فالوالدان سبب وجودك ـ من بعد الله ـ في هذه الحياة!.

وشكر باللسان. . ليس على الطريقة الأوروبية والأمريكية بأن تقول: «شكراً: Thank You» فقط، وإنما: شكر بالجوارح؛ من طاعة، وإكرام، وإسعاد للوالدين[١].

جاء رجل إلى عمر بن الخطاب ﷺ فقال: يا أمير المؤمنين! أمي عجوز كبيرة، أحمِلُها على ظهري، وأنحني عليها بيدي، أوأدَّيتُ شُكرها؟.

قال: لا. .

قال: لِمَ يا أمير المؤمنين؟. .

قال: إنك تفعل ذلك بها **وأنت تدعو الله أن يُميتها**، وكانت تفعل ذلك بك **وهي تدعو الله أن يُطيل عمرك!**.

روي عن وهب بن منبه: أنه قال: «أوحى الله إلى موسى: يا موسى وقِّر والديك؛ فإن من وقَّر والديه مددتُ له في عمره، ووهبتُ له ولداً يبرُّه، ومن عقَّهما، قصَّرتُ عمره، ووهبتُ له ولداً يعقُّهُ».

وبر الوالدين أفضل من الجهاد؛ فقد هاجر رجل إلى رسول الله ﷺ من اليمن. . فقال عليه الصلاة والسلام: «**هل باليمن أبواك؟**».

قال: نعم. .

قال: «**هل أذِنا لك؟**».

(١) المسؤولية عن برِّ الوالدين، (بتصرف).

قال: لا..

فقال عليه الصلاة والسلام: «**فارجع إلى أبويك فاستأذنهما؛ فإن فعلا فجاهد، وإلا فبِرَّهما**»[١].

● **كيف تبرهما بعد الموت؟:**

سأل سائلٌ رسولَ الله ﷺ: هل بقي من برِّ أبويَّ شيءٌ أبرّهما به بعد موتهما؟.

فقال عليه الصلاة والسلام: «**نعم!.. الصلاة عليهما** (أي الدعاء لهما)، **والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما**»[٢].

❁ ❁ ❁

١) رواه أحمد.

٢) رواه أبو داود.

الليلة ٤٣

واخفضْ لهما جناحَ الذلِّ

شبَّه الله تعالى الابن بالطائر، والطائر إذا أراد التحليق رفع جناحيه، وإذا أراد أن يهبط إلى الأرض خفض جناحيه، فكأن هذا الابن طائرٌ بين يدي والديه، يحطُّ من كبريائه أمامهما مهما كانت مرتبته ومنزلته، ويحنو عليهما كما يحنو الطائر على فراخه الصغار.

● وهذا الإمام أبو حنيفة يخبرنا بأن أمه حلفتْ يميناً.. فسألتْه عن فتوى اليمين، فلم تطمئن لجوابه ـ وهو إمام المذهب الحنفي ـ وطلبت منه أن يسأل لها أحد القصَّاصين (الذي كان يعظ الناس بقصصه وهو ليس أهلاً للفتوى).

فذهب أبو حنيفة إليه وقال له: إن أمي قد حلفت يميناً وأمرتْني أن أسألك، ولا أريد أن أخالف أمرها!..

فقال له القاصُّ: علِّمني الجواب.. فأخبره أبو حنيفة بذلك، وأعاد القاصُّ الجواب، وقال: أخبر أمك أني أفتيك به.

فعاد أبو حنيفة إلى أمه وأخبرها بالجواب.. فرضيت بقول القاص!.

أليس في هذا منتهى التواضع للوالدين؟!.. تأمره أمه أن يذهب إلى شخص عادي جاهل بالفقه؛ رغم كل علم أبي حنيفة وشهرته بين الناس! فلا يتضايق ولا يتبرَّم، ولا يقل لها: ﴿أُفٍّ﴾ [الإسراء: ٢٣]..

● وقد روي عن بعض السلف: أنه كان يتمرَّغ بقدمي أمه ويُقبِّلهما، وحين سئل عن ذلك، قال: كنتُ أتمرَّغ في الجنة.. إشارة إلى قول رسول الله ﷺ: «**الزمها فإن الجنة عند رجلها**»[1].

---

(١) صحيح الترغيب، للألباني (٢٤٨٥).

● وقال هشام بن حسان (محدِّث البصرة) للحسن البصري: إني أتعلَّم القرآن، وإن أمي تنتظرني على العشاء.. فقال الحسن: أن تتعشَّىٰ العشاء مع أمك تقرُّ به عينها، أحبُّ إليَّ من حجة تحجُّها تطوعاً.

أليس هذا ما ينبغي أن يتربَّى عليه أولادنا؟!..

تعشَّوْا مع أمهاتكم..

أفطروا مع آبائكم وأمهاتكم..

أسعدوهم بهدية من حين لآخر..

قدِّموا لهم ما يحبُّون..

أفرحوا قلوبهم بما يشتهون..

أسعدوهم تنالوا رضا رب العالمين، ويرزقكم أبناء بارِّين..

❋ ❋ ❋

الليلة
٤٤

لا تسافر دون إذن والديك

يا بنيّ!.. لا تسافر دون إذن والديك، تذكّر قول ابن يعقوب عليه السلام حين قال: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ﴾ [يوسف: ٨٠]؛ فلن تجد أبوين يقفان في وجه ابنهما إن طلب الولد الإذن بالسفر لطلب العلم.. وإن حصل ذلك حاورْهما بالحُسنى؛ واسأل أحداً من أقربائك أن يتفاهم مع والديك..

وعندما يكون الشاب على مفترق طرق؛ يريد الدراسة الجامعية في الخارج؛ فكثيراً ما يكون الأبناء في هذه الفترة من العمر تنقصهم الحكمة والنظرة الشاملة، فيقوم الوالدان بإرشاد أبنائهما إلى ما فيه الخير.

وقد تتعارض الرغبات، وهنا يظهر الابن البار بوالديه؛ يسمع مشورتهما، ويطيع أمرهما؛ حتى ولو ظنَّ الابن أن رأي والديه لا يلائم هذا العصر.

إذا وصل الأمر إلى اختلاف الرغبات؛ فليستشر الابن والوالدان أشخاصاً حكماء خبراء في هذا المجال؛ يوفّقون فيما بينهم، ويرشدونهم إلى خير السبل إن شاء الله.

ومهما كان الأمر فلا ينصح الأبناء أن يتركوا آباءهم في هذا السن المبكر (سن دخول الجامعة) ويسافروا إلى دول أخرى للدراسة فيها بعيداً عن إرشادات الأبوين، وحنان الأهل.

وهل يطمئن الأهل على ابنهم في هذا السن المبكر: أن يسافر إلى دولة بعيدة، يعيش بمفرده يتعرَّض لهذه الموجات العاتية من فساد الفضائيات وحُمَّى الإنترنت؛ يرى الفتيات المتبرجات في الجامعة، في الشوارع، وفي كل مكان.. يواجه كل هذه المغريات، وهو أعزب في عنفوان الشباب؟!..

ماذا يفعل هذا الشاب أمام تلك الإغراءات؟! . .

أيغرق في هذه الأهوال والمتاهات؟ أم يقاوم ويقاوم، ويلتجئ إلى الله سائلاً الله تعالى أن يحميه من تلك المغريات، ويهيئ له صديقاً طيباً يشدُّ من أزره، ويصمد معه، يحارب الشهوات والمنكرات، ويلجأ إلى ركن ركين؛ إلى رب العالمين! . .

* * *



الليلة
٤٥

مَنْ نطيع إذا اختلفا؟

إذا تعارضت رغبة الأب والأم؛ فأيّهما نقدِّم ونطيع؟..

لعلَّ حديث رسول الله ﷺ يجيب على هذا السؤال؛ فقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «**أمك**» قال: ثم مَن؟ قال: «**أمك**» قال: ثم مَن؟ قال: «**أمك**» قال: ثم مَنْ؟ قال: «**أبوك**»[1].

فجميع ما يمكن أن يعانيه الأب محسوسٌ مِن قِبل الابن؛ يرى أباه يتعب في عمله، ويلبي طلباته، ولكنه لم يرَ أمه تحمله في بطنها تسعة أشهر، ولم يعايش آلام أمه حين ولدتْه، ولم يرَ سهر أمه الليالي الطوال وهو يبكي من الألم أو المرض؛ لا يذكر شيئاً عن أمه وهي تنظف أقذاره، أو تحمله على كتفها ليل نهار...

ولكن ما المقصود بهذا التفاضل بين الأبوين؟..

أهو في الطاعة وامتثال الأوامر، أم في الصحبة والإحسان إليهما؟..

يقول الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الطاعة للأب، والبر للأم.. «وطاعة الوالدين واجبة، ولكن يترجح حق الأب على الأم في طاعة أوامره؛ لأنه ولي الأمر وإليه يعود النسب، وذلك دون الإنقاص من حق الأم في الطاعة والتعظيم..

ويترجَّح حق الأم على الأب في التودد إليها، وإكرامها، والقيام بخدمتها، والإحسان إليها، وذلك دون الإنقاص من حق الأب في التودد والإكرام والإحسان»[2].

---

(١) رواه البخاري.

(٢) المسؤولية عن الوالدين، ربيع حسن كوكه، (بتصرف).

يقول الدكتور مصطفى السباعي رَحِمَهُ اللهُ:

الأم أقوى عاطفة نحو الصغير..

والأب أقوى إدراكاً لمصلحته..

ومن رحمة الله به توفيرهما له معاً!..

ويأتي أعرابي إلى رسول الله ﷺ ويقول: إن أبي يريد أن يجتاح مالي (أي: يأخذ مالي).

فقال ﷺ: **«أنت ومالك لوالدك، إن أطيب ما أكلتم من كسبكم، وإن أموال أولادكم من كسبكم؛ فكلوه هنيئاً»**[١]

* * *

(١) رواه أحمد.

الليلة ٤٦

كيف تتعامل مع والدك المسنّ؟ (١)

والدك.. والدتك.. في طريقهما إلىٰ الشيخوخة، وأنا وأنت سنتبعهم لا محالة - إن كتب الله لنا العمر -، فالله تعالى يقول: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [الروم: ٥٤].

هما ينتظران منك أن تقابلهما بالتقدير والعرفان، لسنوات طوال قضياها في رعايتك، بذلا كل ما في وسعهما كي تكبر وتنضج، وتبدأ في العطاء!..

ولكن، عليك أن تعرف خصائص هذه المرحلة من العمر؛ كي تعرف كيف تعاملهما، وتحسن إليهما.

فهما لا يستطيعان تغيير أسلوب حياتهما بعد هذا العمر المديد، ولا يستطيعان التكيف والتأقلم..

ويصبح المسنُّ أقل استجابة، وأبطأ في تفاعلاته مع الأحداث، قد يبدو غير قادر على التعبير عن مشاعره، وقد يظهر أمام الأبناء بارداً في مشاعره وانفعالاته.

ربما لا يستطيع أن يفرح بسرعة، ولا أن يحزن بسرعة، فيظن الأبناء أنه غير مبالٍ ولا مكترث بما يحيط به! وكثيراً ما يضعف السمع والبصر عند المسنين، وتضعف أجسادهم، ويصابون بالوهن، بل ربما يصاب البعض منهم بالخَرَف؛ قال تعالى: ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ [النحل: ٧٠]، وتكثر أمراضهم؛ من مرض السكري إلى ارتفاع ضغط الدم إلى هشاشة العظام وغيرها..

وبسبب كل هذا يحجمون عن الاختلاط بالناس، وقد يلتزمون الصمت

إذا جلسوا في مجلس، فتضعف مشاركتهم لضعف سمعهم أو عدم قدرتهم على مواكبة الأحداث.. وغير ذلك.

وقد يخطئ المسنُّ في استعمال أدويته، فيأخذ جرعة أكبر أو أقل، وهذا ما يجعلك مسؤولاً عن أدويتهم كي لا يصابوا بمكروه لا سمح الله..

ويقلُّ النوم عند المسنين؛ فهم ينامون مبكِّرين، ويستيقظون مبكِّرين، وقد يستيقظ المسنّ في الليل مرات عديدة للتبوُّل؛ فاحرص على صحته وسلامته.

تذكَّر: أن أباك وأمك أمانة عندك، وأنها فرصة لك كي تكسب رضاهما.. تُسعدهما وتفرحهما، فتنال رضا الله في رضاهما، وتفوز بأعلى الجنان..



الليلة ٤٧

كيف تتعامل مع والدك المسنّ؟ (٢)

١ ـ أبوك وأمك يحتاجان إلى حنانك وعطفك كما كنتَ محتاجاً إليهما في صغرك؛ فلا تبخل عليهما بالعطف والحنان؛ قال تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤].

٢ ـ لا تصطدم معهما في رأي معين، وقد يحتاج الأمر إلى عدة محاولات للإقناع..

٣ ـ لا تلحّ على المسنِّ، ولا تطالبه بالإسراع في أمر ما.

٤ ـ تذكَّر أن المسنَّ يستمتع بالحديث عن الماضي السحيق، عن تجاربه في الحياة، عن الأحداث التي عاشها في الماضي، فأصغِ إليه وأظهرْ له التفاعل والإعجاب.

٥ ـ حين تتحدث مع مسنٍّ ضعيف السمع، فارفع صوتك حتى يسمعك بشكل جيد، ولا تتكلم مع الآخرين بصوت منخفض في حضرته؛ فإن ذلك قد يؤذيه..

٦ ـ لا تنزعج من فتور تفاعل المسنّ لأمر معين؛ فهو يحتاج إلى وقت أطول للتفاعل مع الأحداث.

٧ ـ لا تنسَ أن دعوة الوالد لولده دعوة لا تُرَد، فاحرص على أن تنال الكثير من تلك الدعوات.

● **يصرخ في وجه أمه!:**

والله لقد حَزنتُ أشدّ الحزن حينما سمعتُ شابّاً يصرخ في وجه أمه العجوز في الغرفة المجاورة لعيادتي في المستشفى!..

يصرخ فيها قائلاً: إلى متى آتي بكِ إلى المستشفى؟! ألا تنتهين من زيارات الأطباء؟!..

دخلتُ إليه وقلت: وا عجباً من فعلك يا بنيَّ!..

أنسيتَ كم أَتَتْ أمك بك إلى المستشفى وأنت صغير؟!.

أنسيتَ كم سهرتْ من ليالٍ وأنت تصرخ من الحُمى والألم؟!..

أنسيتَ كم تَعِبتْ من أجلكَ حتى وصلتَ إلى ما أنتَ فيه؟!..

أنسيتَ كم خافت عليك وأنت تقطع الطريق إلى المدرسة؟!..

أنسيتَ كم تلهفتْ لرؤياك وأنت عائد من المدرسة؟!..

أنسيتَ.. أنسيتَ.. أنسيتَ؟!..

أيهون عليك أن تصرخ الآن في وجه أمك العجوز؟!..

كيف تجرؤ على الإساءة إليها وقد بلغت من الكبر عتيّاً؟!..

ألا تخشى أن تغضب عليك فلا ترضى بعدها أبداً؟!..

ألا تعلم أنها لو غضبتْ عليك لما ذقتَ طعم الجنة أبداً؟!..

أخذ الشاب يجهش في البكاء كأنه طفل صغير! أحسَّ في تلك الكلمات وكأنها صفعَةٌ على وجهه أيقظته من سبات عميق! انهال على وجه أمه يقبِّله؛ قبَّلَ يديها، وقبَّل رجليها.. فما شاهدت في حياتي منظراً كهذا قط!..

* * *

الليلة ٤٨

لا تفعل يرحمك الله..

سمع أبو هريرة ﷺ رسولَ الله ﷺ يقول:

«كانت امرأتان معهما ابناهما، جاء الذئب فذهب بابن إحداهما..

فقالت صاحبتها: إنما ذهب بابنكِ..

فقالت الأخرى: إنما ذهب بابنكِ..

فتحاكمتا إلى نبيِّ الله داود، فقضى به للكبرى..

فخرجتا على سليمان بن داود، فأخبرتاه فقال: ائتوني بالسكين أشقَّهُ بينهما!..

فقالت الصغرى: لا تفعل يرحمك الله! هو ابنها..

فقضى به للصغرى»[١].

فالأم الحقيقية هي الصغرى؛ لأنها رضيت أن يؤخذ ابنها منها طالما أنه سيبقى حيّاً سليماً!.

فقد ضحَّت هذه الأم بفراق ابنها من أجل أن يبقى على قيد الحياة... وهذا بالطبع ما تريده كلُّ أم.

أرأيت يا أخي! لو تكررت هذه القصة فيك مع أمك لما فعلَتْ إلا ما فعلتْهُ هذه الأم!..

فهل حقّاً نجازي أمهاتنا ولو بالكلمة الطيبة، بالقُبلة الحانية على جبينها، بتقبيل يديها، بطلب الدعاء منها كل صباح وكل مساء؟!..

---

(١) رواه البخاري.

هل نتفقَّد حالها ـ إن كنّا بعيدين عنها ـ ولو بكلمة على الهاتف أو الجوال؟!..

هل نعطيها شيئاً من الراتب الشهري؛ مهما كان هذا الجزء قليلاً؟..

هل نفطن إلى حاجياتها وشؤونها؟!..

حكى لي طبيب بيطري كان في زيارة منزلية للكشف على «فَرَسٍ» لأحد الأثرياء، ولما انتهى من فحص الفرس أعطاه صاحب الفرس أتعاب «الكشفيَّة» ما يعادل مئتي دولار، وقبل أن يخرج من المنزل نادى ابنُ صاحب الفرس: يا أبتِ إن جدتي ـ أمك ـ تئن من الألم من بطنها في الداخل؛ فهل نطلب لها الطبيب؟..

فماذا كانت إجابة الأب؟.. هل قال لابنه: ائتها بأفضل طبيب في البلد مثلما فعل مع «الفرس»؟ هل ترك كل شيء ودخل يتفقَّد حال أمه؟ لا والله! لقد قال بكل برودة وجفاء: خذها إلى (المستشفى الحكومي المجاني) في البلد!..

بالطبع ليس هذا طعناً في المشافي الحكومية، ولكن لماذا يُنفق كلَّ هذا المال على معاينة فَرَسه، ولا ينفق رُبعه على معاينة أمه عند طبيب اختصاصيٍّ؟!..

لماذا يُسرِف هؤلاء على متاع الحياة الدنيا، ويبخلون على أمهاتهم وآبائهم؟!..

يقول شكسبير: لا توجد في العالم وسادةٌ أنعم من حضن الأم، ولا وردة أجمل من ثغرها!..

❊ ❊ ❊

الليلة
٤٩

لا تغضب

«**لا تغضب**». . حديث شهير لرسول الله ﷺ، وإذا كنا نريد أن نحقق هذا الهدي النبوي الشريف، فلا بدَّ لنا من معرفة أسرار الغضب، ولماذا نغضب؟.

وسبب الغضب ـ ببساطة شديدة ـ شعورنا بفقد السيطرة على أعصابنا في موقف أو حوار ما، أو أن هناك من يستفزُّنا أو يُهينُنا بكلمة أو تصرف أو موقف.

إذا ازدحم الطريق وتتالت طوابير السيارات أمام الإشارة فلا تَغضب؛ لأن غضبك لن يحوِّل الإشارة الحمراء إلى خضراء، ولكنه يحرق أعصابك؛ يتسرّع نبضك، ويزيد ضغط الدم عندك. .

وإذا تأخرتَ عن موعد بسبب ازدحام السير؛ فلا تغضب، ولكن قُل: قدَّر الله وما شاء فعل. . احرص على إعطاء نفسك وقتاً أطول في المرة القادمة للطريق الذي ستسلكه.

وإن غضبت لأنك شعرت بأن فلاناً من الناس قد انتقدك أو تكلّم بنبرة قاسية معك، فأحسِنِ الظن فيه، فربما كان يريد نصحك ولم يجد الأسلوب المناسب، أو أن نبرة كلامه المعتادة نبرة عالية وحادة.

يقول توماس كارليل: «حين نستشعر الغضب في نقاش ما؛ فعندئذ نتوقف عن البحث عن الحقيقة، ونكدح في سبيل تأييد الذات».

فإذا كنت في نقاش؛ ففتش عن الحق أيّاً كان. . ورحم الله الإمام الشافعي حيث قال: ما جادلتُ أحداً إلا تمنيتُ أن يُظهِرَ الله الحقَّ على لسانه دوني!. .

يروى أن جاريةً لميمون بن مهران أتته ذات يوم بوعاء فيه مرقةٌ حارةٌ وعنده ضيوف، فتعثَّرتْ وانسكبت المرقة عليه، فأراد ميمون أن يضربها.

فقالت الجارية: يا مولاي استعمل قوله تعالى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾

قال لها: قد فَعَلتُ..

فقالت: اعمل بما بعده: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾.. فقال: قد عفوتُ عنك..

فقالت الجارية: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.. قال ميمون: قد أحسنتُ إليكِ، وأنتِ الآن حرَّةٌ لوجه الله..

والرسول عليه الصلاة والسلام يبشِّر الكاظمين الغيظ؛ فيقول: «من **كظم غيظاً وهو يقدر على أن يُنفذَه، ملأ الله قلبه أَمناً وإيماناً**»[١].

فإذا تعوَّدت أن تغضب من كل ما لا يرضيك، فلن تهدأ ثورة الغضب عندك..

والذي يغضب عندما يُلام؛ يعني هذا اعترافاً منه بأنه يستحقُّ ذلك اللوم.

قال حكيم: ستتعلم الكثير من دروس الحياة؛ إذا لاحظتَ أن رجال الإطفاء لا يكافحون النار بالنار!..

❊ ❊ ❊

(١) رواه أبو داود.

الليلة
٥٠

غنَّت قبل أن تموت!..

يقول الرسول عليه الصلاة والسلام: «**يُبعث كلُّ عبد على ما مات عليه**»[1]..

فمن مات ملبياً بُعثَ ملبياً، ومن مات سكراناً بُعث سكراناً..

ولكن ما بال من غنَّت قبل أن تموت؟..

كانت إحداهنَّ في المستشفى تتحدَّث، تتحرك.. يقول الدكتور عبد المحسن الأحمد: كنتُ آخر من كشف عليها، وحين نزعتُ السماعة من أذني وإذا بها تقول بالحرف الواحد: الله يعافيكم كيف نتيجة التحاليل؟.. فوالله لقد مللتُ من المستشفى؛ متى أخرج؟..

أرسلنا تحاليلها إلى المختبر في الأرض..

وأرسل مَنْ في السماء: ﴿مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [المؤمنون: ٨٨] رسولاً لا يعصي له أمراً؛ فما هي إلا لحظات..

العيِّنة تُفحص في المختبر، ومَلَكُ الموت عندها في الغرفة.. لحظات وأنا أُقلِّب في ملفِّها خارج الغرفة.

إذا بالممرضة تأتي مسرعة فزعة.. دخلتُ الغرفة، فرأيتُ فتاة غير التي رأيت منذ لحظات؛ اللون شاحب، والبصر خاشع شاخص.. الأطراف ممددة، والشفاه ترتعش.. وإذا بنبضات القلب تتباطأ، وضغط الدم يهبط.. أسرع الأطباء لإنقاذ حياتها وبذلوا كل ما يستطيعون، خشيتُ أن تُغلق الصحيفة بغير (لا إله إلا الله) كما أُغلقتْ صُحُفُ آخرين من قبلها..

---

(١) رواه مسلم.

يقول الدكتور الأحمد: قلت لها: قولي: لا إلٰه إلا الله..

فإذا بالشفاه ترتعش كأنَّ عليها جبلاً لا يتزحزح! ترتعش بلا أحرف!..

كرّرتُها الثانية.. الثالثة.. وإذا بالمرأة تعالج السكرات؛ بدأت أسمع حشرجة، وبعض الحروف تخرج..

كرَّرتُها: لا إلٰه إلا الله..

فإذا بها تُغنّي بصوت متحشرج بعضَ كلماتٍ من إحدى الأغاني!..

لم يَدَعْها المَلَكُ تكمل، فخرجت الروح وهي تُغنّي..

ماتت.. غنّت قبل أن تموت..

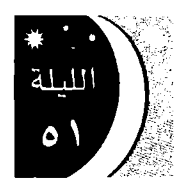
وتعرض يوم القيامة على الجبار مُغنيّة[1]..

والله! لو تصطرخ في كل يوم وتعضُّ الأصابع وتبكي الدم: ربِّ أخرجني، والله لا أسمعُ إلا ما يرضيك، ولا أرى إلا ما يرضيك، وأقوم الليل ولا أنام، وأصوم النهار حتى أموت.. هل ترجع؟!..

﴿قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩ ـ ١٠٠].

* * *

(١) قصص لا أنساها، (بتصرف).



لا تظلمنَّ إذا ما كنتَ مقتدراً

لا تظلم أحداً في حياتك..

فإن كنتَ أباً، فلا تظلم أولادك..

وإن كنتَ مسؤولاً، فلا تظلم مَنْ هم دونك..

وإن كنت كبيراً، فلا تظلم مَنْ هم أصغر منك..

ويحذّر رسول الله ﷺ من دعوة المظلوم؛ فيقول: «**اتقوا دعوة المظلوم؛ وإن كان كافراً، فإنه ليس دونها حجاب**»[(١)].

ويقول أيضاً: «**المسلم أخو المسلم؛ لا يظلمه ولا يُسلمه**»[(٢)].

كتب عمر بن عبد العزيز إلى عامل له: إذا دعتك قدرتك إلى ظلم الناس، فاذكر قدرة الله عليك.

وقال معاوية: إني لأستحيي أن أظلم من لا أجدُ له ناصراً عليَّ إلا الله.

وقال النجاشي: الملْكُ يبقى مع الكفر، ولا يبقى مع الظلم..

ويقول عليه الصلاة والسلام: «**اتقوا دعوة المظلوم؛ فإنها تحمل على الغمام، يقول الله: وعزتي وجلالي لأنصرنَّك ولو بعد حين**»[(٣)].

يقول الشاعر:

لا تظلمنَّ إذا ما كنتَ مُقتدِراً ... فالظلمُ آخره يُفضي إلى النَّدَمِ

---

(١) صحيح الجامع (١١٩).

(٢) رواه البخاري.

(٣) السلسلة الصحيحة، للألباني (٧٨٠).

تـنـامُ عـيـنـاك والـمـظـلـومُ مـنـتـبِـهٌ   يـدعـو عـلـيـكَ وعـيـنُ الله لَـم تَـنَـمِ

قال أبو مسعود البدري: كنتُ أضرب غلاماً لي بالسوط، فسمعتُ صوتاً مِنْ خلفي: «اعلم أبا مسعود!».. فلم أفهم الصوت من الغضب..

قال: فلما دنا مني، إذا هو رسول الله ﷺ؛ فإذا به يقول: «اعلم أبا مسعود، اعلم أبا مسعود..».

قال: فألقيتُ السوط من يدي..

فقال: «اعلم أن الله أقدر عليك منك على الغلام!».

قال: فقلتُ: لا أضرب مملوكاً بعده أبداً.

وفي لفظ: فالتفتُّ فإذا هو رسول الله ﷺ.. فقلتُ: يا رسول الله! هو حرٌّ لوجه الله تعالى...

فقال: «أما لو لم تفعل للفحتك النار، أو لمسَّتْكَ النار»[١].

فإيّاك أن تضرب أبناءك.. أو خدمك.. واحذر أن تظلم أحداً من أقربائك..

يقول الشاعر:

وظُـلـمُ ذوي الـقـربـى أشـدُّ مـضـاضـةً   على المرءِ من وقْعِ الحُسَامِ المهنَّدِ

* * *

(١) رواه مسلم.

الليلة ٥٢

الجزاء من جنس العمل

وهذه قصة واقعية؛ بعثت بها زوجة ضابط في الشرطة إلى جريدة الأهرام؛ تقول صاحبة القصة:

أنا زوجة، وأم لفتاة جامعية، ولابن متزوج، نعيش في أحد أحياء القاهرة حياة رغيدة، استعنْتُ طوال حياتي الزوجية في تربية أولادي بالمربّيات.. لا أذكر عددهنَّ؛ فلم تكن تمكث إحداهنَّ أكثر من شهر أو شهرين بسبب قسوة زوجي العدواني؛ فقد كان يتفنن في تعذيب أي مربّية تعمل عندنا!..

وقبل خمسة عشر عاماً جاءنا مزارع من أبناء بلدته يصطحب معه ابنته الطفلة ذات الأعوام التسعة لتعمل عندنا في البيت مقابل عشرين جنيهاً في الشهر، كانت تعمل منذ الصباح الباكر حتى منتصف الليل، تسقط هلكى من التعب وتستغرق في النوم، ولكن عند أي هفوة أو نسيان ينهال عليها زوجي ضرباً بقسوة شديدة!.. وكنتُ أشاركه التفنن في تعذيبها مثل ما قبلها من الخادمات!..

واستمرت الفتاة في تحمُّل العذاب في صمت وصبر، ولم تنم ليلة دون أن تبكي.

أما أبوها فقد انقطع عن زيارتها، وبدأ يرسل أحد أقاربه لاستلام أجرتها الشهرية، ولم ترَ أمها إلا في ثلاث مناسبات!.. واستمرت الفتاة معنا في حياتها الشقية، وشيئاً فشيئاً بدأنا نلاحظ أن الأكواب والأطباق تسقط من يديها، وأنها تتعثَّر كثيراً في مشيتها؛ أي: إنها أصبحت شبه كفيفة!.. ورغم ذلك كنّا لا نرحمها، وظلت تقوم بكل أعمال نظافة المسكن.

خرجت الفتاة ذات يوم من البيت بعد أن أصبحت كفيفة تقريباً ولم

تعد.. ولم نهتمَّ بالبحث عنها هذه المرة! ومضت السنون، وتزوج ابني من فتاة رائعة الجمال، واكتملت سعادتنا حين عرفنا أنها حامل.. وضعت مولودها؛ فإذا بنا نكتشف أنه كفيف لا يُبصر، وتحوَّلت الفرحة إلى سحابة من الحزن القاتم!.. بدأت رحلتنا الطويلة مع الأطباء، ولكن دون جدوى.

قررت زوجة ابني ألا تحمل مرة أخرى خوفاً من تكرار الكارثة، لكن الأطباء طمأنوها أن هذا مستحيل؛ فلا قرابة بين الزوجين.. وحملتْ زوجة ابني مرة أخرى، وأنجبتْ طفلة شقراء، وتوقفت قلوبنا حتى زفَّ لنا الطبيبُ بأنها ترى وتبصر.. وبعد سبعة أشهر، لاحظنا أن نظرها مُركَّزٌ في اتجاه واحد!.. عرضناها على اختصاصي العيون، فإذا بالصدمة الثانية أنها لا ترى إلا مجرد بصيص من الضوء، وأنها معرضة لفقد بصرها!.. رأى زوجي ذلك، فأصيب بالاكتئاب الشديد، فأدخلناه مصحة نفسية للعلاج.

أحسستُ بهموم الدنيا تطأ صدري بقسوة، وفجأة تذكرتُ الفتاة المسكينة التي هربت من جحيمنا **كفيفة** بعد أن أمضت معنا عشر سنوات.. ذاقت خلالها أهوال الصعق بالكهرباء، والضرب، والحرمان.. سألتُ نفسي: هل هذا عقاب الله لنا على ما فعلنا بها؟!..

رحتُ أبحث عن تلك الفتاة في كل مكان؛ حتى عثرنا عليها تعمل خادمة بأحد المساجد، أحضرْتها لتعيش معي ما بقي لي من أيامي.. وكم كانت سعيدة لإعادتها إلى بيتنا رغم كل قسوة الذكريات.. واستقرتِ الفتاة معنا، وأصبحتُ أرعاها وأخدمها هي وحفيديَّ الكفيفين، أسأل الله أن يغفر لي ما كان.

وأقول لمن نضبت الرحمة من قلوبهم: إن الله حيٌّ لا ينام، فلا تقسوا على أحد؛ فسوف يجيء يوم تندمون فيه على ما فعلتم في قوتكم وجبروتكم!..

الليلة ٥٣

ماذا تريد من صديقك؟

تريد مِنْ صديقك أن يؤاخيك في الله؛ لا لمصلحة دنيوية ولا لغاية خاصة في نفسه!..

تريد مِنْ صديقك ألا يجاملك في الحق إن أنت أخطأت، ولا يتردد في مواجهتك بالصواب..

تريد مِنْ صديقك أن يحفظ سرَّك؛ فلا يفشيه لأحد من الناس..

تريد مِنْ صديقك ألا يغتابك، ولا يتكلم عنك بسوء..

تريد مِنْ صديقك أن يكون ظاهره كباطنه في كل الأمور..

تريد مِنْ صديقك أن يساعدك عندما تحتاجه، ولا يتردد في ذلك أبداً..

تريد مِنْ صديقك أن يتحمل تقلبات أخلاقك، ولكن من دون إفراط أو تفريط..

اختر صديقاً أفضل منك خُلُقاً، وأوسع علماً وعقلاً؛ ليرفعك إليه بدلاً من أن تنحدر إليه...

ويقول رسول الله ﷺ: «**خياركم من ذكَّركم بالله رؤيتُه، وزاد في علمكم منطقُه، ورغَّبكم في الآخرة عملُه**»[1].

فتِّش عن الصالحين في كل مكان، اتخذ منهم صديقاً، ورحم الله الإمام الشافعي؛ حيث يقول:

---

(١) رواه الترمذي.

أُحبُّ الصالحينَ ولستُ منهُمْ ... لعلِّي أن أنالَ بهمْ شفاعَهْ
وأكرهُ مَنْ تجارتُه المَعاصي ... ولو كُنَّا سواءً في البِضَاعَهْ

يقول لقمان الحكيم في وصاياه:

يا بنيّ! عليك بمصادقة من إذا ماشيْتَهُ زانَكَ (أي: إذا مشيت معه زادك رفعة وقدراً).. وإذا غبتَ عنه صانك..

احرص على صحبة مَنْ إذا أتيتَهم أعانوك، وإلى الخير قرَّبوك، وعن الشر أبعدوك... احرص على صحبة الأخيار؛ فإنهم عونٌ لك بعد الله..

ولقد أكدت الدراسات أن للصديق تأثيراً كبيراً على صديقه؛ فهو الذي يمكن أن يقوده إلى طريق الخير فيزداد إيماناً وصلاحاً، أو يقوده إلى طريق الضلالة والفساد فيهوي به في المُهلِكات؛ وفي ذلك يقول عليه الصلاة والسلام: «**الرجل على دين خليله؛ فلينظر أحدكم من يخالل**»[1].

❁ ❁ ❁

(١) صحيح الجامع (٣٥٤٥).

الليلة
٥٤

عيوبك في عين صديقك

وما أجمل أن يُهديك صديقُك عيوبَك؛ فتنتبه إليها وتُصلح نفسك!..

ولهذا كان عمر بن الخطاب ﷺ، يقول: رحم الله امرأً أهدى إليَّ عيوبي.

يقول أحدهم: أخٌ لك كلما لقيَكَ وجد عيباً فيك؛ خيرٌ لك من أخٍ كلما لقيَكَ وضع في يدك ديناراً.

أجل إنَّ مَنْ يُرشدك إلى عيوبك خيرٌ لك ممن يُغرقك بالهدايا والأموال..

قال حاتم الأصم: إذا رأيتَ من أخيك عيباً..

فإن كتَمْتَه عنه فقد خُنْتَه..

وإن قلْته لغيره فقد اغتبته..

وإن واجهتَه به أوحشْته..

ولكن تلطف في نُصحه، ونعريفه بعيبه، فلا تفعل ذلك أمام الناس..

يقول الإمام الشافعي: من وعظ أخاه سرّاً فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه..

يقول الشاعر:

تغمَّدْني بنصحِكَ في انْفِرادي   وجنِّبْنِي النَّصِيحةَ في الجَماعَهْ

فإنَّ النُّصْحَ بَيْنَ النَّاسِ نَوْعٌ   مِنَ التَّوبِيْخِ لا أرضىٰ اسْتِمَاعَهْ

ويقول ليوناردو دافنشي: «لُمْ صديقك سرّاً، ولكن مَجِّده أمام الآخرين».

واحفظ عِرض أخيك؛ فالرسول عليه الصلاة والسلام يقول: «من ذَبَّ عن عِرضِ أخيه؛ ردَّ الله عنه عذاب النارَ يوم القيامة»[١].

وبالطبع لا بدَّ من أن تصفح عن هفوات صَديقك حتى لا تخسره..

يقول أحد الشعراء:

أُغمِّضُ للصديقِ عنِ المساوي   مخافةَ أن أعيشَ بلا صديقِ

قيل لخالد بن صفوان: أيُّ إخوانك أحبُّ إليك؟.

قال: الذي يغفرُ زللي، ويقبلُ عللي، ويسدُّ خللي!..

ويقول سقراط: من السهل جدّاً أن تضحِّي من أجل صديقك، ولكن الصعوبة أن تجد الصديق الذي يستحق هذه التضحية!..

❋ ❋ ❋

---

(١) صحيح الترغيب، للألباني (٢٨٤٨).

الليلة
٥٥

احذَرْ صديقَك ألفَ مرَّةٍ

لا تُفرِطْ في الثقة بالأصدقاء، فإن أكثر الناس قدرة على إيذائك هو ذاك الصديق الذي انقلب عدوّاً لك؛ فقد أوْدعتَه أسرارك وهمومك، وهو قادر على إفشائها بين الناس؛ يقول الشاعر:

احـــــذرْ عـــــــدوَّك مـــــرَّةً　　واحــذَرْ صَـديـقَـك ألـفَ مـرَّه
فـلـربَّـمـا انـقـلـبَ الـصَّـدِ　　يـقُ فـكـانَ أعـلـمَ بـالـمَـضَـرَّه

ويقول ابن المقفع: من أعظم الغلط الثقة بالناس، والاسترسال بالأصدقاء؛ فإن أشدَّ الأعداء وأكثرهم أذى الصديقُ المنقلب عدوّاً؛ لأنه قد اطَّلع على خفي السرّ!..

يقول عليه الصلاة والسلام: «**أحببْ حبيبك هوناً ما، عسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وأبغض بغيضك هوناً ما، عسى أن يكون حبيبك يوماً ما**»[(١)].

لا تُعنْ أخاكَ على أخيك في خصومة؛ فإنهما يصطلحان عن قليل، وتكتسب المذمَّة!.. يقول الشاعر:

كم صاحبٍ عاديتُه في صاحبٍ　　فتصالحا وبقيتُ في الأعداءِ

ولقد وصَّى حكيم ابنه فقال: يا بنيّ اصحب مَنْ شئتَ من الناس إلا خمسة؛ فإيّاك أن تصحبهم:

لا تصحبنَّ كذاباً؛ فإن الكذَّاب كلامه كالسراب يبعّد القريب ويقرِّب البعيد..

---

(١) صحيح الجامع (١٧٨).

ولا تصحبنَّ أحمقاً؛ فإن الأحمق يرى أنه ينفعك، وهو يضرُّك..

ولا تصحبنَّ طماعاً؛ فإنه يبيعك بأكلة أو شُربة..

ولا تصحبنَّ بخيلاً؛ فإن البخيل يردُّك عندما تكون بحاجة إليه..

ولا تصحبن جباناً، فإنه يخذلك عند الشدائد..

ويقول آخر: **لا خير في صحبة** من تجتمع فيه هذه الخصال:

مَنْ إذا حدَّثك كذبك، وإذا ائتمنته خانك، وإذا ائتمنك اتَّهمك، وإذا أنعمتَ عليه كَفَرك، وإذا أنعمَ عليك مَنَّ عليك...

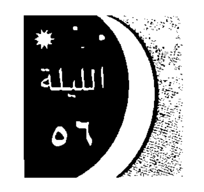
وأقول: لا خير فيمن توجد فيه إحدى هذه الخصال؛ فلا تنتظر حتى تكتشف في صديقك كل هذه الخصال.

وحذَّر لقمان ابنه من مجالسة الفجار فقال: يا بني لا تجالس الفُجَّار، ولا تماشِهم، واتق أن ينزل عليهم عذاب من السماء فيصيبك منهم، وجالس الفضلاء والعلماء؛ فإن الله يحيي القلوب الميتة بالفضيلة كما يحيي الأرض بوابل المطر..

ألم يغفر الله تعالى لعبد خطَّاء مرَّ فجلس مع قوم يذكرون الله؟!.. فيقول تعالى في الحديث: «**هم القوم لا يشقى بهم جليسهم**»[1].

❊ ❊ ❊

(١) رواه مسلم.



الحذرَ الحذرَ يا شباب

ليحذر الشاب أن يقع في مستنقع اللواط . .

قال رسول الله ﷺ : «**إنّ أخوف ما أخاف على أمتي عمل قوم لوط**»[(١)] .

قال الفضيل بن عياض رحمه الله : لو أنّ لوطيّاً اغتسل بكلِّ قطرة من السماء لقي ربه غير طاهر .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، قال : من أمكن من نفسه يُفعل به ، طرح الله عليه شهوة النساء .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : إذا استغنى الرجل بالرجل، والنساء بالنساء، كان الخسف، والمسخ، والقذف من السماء .

ولم يثبت عن رسول الله ﷺ أنه قضى في هذه الجريمة؛ لأنه عمل لم تعرفه العرب، ولكن ثبت عنه ﷺ أنه قال : «**اقتلوا الفاعل والمفعول به**»[(٢)] .

وحكم به أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه ، وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه أشدّ الصحابة في الحكم عليه؛ فقد ثبت عن خالد بن الوليد رضي الله عنه : أنه وجد في بعض نواحي العرب رجلاً يُنكح كما تُنكح المرأة، فكتب إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، فاستشار أبو بكر الصحابة رضي الله عنهم ؛ فكان علي بن أبي طالب أشدهم قولاً فيه، فقال : ما فعل هذا إلا أمة من الأمم واحدة؛ وقد علمتم ما فعل الله بها ، أرى أن يُحرق بالنار . . فكتب إلى خالد، فحرقه .

---

(١) أخرجه الترمذي، وأحمد، وابن ماجه .

(٢) رواه الأربعة.

يقول رسول الله ﷺ: «ما من قوم يُعمل فيهم بالمعاصي، ثم يقدرون على أن يغيروا ثم لا يغيروا، إلا يوشك أن يعمَّهم الله بعقاب»[١].

وقال النبي ﷺ: «إن الله عز وجل لا يعذّب العامة بعمل الخاصة؛ حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروه، فإذا فعلوا ذلك عذَّب الله الخاصة والعامة»[٢].

ولقد حسم النبي ﷺ هذه الحقيقة في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري: أن رسول الله ﷺ، قال: «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذِ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً»[٣].

وفي صحيح مسلم: أن النبي ﷺ، قال: «ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنَّته، ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خُلوفٌ يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون؛ فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردلٍ»[٤].

❊ ❊ ❊

---

(١) رواه أبو داود.

(٢) فتح الباري، لابن حجر، وإسناده حسن.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه مسلم.

الليلة
٥٧

وصيّة والد لولده عند الزواج

أي بني! إنّك لن تنال السعادة في بيتك إلا بعشر خصال تمنحها لزوجك؛ فاحفظها عني واحرص عليها:

أما الأولى والثانية: فإنّ النّساء يحببن الدلال، ويحببن التصريح بالحب، فلا تبخل على زوجتك بذلك؛ فإن بخلت جعلت بينك وبينها حجاباً من الجفوة ونقصاً في المودة.

وأما الثالثة: فإنّ النّساء يكرهنَ الرجل الشديدَ الحازم، ويستخدمن الرجل الضعيف الليِّن؛ فاجعل لكل صفة مكانها؛ فإنّه أدعى للحب وأجلب للطمأنينة.

وأما الرابعة: فإنّ النساء يُحببن من الزوج ما يحبُّ الزوج منهنّ من طيب الكلام، وحسن المنظر، ونظافة الثياب، وطيب الرائحة؛ فكن في كل أحوالك كذلك.. وتجنب أن تقترب من زوجتك ـ تريدها نفسك ـ وقد بلل العرق جسدك، وأدرن الوسخ ثيابك؛ فإنّك إن فعلت جعلتَ في قلبها نفوراً، وإن أطاعتك فقد أطاعك جسدها ونفر منك قلبُها.

أما الخامسة: فإنّ البيت مملكة الأنثى، وفيه تشعر أنّها متربِّعة على عرشها، وأنها سيدة فيه؛ فإيّاك أن تهدم هذه المملكة التي تعيشها!..

وإيَّاك أن تحاول أن تزيحها عن عرشها هذا، فإنّك إن فعلت نازعتها ملكها، وليس لملكٍ أشدّ عداوةً ممن ينازعه ملكه وإن أظهر له غير ذلك.

أما السادسة: فإنّ المرأة تحبُّ أن تكسب زوجها ولا تخسر أهلها، فإيّاك أن تجعل نفسك مع أهلها في ميزان واحد؛ فإمّا أنت وإمّا أهلها؛ فهي وإن اختارتك على أهلها فإنّها ستبقى في كمدٍ تُنقل عَدْواه إلى حياتك اليومية.

أما السابعة: فإنّ المرأة خُلِقت مِن ضِلَعٍ أعوج، وهذا سرّ الجمال فيها وسرُّ الجذب إليها، وليس هذا عيباً فيها «فالحاجب زيّنه العِوَجُ»! فلا تحمل عليها إن هي أخطأتْ حملةً لا هوادة فيها، تحاول تقييم المعوج، فتكسرها؛ وكسرها طلاقها، ولا تتركها إن هي أخطأت حتى يزداد اعوجاجها وتتقوقع على نفسها، فلا تلين لك بعد ذلك ولا تسمع إليك، ولكن كن دائماً معها بينَ بين.

أما الثامنة: فإنّ النّساء جُبلن على كُفر العشير وجُحدان المعروف، فإن أحسنت لإحداهنّ دهراً ثم أسأت إليها مرة؛ قالت: ما وجدت منك خيراً قط؛ فلا يحملنّك هذا الخُلق على أن تكرهها وتنفر منها؛ فإنّك إن كرهت منها هذا الخلق رضيت منها غيره..

أما التاسعة: فإنّ المرأة تمرُّ بحالات من الضعف الجسدي والتعب النفسي؛ حتى إنّ الله ﷻ أسقط عنها مجموعةً من الفرائض التي افترضها في هذه الحالات؛ أسقط عنها الصلاة نهائيّاً في حالة الحيض وفترة النفاس، وأنسأ لها الصيام خلالهما حتى تعود صحتها ويعتدل مزاجُها.. فكن معها في هذه الأحوال ربانيّاً؛ كما خفف الله ﷻ عنها فرائضه، أن تخفف عنها طلباتك وأوامرك.

أما العاشرة: فاعلم أنّ المرأة أسيرة عندك، فارحم أسرها، وتجاوز عن ضعفها؛ تكن لك خير متاع وخير شريك.. والسلام.

❃ ❃ ❃

الليلة ٥٨ رسالة إلى مَنْ تخلَّى عن أُبُوَّتِه

بعض الآباء ينصرف عن زوجه وأبنائه إلى لهوه وأصدقائه!..

أيها الزوج الكريم! ما لك تفرّ من زوجك وعيالك؟! ما لك تحجب نور عينيك عن أعينهم؛ فلا يرونه حتى في حلكة المساء؟!..

الكلّ يفتقد وجودك المؤنس لهم؛ تُقبّل الصغير، وتُوجّه الكبير، وتمازح الزوجة الملهوفة إلى ضحكاتك.

أهملتَ حقوقاً لهم عليك، وظننتَ أنك قد أنجزت مهمتك بإغراقهم بالمأكل والملبس.. نحن لا ننكر هذا الفضل، بل أنت مشكور عليه، ولكن هناك غذاء آخر هم محتاجون إليه.. إنه غذاء الروح.

لا تنسَ أيها الأب الكريم، أن أسرتك من دون راعٍ، قد تأكلهم أطماع الطامعين، ولا تظنّنّ أن الجسد يحيا من دون رأس؛ فأنت في العائلة كالرأس من الجسد، إن غاب عنه ارتحلت عنه الروح وفارقته الحياة.

لا تقسُ على رعاياك الصغار الذين لا حول لهم ولا قوة، وتذكر: أنَّ كل راعٍ مسؤول عن رعيته يوم القيامة.

ألا ترى أنك تلقي كامل المسؤولية على الزوجة المسكينة؛ تجبرها على تحمّل أعباء التربية لوحدها؟!..

أرجوك! عُد إلى حِمى بيتك الضائع من دونك، وقبل ذلك عُد إلى ربك وتب من عصيانك؛ قف بمحراب الصلاة، وتهجد في ظلمة الليالي لتحيي الإيمان في قلبك وتنعش الرحمة في كيانك.

كلمة أخيرة أبثها إليك من حرقة الأسى الذي يلسعني كلما رأيت الحزن والشوق في عيون أطفالك وفي صدر زوجتك: ارحم مَنْ في الأرض

يرحمك مَنْ في السماء، تقرَّب إلى ربك الذي أعطاك خيراً ولم تؤدِّ فيه شكراً ولا اهتماماً، أدرْتَ ظهرك للنعم، وتركت أسرتك تتخبط من غير هُدى[١].

وهذه قصة رجل ذهب إلى عمله صباحاً مخلِّفاً الزوجة والأولاد، فقام أحدهم بعبث وشقاوة الأطفال وأخذ سكيناً يلعب به؛ فخرق كنباً وكرسيّاً هناك.. جاء الأب من عمله، وعندما رأى ما فعل الأطفال؛ غضب جدّاً؛ أخذ أكبرهم وربطه من يديه ورجليه بالحبال وأوثقه بشدة..

ظلَّ الطفل يبكي ويتوسَّل، ولكن دون جدوى.. مع أبٍ أعماه الغضب.. حاولت الأم إطلاق ابنها؛ فقال الأب: إن فعلتِ فأنت طالق.

وظلَّ الطفل يبكي ويبكي حتى أعياه البكاء، فاستسلم إلى ما يشبه النوم العميق.. بدأ لون أطرافه يتغير ويتحوَّل إلى اللون الأزرق..

خاف الأب ففكَّ قيد الطفل، ثم سارع بنقله إلى المستشفى فقد كان في غيبوبة.. قرر الأطباء أنه لا بد من بتر أطراف يديه ورجليه؛ فقد أصيب بنقص شديد في التروية في أطرافه..

قرروا البتر فوقَّع الأب على القرار وهو يبكي ويصيح!..

كانت المصيبة عندما خرج الابن من العملية؛ أخذ ينظر إلى أبيه ويقول: أبي.. أبي.. أعطني يديّ ورجليّ.. وأُقسم أني لن أعود مرة أخرى إلى مثل هذا العمل!..

❊ ❊ ❊

---

(١) بشرى غوراني، مجلة الأسرة، العدد (١٢٣)، (بتصرف).

الليلة
٥٩

الشيخ الوقور.. وركّاب القطار (١)

هل سمعتم بقصة الشيخ الوقور وركّاب القطار؟..

قصة شيِّقة ومعبِّرة، وخاصة بكلٍّ واحد منّا!..

فأنا وأنت وهو وهي قد عايشناها لحظة بلحظة!..

حصلت هذه القصة في أحد القطارات.. ففي ذات يوم أطلقت صافرة القطار مؤذنة بموعد الرحيل، صعد كل الركاب إلى القطار فيما عدا شيخ وقور وصل متأخِّراً، لكن مِنْ حُسن حظه أن القطار لم يفتْه.. صعد ذلك الشيخ الوقور إلى القطار، فوجد أن الركاب قد استحوذوا على كل مقصورات القطار.. توجه إلى المقصورة الأولى، فوجد فيها أطفالاً صغاراً يلعبون مع بعضهم، فأقرأهم السلام.. تهللوا لرؤية ذلك الوجه الذي يشعُّ نوراً، وتلك الهيبة والوقار: أهلاً أيُّها الشيخ الوقور!.. فسألهم إن كانوا يسمحون له بالجلوس..

فأجابوه: مثلك نحمله على رؤوسنا.. ولكن! ولكن نحن أطفال صغار في عمر الزهور نلعب ونمرح مع بعضنا، ونخشى ألا تجد راحتك معنا ونسبب لك إزعاجاً، كما أن وجودك معنا قد يقيد حريتنا، اذهب إلى المقصورة التي بعدنا فالكلُّ يود استقبالك...

توجه الشيخ الوقور إلى المقصورة الثانية، فوجد فيها ثلاثة شبانٍ يغنون ويرقصون، فأقرأهم السلام.. رحبوا به وأبدوا سعادتهم برؤيته: أهلاً بالشيخ الوقور!.. فسألهم إن كانوا يسمحون له بالجلوس..

فأجابوه: لنا كل الشرف بمشاركتك لنا في مقصورتنا.. ولكن! ولكن كما ترى نحن في نزهة نريد أن نقضيها بالغناء والرقص، ونخشى أن

نزعجك أو ألا ترتاح معنا، توجه إلى المقصورة التي تلينا. . . فكل من يرى وجهك الوضَّاء يتوق لنيل شرف جلوسك معه. . .

أمري إلى الله. . توجَّه الشيخ الوقور إلى المقصورة التالية، فوجد شابّاً وزوجته يبدو أنهم في شهر العسل. . كلمات رومانسية، ضحكات، مشاعر دفاقة بالحب والحنان. . أقرأهما السلام. . فتهللوا لرؤيته: أهلاً بالشيخ الوقور!. . فسألهما إن كانا يسمحان له بالجلوس معهما في المقصورة. .

فأجاباه: مثلك نتوق لنيل شرف مجالسته. . ولكن! ولكن كما ترى نحن زوجان في شهر العسل، جوُّنا رومانسي، شبابي. . نخشى ألا تشعر بالراحة معنا، أو أن نتحرج من متابعة همساتنا أمامك. . كل من في القطار يتمنى أن تشاركهم مقصورتهم. .

توجه الشيخ الوقور إلى المقصورة التي بعدها، فوجد شخصين في أواخر الثلاثينيّات من عمرهما، معهما خرائط أراضٍ ومشاريع، ويتحدثان حول أسعار البورصة والأسهم، والخطط المستقبلية لتوسيع تجارتهما. . فأقرأهما السلام. . فتهللا لرؤيته، فسألهما: إن كانا يسمحان له بالجلوس. .

فقالا له: لنا كل الشرف في مشاركتك لنا. . ولكن! ـ **يا لها من كلمة مدمرة تنسف كل ما قبلها** ـ كما ترى نحن في بداية تجارتنا، وفكرنا مشغول بالتجارة والمال وتحقيق ما نحلم به من مشاريع. . حديثنا كله عن التجارة والمال، ونخشى أن نزعجك أو ألا تشعر معنا بالراحة، اذهب إلى المقصورة التي تلينا؛ فكل ركاب القطار يتمنون مجالستك. . . وهكذا حتى وصل الشيخ إلى آخر مقصورة. .

❁ ❁ ❁

الليلة
٦٠

الشيخ الوقور.. وركّاب القطار (٢)

وجد الشيخ الوقور في المقصورة الأخيرة عائلة مكونة من أب وأم وأبنائهم.. لم يكن في المقصورة أيّ مكان شاغر للجلوس؛ قال لهم: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فردوا عليه السلام، ورحبوا به: أهلاً أيها الشيخ الوقور..

وقبل أن يسألهم السماح له بالجلوس، طلبوا منه أن يتكرّم عليهم ويشاركهم مقصورتهم.. محمد اجلس في حضن أخيك أحمد، أزيحوا هذه الحقائب عن الطريق، تعال يا عبد الله اجلس في حضن والدتك، أفسحوا مكاناً له.. حمد اللَّهَ ذلك الشيخ الوقور، وجلس على الكرسي بعد ما عاناه من كثرة السير في القطار..

وعندما توقف القطار في المدينة المنشودة؛ دُهش كل الركاب للحشود العسكرية والورود والاحتفالات التي زينت محطة الوصول، ولم يلبثوا حتى صعد ضابط عسكري ذو رتبة عالية جدّاً، وطلب من الجميع البقاء في أماكنهم حتى ينزل ضيف الملك من القطار؛ لأن الملك بنفسه جاء لاستقباله.. ولم يكن ضيف الملك إلا ذلك الشيخ الوقور.. وعندما طلب منه النزول رفض أن ينزل إلا بصحبة العائلة التي استضافته، وأن يكرمها الملك.. فوافق الملك واستضافهم في الجناح الملكي لمدة ثلاثة أيام؛ أغدق فيها عليهم من الهبات والعطايا، وتمتعوا بمناظر القصر المنيف، وحدائقه الفسيحة..

هنا تحسّر الركاب على أنفسهم أيّما تحسّر.. هذه هي حسرتهم العظمى يوم لا تنفع حسرة..

والآن مَنْ هو الشيخ الوقور؟ ولماذا قلت في بداية سرد القصة: وكم

هي خاصة بكلٍّ واحد منّا! فأنا وأنت وهو وهي قد عايشناها لحظة بلحظة؟..

لم يكن الشيخ الوقور إلا الدين..

إبليس توعد بإضلالنا، ولكنه أيقن أنه لو حاول أن يوسوس لنا بأن الدين شيء سيِّئ، أو أنه لا نفع منه؛ فلن ينجح في إبعادنا عن الدين، وسيفشل حتماً.. ولكنه أتانا من باب التسويف..

آه ما أجمل الالتزام بالدين! ولكن ما زالوا أطفالاً.. ما زالوا شباباً يجب أن يأخذوا نصيبهم من اللهو والمرح، وعندما يكبرون يلتزمون بالدين..

التسويف هو داء نعاني منه في أمورنا كلها، نؤمن بالمثل القائل: «لا تؤجِّل عمل اليوم إلى الغد» ولكننا لا نطبّق ما نؤمن به على أرض الواقع؛ لذا نفشل في بناء مستقبلنا في الدنيا كما في الآخرة..

فالعمر يمضي ونحن نردد: غداً سأفعل.. سأفعلها ولكن بعد أن أفرغ من هذا.. ما زلت صغيراً؛ إذا كبرت سأفعلها.. بعد أن أتزوج سألتزم بالدين.. بعد أن أتخرَّج.. بعد أن أحصل على وظيفة.. بعد أن.. بعد أن..

يقول الله تعالى في كتابه العزيز: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحيم ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ١ ـ ٨].

❃ ❃ ❃

الليلة
٦١

أيكون صاحب المال زاهداً؟!..

يظن بعض الناس أن الزهد هو أن تترك الدنيا، وتجلس في صومعة بعيداً عن الناس.

قيل لسفيان الثوري: أيكون صاحب المال زاهداً؟.

قال: نعم؛ إذا كان إن زيدَ في مالهِ شكر!.. وإن نَقَصَ شكر وصبر!..

يقول علي رضي الله عنه: لو أن رجلاً أخذ جميع ما في الأرض وأراد به وجه الله تعالى؛ فهو زاهد!.. ولو أنه ترك الجميع ولم يُرِدْ به وجه الله تعالى؛ فليس بزاهد!..

● جاء ملك إلى زاهد وقال له: علمتُ عن شدة زهدك فأتيتك.

فقال له الزاهد: ألا أدلك على مَنْ هو أزهد مني؟.

قال: بلى. قال: أنتَ.. لأني زهدتُ في الدنيا الفانية، وزهدتَ أنتَ في الجنة الباقية!..

فهل نزهد في جنة الخلود من أجل متاع بسيط؛ من أجل زيادة في المال من حرام، أم من أجل متعة ساعة في الحرام؟!.

بالطبع لا نريد أن نترك الدنيا للكافرين، لا نريد لهم أن يتفوّقوا علينا في العلوم والاختراعات والاقتصاد والإعلام وشتى المعارف.. ولكن نريدها كلها مسخرة لله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

● رأى الخليفةُ هشام بن عبد الملك سالمَ بن عبد الله بن عمر عند الكعبة، فقال له: سلني حاجتك..

فقال: والله إني لأستحيـي أن أسأل في بيته غيرَه..

فلما خرج من المسجد قال هشام: الآن خرجتَ من بيت الله، فاسألني..

فقال: من حوائج الدنيا أم الآخرة؟.

قال: من حوائج الدنيا..

فقال سالم: ما سألتُها مَنْ يملكها؛ فكيف أسألها من لا يملكها؟!..

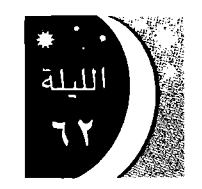
● سُئل أحد الصالحين عمن يترك أكل اللحم والبيض والطيبات زهداً في الدنيا..

فقال: ما للزهد وترك الطيبات؟! فليْتكَ تأكل ما تشاء، وتتقي الله حق تقواه..

فالله لا يكره أن تأكل من الحلال إنْ أنتَ اتقيت الحرام، ولا يكره لك الطيبات ـ بالطبع من دون إسراف ـ إن أنتَ تجنبت محارم الله..

انظر إلى برِّك بوالديك، إلى صلتك للأرحام، هل تعطف على جارك؟ هل تساعدُ المساكين؟ هل تكظم غيظك إنْ غضبت وتُحسن إلى مَنْ أساءَ إليك؟ هل تصبر على البلاء وتشكر الله في النعماء؟... فأنتَ إلى كل تلك الخصال الحميدة أحوج مِنْ أن تأكل أو تترك الطيبات من الطعام.

❁ ❁ ❁



منزلك على هدي محمد ﷺ

كيف تجعل منزلك على طريق الهدى والصلاح؟.

كيف يكون منزلك طريقاً إلى الجنة؟.

١ ـ اشترِ أو استأجر بيتاً قريباً من المسجد؛ فذلك يشجِّعك على حضور الصلوات في جماعة..

٢ ـ تعرَّف على جيرانك قبل أن تسكن المنزل؛ فإن كانوا صالحين فاحرص على البيت وإن كان أغلى كلفة؛ فالجار السوء يمكن أن ينكِّد عيشك، وينغِّص عليك حياتك..

٣ ـ لا تجعل نوافذك ـ إن كنتَ تبني منزلاً ـ تُشرف على بيوت جيرانك، واحرص على عِرضهم مثلما تحرص على عِرضك..

٤ ـ اجعل للنساء باباً وللرجال باباً ـ إن أمكن ـ واحرص على ألا يكون هناك اختلاط بين الرجال والنساء..

٥ ـ لا تبالغ في الزخرفة، ولا تتطاول في البنيان، ولا تسرف في زينة بيتك..

٦ ـ اجعل في بيتك مكاناً مسجداً تصلي عنده..

٧ ـ لا تُكثر من الأثاث الذي لا تحتاجه؛ فالرسول عليه الصلاة والسلام يحذِّر مما زاد على الحاجة من الفراش واللباس؛ إذ يقول: «**فراش للرجل، وفراش لامرأته، وفراش للضيف، والرابع للشيطان**»[1].

٨ ـ اجعل لكلٍّ من أبنائك فراشاً خاصّاً، ولا تجعلهم يختلطون أثناء النوم؛

---

(١) رواه مسلم.

فالرسول ﷺ يقول: «**مروا أبناءكم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر، وفرِّقوا بينهم في المضاجع**»[(١)].

٩ ـ لا تغيِّر أثاث المنزل إلا إذا احتجتَ إلى تغييره؛ فبعض الناس يغيِّر أثاثه كل سنة أو أقل؛ وهذا من الإسراف الممقوت..

إذا شعرتَ بالملل من الأثاث؛ فغيِّر مكانه وموضعه يعطيك منظراً آخر[(٢)]..

١٠ ـ إياك أن تضع أكثر من تلفاز واحد، لا تضع (دشّاً) لابنك في غرفته؛ فإن ذلك يجعله مدمناً على الفضائيات..

١١ ـ اجعل الحاسوب في مكان مفتوح يستطيع الكلُّ أن يراه..

١٢ ـ خصص مكاناً ـ مهما كان صغيراً ـ للمكتبة، تكون في متناول اليد.

وأخيراً: املأ بيتك بالحب والعطف والحنان لزوجك وأبنائك وبناتك، وسَلِ الله تعالى أن يديم على أهل بيتك سعادة الدارين...

❋ ❋ ❋

---

(١) رواه أبو داود، وأحمد.

(٢) خطوة خطوة نحو الهدف، (بتصرف).

الليلة ٦٣

لم يُسْرِفوا.. ولم يَقْتُروا

هذه صفة من امتدحهم الله تعالى عندما ينفقون: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧].

فالاقتصاد هو التوسُّط بين التقتير والتبذير، فلا يجاري المرء من هو أغنى منه في إسرافه وبذخه، فيصبح أسيراً للديون المتراكمة، ويحتقره كل من رأى صنيعه!..

ولا يبخل في الإنفاق على نفسه وأهله، أو يشح بالإحسان على البائسين والمحتاجين؛ فيكون عرضةً إلى ضرر أطماعهم، ويعيش بلا راحة أو اطمئنان!..

ويكفي المقتصد فخراً أن يعيش عزيز النفس؛ محبوباً عند الله، مبجَّلاً عند الناس؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩].

أعرف أشخاصاً يتقاضون راتباً كبيراً جدّاً.. وما تأتي نهاية الشهر إلا وأحدهم لا يجدُ في يده شيئاً من راتبه!.. فأتعجب أين ينفقون كل تلك الأموال؟!.

قال تعالى: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٦ ـ ٢٧].

يقول أبو بكر الصديق رضي الله عنه: إني لأبغضُ أهلَ بيت ينفقون رزقَ أيامٍ في يومٍ واحد!..

وقال معاوية رضي الله عنه: ما رأيتُ تبذيراً إلا وإلى جنبه حقٌّ مُضيَّع.

ألا يعلم أولئك المبذِّرون والشحيحون أن هناك أناساً مسلمين يموتون من الجوع في كل يوم؟!..

وقد يقول قائل: «هؤلاء بعيدون عنَّا».. ولكن؛ أليسوا إخوة لنا في الإسلام؟! ألسنا مسؤولين عنهم يوم القيامة؟! ثم أليس في بلادنا مَنْ لا يدخل بيته قطعة من اللحم إلا كل حين؟! بل ربما لا يدخله اللحم أبداً!..

أتى قومٌ قيسَ بن عبادة يسألونه شيئاً من المال، فصادفوه في بستانه يتبع ما سقط من الثمار على الأرض، فيعزل جيِّده ورديئه!..

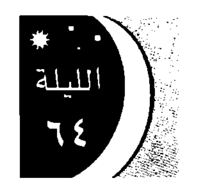
وحين فرغ من ذلك كلَّموه في شأنهم، فأعطاهم المال الذي طلبوه، فتعجَّبوا من صنيعه، وقال بعضهم: صنيعكَ هذا منافٍ لترقيع عيشك!.. ظنّاً منهم أنه بخيل يقتِّر على نفسه! فقال: بما رأيتم من فعلي أمكنني أن أقضي حاجتكم!..

يقول عليه الصلاة والسلام: «**الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة، والتودد إلى الناس نصف العقل، وحسن السؤال نصف العلم**»[(١)].

قال أحد الفضلاء: من ربَّى ابنه على الاقتصاد؛ أفاده أكثر من أن يخلِّف له ثروة وفيرة!..



(١) السلسلة الضعيفة، للألباني (١٥٧).



اغرس في أبنائك مكارم الأخلاق (١)

انظر إلى أخلاق ولدك أو ابنتك، تعهَّدْهما بالرعاية والصيانة من كل سوء، ادعُ الله لهما دوماً بالهداية والتوفيق، ارضَ عنهما.. واسأل الله أن يحفظهما من كل مكروه..

يقول الدكتور مصطفى السباعي رَحِمَهُ اللَّهُ:

«الأب الجاهل يفرح بجمال ولده، ولا يبالي بقبح أخلاقه..

والأب العاقل يفرح بأخلاق ولده، وإن كان من أقبح الناس..».

فالأطفال كالإسمنت المبلل، أيُّ شيء يسقط عليه يترك أثراً.. فانتبه إلى تصرفاتك، إلى حديثك؛ فكل كلمة وكل عمل أو فعل سوف يؤثِّر في أبنائك وبناتك.

وبعض الأطفال يكره المدرسة، ولا يريد أن يتعلَّم، ولا بدَّ من تحبيب الطفل بالعلم والدراسة بشتى الوسائل.. أخبره كيف يصير في المستقبل عندما يتعلّم.. أعطه مثلاً من أقاربه الناجحين..

يقول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «مَنْ لم يجلس في الصغر حيث يكره، لم يجلس في الكِبَر حيث يحبُّ».. فلا نجاح في الحياة إلا بالعلم والعمل.

وإليك بعض النصائح لتغرس في أبنائك مكارم الأخلاق:

١ ـ كن صادقاً كل الصدق مع أولادك، أجب على أسئلة أولادك ببساطة وصدق، وشجّع أولادك على الصدق، واحذر الطريقة الفظة بإمساكهم متلبِّسين بالكذب!.. وعند مشاهدة مشهد في التلفاز، أوضح لأبنائك النتائج المترتبة على الخداع والغش والسرقة.

إذا كسر أحد أبنائك إناء في البيت فلا تسأل بلهجة ساخطة: «من فعل هذا؟» فاللهجة الساخطة تدفع الصغير إلى الكذب، وأفضل من هذا أن تقول: «سيتضح لي مَنْ كسر الإناء، وسأكون مسروراً من قول الحق».

ذكّر أبناءك بقول رسول الله ﷺ: «**لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له**»(١).

وقوله ﷺ: «**أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك**»(٢).

٢ ـ امدح أطفالك على كل محاولة فيها جرأة حميدة.. كافئ أقل بادرة للشجاعة فيهم حتى ولو بدرت في السنوات الأولى.

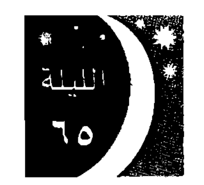
أظهر الشجاعة أمام أطفالك وتحدَّث عنها، ولتكن شخصيتك نموذجاً لهم، ويحسن بك أن تخبر أطفالك بالصعوبات التي مرَّت في حياتك دون تبجُّح، بل بطريقة نزيهة تجعلهم يعلمون أن هناك أشياء صعبة حتى على الناس الكبار.

علِّمهم أن الشجاعة هي أن تفعل ما هو صحيح وضروري، أن تبادر إلى عون الآخرين، أن تفكّر باتخاذ القرار الصحيح قبل مواجهة الموقف، وأن تستعين بالله قبل الشروع في أيِّ عمل.

❊ ❊ ❊

---

(١) صحيح الترغيب، للألباني (٣٠٠٤).
(٢) رواه أبو داود، صحيح أبي داود (٣٥٣٥).



اغرس في أبنائك مكارم الأخلاق (٢)

٣ ـ ذكِّر أولادك بالمبدأ القرآني: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].

علِّمهم أن الناس لو اتبعوا هذا المبدأ لما كانت هناك خصومات ومحاكمات، ولا نزاعات ومشاجرات..

علِّمهم أن معاملة الناس تحتاج إلى تواضع، وتأنٍّ، وضبط نفس، وأن التواضع قوة لا مهانة، وأن رسول الله ﷺ أمرنا بالتواضع من دون إذلال ولا بغي؛ قال ﷺ: «**إن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا، ولا يبغِ بعضكم على بعض**»[1].

وأن علينا الرفق في الأمور كلها؛ والرسول ﷺ يقول: «**إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف**»[2].

وأن الهدوء وضبط النفس من الفضائل العظمى، والرسول عليه الصلاة والسلام يقول: «**ألا أخبركم بمن تحرم عليه النار؟ تحرم على كل قريب هين لين سهل**»[3].

وأن المؤمن لا يكون فظّاً غليظاً؛ فالله تعالى يقول: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

٤ ـ علِّم أولادك أن على الإنسان أن يعمل، ويجدَّ في عمله، فالله تعالى يقول: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥]، وأن

---

(١) رواه أبو داود، وابن ماجه.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه الترمذي.

رسول الله ﷺ يقول: **«ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده»**[(١)].

وأن على الأولاد أن يعملوا بجد ونشاط في دراستهم كي يستطيعوا الاعتماد على أنفسهم عند الكبر فيأكلوا من عمل أيديهم.. وكن قدوة لغيرك، وأشعرهم أنك دوماً تسعى في سبيل الأفضل والأرقى في عملك وفي كل مجالات الحياة.

ادرس أطفالك واعترف بمواهبهم، وساعدهم على أن يدركوا ذاتهم؛ فهناك حقيقة يسلّم بها المربون تقول: «ليس الأطفال معجونة غضارية نقلِّبها كما نشاء»؛ فالأصح أن نقول: إنهم عبارة عن «شتول صغيرة» لها خصائصها الذاتية، فلا نستطيع أن نحوِّل شتلة رمَّان إلى شجرة إجاص، ولكن علينا أن نسعى ونساعد كل شجرة كي تنمو نموها الخاص بها.

دع أولادك يحطِّمون أرقامهم القياسية بدلاً من مقارنة أنفسهم بالآخرين.. فنشجعهم على أن يكونوا هذا العام في المدرسة في مركز أعلى مما كانوا عليه في العام الماضي.

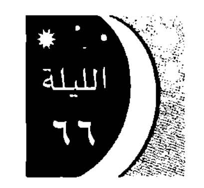
امتدح فيهم كل جهد يبذلونه، وعلِّمهم أن يقولوا إذا عجزوا: أنا لا أستطيع أن أفعل كذا أو كذا، ولكنني أستطيع أن أفعل هذا وذاك.

اقترح على أطفالك أكثر مما تأمرهم كلما استطعت، وسلهم فيما إذا كان أحدهم يحتاج إلى المساعدة بدلاً من فرض مساعدتك.

اسأل طفلك عن موطن الضعف الكبير عنده، عن مشكلته الكبرى حسب رأيه، وساعد طفلك على أن يدرك أن لكلِّ هم يقلقه حلّاً مؤكداً من الحلول، والله تبارك وتعالى يقول في محكم تنزيله: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥ ـ ٦].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه.



اغرس في أبنائك مكارم الأخلاق (٣)

٥ ـ علِّم أولادك الاعتدال في كلِّ أمر مباح من طعام وشراب وكلام ورياضة ومصروف.. وعلِّمهم أن يعرفوا حدود الجسم والعقل، وأن يتجنَّبوا التطرف وفقدان التوازن، فقد وصف الله تعالى أمة الإسلام بقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

قل لهم: إن الإفراط في الطعام يجعلك تبدو أكثر سمنة، والإفراط في اللعب ربما يُتعبك أو يُنهك جسدك، والإفراط في مشاهدة التلفاز يمنعك من الدراسة، وله سلبيات أخرى.

اسمح لأطفالك أن ينفقوا بأنفسهم أموالهم الخاصة، وشجِّع أولادك على أن يتبرعوا ولو بنسبة مئوية صغيرة للفقراء والمساكين.

٦ ـ **اغرس في أولادك** العفة عن الحرام، فقد قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾ [المؤمنون: ٥ ـ ٦]؛ فالآباء المتعففون الشرفاء، يخلِّفون أبناء عفيفين شرفاء مثلهم، وليتذكر الشباب أن أغلى هدية تقدم للزفاف، عفة تسبق الزواج وترافقه، وإخلاص للشريك بعده ويسايره.

ورغم أن بعض الآباء لم يكونوا في شبابهم يعرفون العفة والالتزام بها، إلا أنك تجدهم الآن يتوقون بصدق، ويأملون بإخلاص أن يكون أبناؤهم في نجاة من الفاحشة في عصر الأيدز الرهيب!.. فكن أيها الأب نموذجاً في العفة لأطفالك، ولا تنسَ أن تبيّن لهم: أن في العفة وعداً بالسعادة لكلِّ الذين حفظوا نقاوتهم وضبطوا أنفسهم إلى أن وصلوا إلى الزواج.

ولا شك في أن تعليقاتك على ما يشاهدونه في التلفاز والمسلسلات،

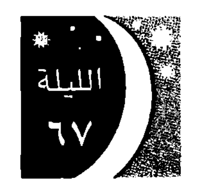
أو في الكتب والمقالات؛ ينبغي أن تكون مدروسة، فتؤكد دون تصنُّع جمال الحشمة ومهابة الالتزام بالدين، ونتائج التمسُّك بالأخلاق الحميدة، فينال الإنسان رضا الله أولاً، ويحفظ صحته ثانياً، ويسعد في دنياه وآخرته.

وزمام العفة ليس موجوداً من أجل القضاء على حرية الإنسان أو تدميرها كما يزعم أهل الهوى، وإنما هو أداة للانتفاع بها وتوجيهها في صالح البشر، وبغير زمام العفة فإن من الجائز في كل لحظة أن تنطلق الغريزة (الثاوية في أعماق الإنسان) إلى حيث تهلكه وتهلك معه.

٧ ـ ذكِّر أولادك دوماً بالمبدأ القرآني في قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٤]، وأكِّد لنفسك وللآخرين أنك رجل منضبط تفي بوعودك، وجدير بالاعتماد عليك.. وإذا أردت أن تكون جديراً بالثقة فعليك أن تبدأ بأبسط الأمور؛ حدد أقوالك؛ فتعد «زيداً بأنك ستذهب إليه في الساعة السابعة مساء» بدلاً من القول العام «سأمر عليك بعد المغرب».. وتقول لولدك: «سأذهب مهما كنت مشغولاً؛ لأنني أريد أن أكون معك وأنت تلقي خطابك في المدرسة» بدلاً من القول: «ذكرني فإنني عازم على الذهاب لحفلتك في المدرسة».

اشكر أولادك عندما يبكِّرون في الذهاب إلى المدرسة صباحاً، وعندما يتقيدون بالوقت في مواعيدهم.

❃ ❃ ❃



اغرس في أبنائك مكارم الأخلاق (٤)

٨ ـ إذا أردنا أن نجعل أولادنا قادرين على احترام الناس فعلينا أن نبدأ نحن فنعاملهم باحترام، ونكلِّمهم باحترام، ونشعرهم أنهم محترمون؛ يقول رسول الله ﷺ: «**ليس مِنْ أمتي مَنْ لم يجلَّ كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقَّه**»[(١)]، ويقول رسول الله ﷺ: «**ما أكرم شابٌّ شيخاً لسنِّه؛ إلا قيّض الله له من يكرمه عند سنِّه**»[(٢)].

وللأسف فإن كثيراً من الآباء يعاملون صغارهم وكأنهم «أشياء» لا كبشر! ويقولون: «ما دام الصغار صغاراً فليبقوا صغاراً».. وترى الأب في كثير من الأحيان لا يشرح لولده لماذا يجب أن يفعل كذا أو كذا، ظانّاً أن الأطفال لا يفهمون، والحق أنهم يفهمون أكثر مما نتصوَّر!..

علِّم أولادك أن الاحترام يعني التصرف بلطف والتحدث بأُنْس، والمسارعة إلى كسب رضا الناس بادئين برضا الله تبارك وتعالى.

٩ ـ علِّم أولادك مغزى حديث رسول الله ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه**»[(٣)]؛ ذكِّرهم أن رجال الأنصار كانوا أساتذة الإيثار في العالم قاطبة؛ القديم منه والحديث، حينما آووا ونصروا المهاجرين من مكة، وقاسموهم كل ما يملكون؛ فأنزل الله فيهم قرآناً يتلى إلى يوم القيامة: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].. علِّمهم أن يشعروا بما يحتاج إليه الآخرون، وأن السعادة في إسعاد الآخرين.

---

(١) رواه أحمد، والحاكم، والطبراني.

(٢) رواه الترمذي.

(٣) رواه البخاري، ومسلم.

١٠ ـ ذكّر أولادك من حين إلى آخر أن الإنسان اللطيف المهذّب أقرب إلى قلوب الناس وأدعى إلى كسب مودتهم ومحبتهم.

وذكِّرهم بحديث رسول الله ﷺ حينما يصف المؤمن فيقول: «**المؤمن يألف ويؤلف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف**»[(١)]، وأن الله تعالى خاطب نبيّه ﷺ صاحب الخُلق العظيم بقوله: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

حاول أن تكون ودوداً دمثاً مع الجميع بما فيهم أطفالك، وأكثِرْ من عبارات التهذيب: «جزاك الله خيراً»، «شكراً»، «من فضلك»، «معذرة»، واستعن باللباقة في كل أفعالك.

١١ ـ كن عادلاً بين أولادك، حتى يدركوا أنهم متساوون في كلِّ شيء، فلا تُكافئ واحداً دون آخر، ولا تعاقب طفلاً وتترك الآخر.

والخلاصة: فإن غرس هذه البذور في أطفالك لا يكون مرة في العمر، بل عليك أن تتعهَّد هذه الغراس الفتية في أبنائك حتى تشبَّ معهم وترافقهم في حياتهم، فيكون أحدهم نِعمَ الولد الصالح يسعد أباه في دنياه وبعد مماته!..

❁ ❁ ❁

(١) مشكاة المصابيح، للألباني (٤٩٢٥).

الليلة ٦٨

شاب.. فتح يثرب

هذا شابٌّ من أصحاب محمد ﷺ؛ يصف المؤرِّخون شبابه فيقولون: «كان أعطرَ أهل مكة». . وُلد في النعيم، وشبَّ في العطور؛ ولكن كيف تحوَّل إلى أسطورة من أساطير الإيمان؟. . إنه مصعب بن عمير رضي الله عنه.

سَمِعَ مصعب أن رسول الله ﷺ ومن آمن معه يجتمعون في دار «الأرقم ابن أبي الأرقم» فذهب هناك ذات مساء. .

لم يكد مصعب يسمع الآيات من قلب رسول الله ﷺ، حتى سرى الإيمان إلى فؤاده. .

اشتاطت أم مصعب غضباً لإسلامه، فحبسته في دارها حيناً، ثم أخرجته من دارها.

خرج مصعب من النعمة الوافرة إلى شظف العيش، وأصبح الفتى المتأنق المتعطِّر لا يُرى إلا مرتدياً أخشن الثياب! قال عليّ بن أَبي طالب رضي الله عنه: جئتُ إلى رسول الله ﷺ فجلستُ إليه في المسجد وهو مع بعض أصحابه، فطلع علينا مصعب بن عمير في بُردة مرقعة بفروة غنم، وكان أنعمَ غلام بمكة وأرفههم عيشاً!. . فلما رآه النبي ﷺ ذكر ما كان فيه من التنعُّم، ورأى حالته التي هو عليها، فذرفت عيناه وبكى، ثم قال:

«انظروا إلى هذا الذي نوَّر اللهُ قلبه؛ لقد رأيتُه بين أبوين يغذوانه بأطيب الطعام والشراب، ولقد رأيتُ عليه حُلَّةً اشتراها بمئتي درهم، فدعاه حبُّ الله ورسوله إلى ما ترون»[1].

اختاره الرسول الكريم ﷺ لأعظم مهمة في حينها؛ أن يكون سفيره

---

(١) رواه الطبراني، والبيهقي.

إلى يثرب (المدينة). . ألقى بين يديه مصير الإسلام في المدينة التي ستكون دار الهجرة بعد حين.

جاءها يوم بعثه الرسول ﷺ إليها وليس فيها سوى اثني عشر مسلماً هم الذين بايعوا محمداً ﷺ في بيعة العقبة. . ولم تمضِ سوى بضعة أشهر حتى عاد إلى النبي ﷺ مع سبعين مؤمناً ومؤمنة. . أسلم على يديه أُسيد بن حُضير الذي دنتْ لصوته الملائكة وهو يقرأ القرآن في جوف الليل. . وأسلم على يديه سعد بن معاذ الذي اهتزَّ لموته عرش الرحمن. .

ومرة أخرى يختار الرسول ﷺ مصعب ليحمل لواء المسلمين في غزوة أُحد؛ فلما اضطرب المسلمون بعد التفاف خالد بن الوليد ظلَّ مصعب ثابتاً حاملاً اللواء، فأقبل ابن قميئة فضربه على يده اليمنى فقطعها، فضمَّ اللواء باليسرى، فضرب يده اليسرى فقطعها، فضمه بعضديه إلى صدره وهو يقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤]؛ هذه الآية التي سينزل الوحي فيما بعد يرددها ويكملها ويجعلها قرآناً يتلى. . ثم حمل عليه الثالثة بالرمح فسقط شهيداً. .

لم يترك مصعب إلا ثوباً بالياً؛ قال خباب: «كنّا إذا غطينا به رأسه بدتْ رجلاه، وإذا غطينا به رجليه بدا رأسه»! فقال لنا النبي ﷺ: «**غطُّوا به رأسه، وضعوا على رجليه من الإذخر**» (نبات الإذخر).

مات شهيد أُحد. . مات سفير الإسلام، مات ولم يشهد فتح مكة التي ضاقت بإيمانه، فخرج منها ليصنع بيديه الرجال الذين يفتحونها بإيمانهم؛ فسلام عليك يا مصعب!. . ولتكن قدوة لكثير من الشباب. .

❃ ❃ ❃

الليلة
٦٩

قالت نملة (١)

في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ﴾ [النمل: ١٨] لفتات ولفتات..

فعندما جاء سليمان عليه السلام، ومعه جنوده؛ أحسَّتْ نملة بالخطر الداهم على قومها وبني جنسها، فصاحت تلك النملة منذرة بني قومها: إن الخطر قادم، فهيا أنقذوا أنفسكم: ﴿لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [النمل: ١٨].

ما أروع هذه النملة! وما أعظم هذا الموقف الذي وقفته!..

حملت همّ أمتها، أدركت خطورة مسؤوليتها، أحسَّتْ بقدوم الخطر قبل وصوله، فقامت صائحة معلنة لبني قومها: إن الخطر قادم فهلمُّوا أنقذوا أنفسكم!..

عجيب أمر هذه النملة!.. هل هربت بنفسها عندما أحست الخطر؟!..

هل قالت: ماذا أستطيع أن أفعل وأنا نملة وحيدة؟! ماذا أفعل بهذا الجيش القادم؟! وأمة النمل أمة كثيرة، وأنا نملة وحيدة فماذا أفعل؟!.

بالله عليكم أليس الخطر الذي يهدد أمتنا أعظم من الخطر الذي هدد نمل سليمان؟!..

كم منّا من يحسُّ إحساس هذه النملة، ويسعى منقذاً لأمته، متلهّفاً على حياة أمته؟!..

من منا يقوم وينام، وهو يحمل هموم هذه الأمة التي يحدق بها الخطر يمنة ويسرة؟! والله إنه ليس بخطر واحد، ولكنها أخطار من كلِّ صوب: ﴿ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ﴾ [النور: ٤٠].

ثم انظروا . . ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾ نملة هنا نكرة، لم يقل الله جلَّ وعلا : «قالت النملة»، إنما قال : ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾ إذاً هي نكرة، هل هي الملكة أم غير الملكة؟ المهم : أنها وردت في القرآن بصيغة النكرة، فهي نملة من هذا الوادي الطويل العريض، ومع ذلك لم تحقر نفسها ، أما نحن فنتساءل ماذا فعل أهل الحل والعقد؟ ماذا فعل فلان وفلان؟ أسألك يا أخي الكريم : أنت ماذا فعلت؟ . .

نملةٌ نكرة، أنقذتْ أمة . . نملة حملت همّ أمة فأنقذتْها ؛ وهي نكرة لا شأن لها ، وأنقذ الله جلَّ وعلا هذا الوادي على يديها .

من السهل جدّاً أن تحمّل غيرك المسؤولية فيما يحدق بالأمة، ولكن لنكن صريحين، وجريئين : ماذا قدَّمنا؟ وماذا فعلنا؟ . .

نملة نكرة فعلتْ، ونحن لا نستطيع أن نفعل لأمتنا ما فعلته هذه النملة مع بني قومها ! . .

❁ ❁ ❁

الليلة ٧٠

قالت نملة (٢)

● ثم نأتي إلى نقطة أخرى: هل جلستْ هذه النملة تحلِّل نوايا سليمان كما يتفلسف البعض في الحديث عن نوايا إسرائيل؟ هل قالت: إن سليمان قد احتقركم، إنكم جند ضعيف فلا يبالي بكم؟ هل جلست أو جلس قومها يتساءلون؟.. بل إنها لو سكتت لفعلت خيراً.. فكيف وقد برّأت سليمان عليه السلام وجنوده، قالت: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ١٨]؛ أنا لا أتهمهم في نياتهم، مع أنهم سيحطمونكم، سيقتلونكم، سيقضون عليكم.. لكن ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

هل قال النمل: أنت تريدين السلطة، تريدين العلو، تريدين الشهرة؟.. لا.. بل استجاب النمل ودخلوا مساكنهم، ونجوا بدعوة هذه النملة الصغيرة.

● ومن خصائص النمل جديتها وصبرها عند بناء بيوتها؛ حتى إن البيت من بيوت النمل يسقط فتعاود فوراً بناءه مرة أخرى، ثم يسقط فتعاود بناءه مرة ثالثة ورابعة حتى يستقيم البيت[١].

يذكر المؤرِّخون أن تيمورلنك ـ القائد المعروف ـ هُزم في معركة من المعارك، فتفرَّق الجيش وتشتّت، فما كان من تيمورلنك إلا أن هام على وجهه حزيناً كئيباً؛ ذهب إلى إحدى المغارات، وجلس فيها يتأمَّل فيما وصل إليه حال جيشه.. وبينما هو مستغرق في تفكيره إذا بنملة تريد أن تصعد على حجرة ملساء، فسقطتْ، حاولت المرة الثانية وسقطت، والثالثة وسقطت، بدأ يرقب هذا المخلوق الصغير.. تابع تيمورلنك النملة حتى

(١) النملة، د. ناصر بن سليمان العمر.

صعدت في المحاولة السابعة عشرة؛ فقال: والله عجيب! نملة تكرر المحاولة قرابة عشرين مرة، وأنا أُهزم وجيشي من المرة الأولى؟!.. ما أضعفنا وما أحقرنا!..

نزل من المغارة وصمَّم على أن يجمع فلول جيشه، وأن يدخل المعركة، وأن لا ينهزم ما دام فيهم حي واحد، ومنظر النملة ماثل في رأسه..

جمع قومه وتعاهدوا على دخول المعركة، وعلى ألا ينهزموا ما دام فيهم حي واحد.. دخلوا المعركة بهذه النية، وبهذا التصميم.. فانتصروا في المعركة.

● وأجمع علماء الأحياء على أن النملة من أكثر المخلوقات جديةً وحزماً؛ فهل رأيتم يوماً من الأيام نملة نائمة في الطريق؟ هل رأيتم يوماً من الأيام نملة واقفة تتفرج؟ أبداً ما ترى النملة إلا جادة في مسيرتها وجادة في كل حركة من حركاتها.

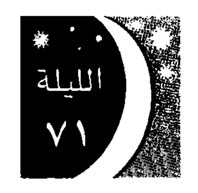
ونحن أحوج ما نكون لهذه الجديّة؛ نحتاج إليها في طلب العلم، في أعمالنا ووظائفنا، وكل أمور حياتنا.. ألا يكفينا ما نحن فيه من ذل وتخلف؟!..

● ومن صفات النملة: التعاون؛ فإذا رأيتم عشراً من النمل يمشون؛ فهل ترون كل واحدة تمشي وحدها؟ أم أن النمل يخطُّ خطّاً واحداً، فتجد عشرين أو ثلاثين نملة أو أكثر قد خطت خطّاً واحداً مع بعضها البعض:

تأبى الرماحُ إذا اجتمعْنَ تكسُّراً وإذا افترقْنَ تَكَسَّرتْ آحادا

أليست هذه دروس لنا نستفيد منها؟! فهل من معتبر؟!..

❋ ❋ ❋



أمَّن يجيب المضطر إذا دعاه؟

يقول ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تأملتُ حالة عجيبة؛ وهي أن المؤمن تنزل به النازلة، فيدعو ويبالغ في الدعاء، فلا يرى أثراً للإجابة!.. فإذا قارب اليأس، نُظر حينئذٍ إلى قلبه؛ فإن كان راضياً بالأقدار غير قنوط من فضل الله تعالى، فالغالب تعجيل الإجابة عند ذاك، وذلك يتجلَّى في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ﴾ [البقرة: ٢١٤].

وقد جرى ذلك ليعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ فإنه لما فُقدَ ولده يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وطال الأمر عليه لم ييئَس من الفرج، وأُخذ ولدهُ الآخر، ولم ينقطع أمله من فضل ربه: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ﴾ [يوسف: ٨٣].

فلا تستطلْ مدة الإجابة؛ فالله يريد أن يرى تضرعك، ويريد أن يؤجرك على صبرك.. يبتليك بالتأخير لتحارب وساوس الشيطان..

ويختبرك أحياناً بمزيد من المرض، ليرى قوة عزيمتك، وصبرك على البلاء؛ فإن صبرتَ فأنت من المطيعين، وإن انهزمتَ ـ لا سمح الله ـ كنتَ من الخاسرين؛ فليس بعد الصبر إلا الفرج..

ألسنا مأجورين إن شاء الله على هذا الصبر وهذا الامتحان؟!..

يقول علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: إنكَ إن صبرتَ؛ جرى عليك القلم وأنت مأجور، وإن جزعتَ؛ جرى عليك القلمُ وأنتَ مأزور (أي: آثم).

يقول الشاعر:

إذا بُليتَ فثقْ بالله وارضَ به ... إنَّ الذي يكشفُ البَلْوَى هو اللهُ

إذا قضى اللهُ فاستسلمْ لقدرتهِ ... ما لامرئٍ حيلةٌ فيما قَضَى اللهُ

اليأسُ يقطعُ أحياناً بصاحبِهِ ... لا تيئسنَّ فإنَّ الصانعَ اللهُ

فلا تيئَس يا أخي الحبيب، واصبر على بلواك؛ تنل عظيم الثواب..

يقول الفضل بن سهل: إن في العلل (الأمراض) نعماً ينبغي للعاقل أن يعرفها:

تمحيص الذنب..

والتعرض للثواب..

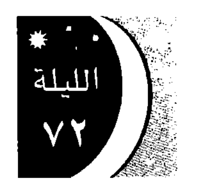
والإيقاظ من الغفلة..

والتذكير بنعمة الصحة..

والاستدعاء للتوبة..

❁ ❁ ❁





هل ماتت القلوب؟

● كان إبراهيم بن أدهم يمشي في البصرة، فاجتمع إليه الناس فقالوا: ما بالنا ندعو فلا يُستجابُ لنا؟ وإن الله تعالى يقول: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

فقال: يا أهل البصرة! **قد ماتت قلوبُكم بعشرة أشياء**، فكيف يُستجاب لكم؟!..

١ ـ عرفتم الله؛ ولم تؤدوا حقَّه!..

٢ ـ وقرأتم القرآن؛ ولم تعملوا به!..

٣ ـ وادَّعيتم حبَّ رسول الله ﷺ؛ وتركتم سنَّته! ..

٤ ـ وادَّعيتم عداوة الشيطان؛ وأطعتموه!..

٥ ـ وادَّعيتم دخول الجنة؛ ولم تعملوا لها!..

٦ ـ وادَّعيتم النجاة من النار؛ ورميتم فيها أنفسكم!..

٧ ـ وقلتم: الموتُ حقّ؛ ولم تستعدوا له!..

٨ ـ واشتغلتم بعيوب الناس؛ وتركتم عيوبكم!..

٩ ـ ودفنتمُ الأموات؛ ولم تعتبروا!..

١٠ ـ وأكلتم نعمة الله؛ ولم تشكروه عليها[١].

تُرى هل راجعنا أنفسنا كل يوم في هذه الأشياء العشرة قبل أن نسأل الله فلا يُستجاب لنا؟!..

---

(١) حلية الأولياء: ٨/ ١٥.

● **من أي القلوب قلبك؟:**

قال رسول الله ﷺ: «**القلوب أربعة:**

قلبٌ أجرد فيه مثل السراج يُزهر..

وقلبٌ أغلف مربوطٌ على غلافه..

وقلبٌ منكوسٌ..

وقلبٌ مُصفَّح...

فأما القلب الأجرد: فقلب المؤمن، سراجُه فيه نوره..

وأما القلب الأغلف: فقلب الكافر..

وأما القلب المنكوس: فقلب المنافق؛ عَرَف ثم أنكر..

وأما القلب المصفَّح: فقلب فيه إيمان ونفاق؛ فمَثَلُ الإيمان فيه كمثل البقلة؛ يمدُّها الماء الطيب؛ ومَثَلُ النفاق فيه كمثل القرحة؛ يمدُّها القيح والدم.. فأيّ المادتين غلبت على الأخرى؛ غلبت عليه»[١].

يقول مصطفى صادق الرافعي رَحِمَهُ اللَّهُ:

إن الخطأ الأكبر أن تُنَظِّم الحياةَ من حولك، ثم تترك قلبك في فوضى!..

* * *

(١) تفسير ابن كثير: ١/ ٨٥، وإسناده جيد حسن (الدرر السنية).

الليلة ٧٣

لا تكن رويبضة!..

● يقول عليه الصلاة والسلام: «**سيأتي على الناس سنوات خدّاعات..**

يُصدَّقُ فيها الكاذب، ويُكذَّب فيها الصادق..

ويؤتمنُ فيها الخائن، ويُخوَّن فيها الأمين..

ويَنطِقُ فيها الرويبضة».

قيل: وما الرويبضة؟.

قال عليه الصلاة والسلام: «**الرجل التافه يتكلَّم في أمر العامة**»[1].

يقول ابن منظور في (لسان العرب):

«**الرويبضة**: هو العاجز الذي ربض عن معالي الأمور، وقعدَ عن طلبها. والغالب: أنه قيل للتافه من الناس لربوضه في بيته، وقلة انبعاثه في الأمور الجسيمة»[2].

ألا تجد أخي الحبيب من يجلس في مجلس؛ يتكلّم بالتافه من الكلام؟!..

أو تجد صحفيّاً يكتب مقالاً مطوّلاً عن توافه الأمور؟!..

أو من يخرج على الفضائيات التافهة يتحدَّث عن أمور لا تفيد ولا تُجدي.. بل ربما تضرُّ وتؤذي؛ يضلل الناس، أو يشوِّش أفكارهم.

---

(١) صحيح الجامع (٣٦٥٠).

(٢) لسان العرب: ٧/ ١٥٣.

● **أيّ الجلساء خير؟:**

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قيل: يا رسول الله! أيُّ جلسائنا خيرٌ؟.

قال: «مَنْ ذكَّركُم الله رؤيتُه..

وزاد في علمكم مَنطقُه..

وذكَّركم بالآخرة عملُه..»[١].

فكم من جلسائنا من تنطبق عليه هذه الصفات؟! ثم ألا ينبغي أن نسعى لمجالسة أمثال هؤلاء؟!..

إذا جلست مع أصحابك، أو أقاربك، ودار ما دار من حديث؛ فلا تنسَ أن تنهي تلك الجلسة بما علَّمنا حبيبنا رسول الله ﷺ؛ يقول عليه الصلاة والسلام: «**من جلس مجلساً كثر فيه لغَطُهُ، فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك اللهمَّ وبحمدك، أشهد أن لا إلٰه إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك؛ إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك**»[٢].

كم من الوقت يستغرق ذلك الذكر؟ إنها ثوانٍ معدودات! ولكن كم من الناس من يفوته هذا الفضل العظيم.. عفو وغفران من رب العالمين.

❋ ❋ ❋

---

(١) رواه أبو داود، والترمذي.

(٢) صحيح الترغيب، للألباني (١٥١٦).

الليلة ٧٤

درهم يأتيك بسبعمئة درهم

إذا كان الله تعالى يعدنا على الصدقة بسبعمئة ضعف؛ فلماذا نتردد في عمل الخيرات والإحسان إلى الفقراء؟!..

يروى أن الوزير المهلبي (المتوفى عام ٣٥٢هـ)، كان فقيراً في أول عمره، لا يملك شيئاً من حطام هذه الدنيا.. سافر مرة وهو فقير، فلم يجد ما يأكله؛ اشتهى اللحم ولم يكن معه ثمن اللحم؛ فقال:

ألا موتٌ يُباعُ فأشتريهِ فهذا العيشُ ما لا خيرَ فيهِ
ألا موتٌ لذيذُ الطَّعم يأتي يُخلِّصُني من العيشِ الكريهِ

وكان معه في السفر رجل يقال له: أبو عبد الله الصوفي، فلما سمع منه هذه الأبيات؛ اشترى له **لحماً بدرهم** وطبخه وأطعمه، ثم افترق الرجلان...

ومرَّت الأيام.. حتى صار المهلبي وزيراً للخليفة (معز الدولة بن بويه) في بغداد، وضاقت الحال برفيق سفره أبي عبد الله الصوفي؛ حتى لم يعد يجد ثمن اللحم، فذهب إلى الوزير، وكتب إليه رقعة يقول فيها:

ألا قلْ للوزيرِ فَدتْهُ نفسي مقالَ مُذكِّرٍ ما قد نسيه
أتذكُرُ إذ تقولُ لضيْقِ عيشٍ: ألا موتٌ يُباعُ فأشتريه؟

فلما قرأ الوزير المهلبي هذا الخطاب؛ تذكَّر أحواله الماضية.. تذكَّر فقره وجوعه.. تذكَّر من أطعمه اللحم يوم اشتهاه! فاضت عيناه بالدموع، وتذكّر نِعمَ الله عليه.. كيف صار وزيراً بعد أن كان فقيراً، فأمر له بسبعمئة درهم.. وكتب تحت التوقيع: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ﴾ [البقرة: ٢٦١]، ليعلِمَهُ أن

الدرهم الذي اشترى له به اللحم قد ضاعفه الله تعالى سبعمئة ضعف! ثم أكرمه وقلَّده وظيفة عنده!..

ألم يقل الشاعر:

من يفعلِ الخير لا يُعدمْ جوازيَه لا يذهبُ العرفُ بينَ اللهِ والنَّاسِ

● **لا تنتظر الشكر من أحد:**

قال أحد الحكماء: من انتظر لمعروفه شكراً فقد استدعى عاجل المكافأة..

● **صناعة المعروف من السرف المحمود:**

يقول عمرو بن العاص رضي الله عنه: «في كل شيء سرف إلا في ابتناء المكارم، أو اصطناع معروف، أو إظهار مروءة».

تذكر قول أحد الحكماء: «صاحبُ المعروف لا يقع، وإذا وقع وجد متَّكأً».

❁ ❁ ❁

الليلة ٧٥

هكذا تكون الأوقاف

يحدِّثنا التاريخ عن أوقاف جعلها الأمراء والأثرياء المسلمون منارات خير لعامة الناس، قبل أن يتفاخر الغرب بما عندهم من مؤسسات خيرية للإنسان والحيوان. .

- فكان هناك وقف للحيوانات المسنَّة والعاجزة عن العمل في دمشق؛ تأكل فيه الحيوانات حتى تموت، دون أن يضطر أصحابها لقتلها تخلُّصاً من نفقاتها. .

- وكان هناك وقفٌ على تمريض القطط والكلاب والحيوانات المريضة. .

- ووقف لتزويج الشباب والفتيات العاجزين والعاجزات عن نفقات الزواج. .

- ووقف لاستئجار مبصرين ليقودوا العميان. . فكان لكل أعمى قائد يقوده. .

- وتحدَّث الرحالة ابن بطوطة عن وقف «الزبادي» في دمشق؛ فقد حدث أن رأى بعينيه صبيّاً كانت بيديه زبدية (وعاء)، فانكسرت، فبكى خوفاً من بطش أهله به. . فأخذه الناس إلى ناظرِ «وقف الزبادي»، فأعطاه زبدية مثلها، فعاد إلى أهله دون أن يشعر أهله بما كسر!. .

- ويروى أنه كان فِي مدينة «فاس» في المغرب وقفٌ للثياب؛ فمن كان ماراً في البلدة، وتمزَّق ثوبه أو أصابه شيء؛ ذهب إلى ذلك المكان فيأخذ ثوباً بدلاً عن ثوبه الذي تمزق أو فسد!. .

- ويروي التاريخ أنه كان هناك في طرابلس وقف لاستئجار شخصين يذهبان كل يوم إلى المستشفى، فيقفان بجانب المريض يتحدثان بكلام

خافت يسمعه المريض؛ بحيث يوهمانه أنهما يتكلمان سرّاً عنه؛ فيقول أحدهما للآخر: ما رأيك في هذا المريض اليوم؟.

فيقول الآخر: إني أراه اليوم أحسن مما كان في الأمس؛ فوجهه مشرق وعيناه متألقتان..

ثم ينصرفان، وقد سمع المريض كلامهما؛ بعد أن أَوحيا إليه ما يجعله يعتقد في نفسه التقدم نحو الشفاء.. أليس هذا ضرباً من العلاج بالإيحاء الذي ثبت أنه يزيد من معنويات المريض، ويزيده ثقة بأنه يتماثل للشفاء؟!..

أين نحن في مشافينا مما كان عليه المسلمون قبل أكثر من ألف عام؟!..

ألسنا أجدر بإعادة تلك الأوقاف إلى ما كانت عليه؟!..

ألسنا أجدر بحماية الحيوان؛ والرسول ﷺ يقول: «**دخلت امرأة النار في هرة ربطتها حتى ماتت...**»[1]؟!..

ألا يستطيع البعض منّا تأسيس أمثال تلك الأوقاف ولو على مستوى صغير، ومن ثَمَّ يبارك الله فيه ويزداد خيراً وحبوراً؟!..

فالوقف نظام فريد تميَّز به الإسلام؛ وهو أن تُوقِفَ أرضاً أو بناءً، فلا يباع ولا يملكه أحد، وتُصرَفُ غلَّته وعائداته على جهة من جهات الخير؛ كالمساجد والمدارس والمستشفيات وطلبة العلم وأصحاب الحاجات..

يقول زيد بن ثابت رضي الله عنه: «لم أَرَ خيراً للميت ولا للحي من تلكم الحبوس الموقوفة».

❊ ❊ ❊

---

(١) رواه البخاري.

الليلة ٧٦

مساكين أهل الدنيا

● قال أحدهم: مساكين أهل الدنيا! خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها!..

قيل: وما أطيب ما فيها؟.

قال: محبة الله تعالى، ومعرفته، وذكره!..

● يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لولا ثلاث في الدنيا لما أحببتُ البقاء فيها:

- لولا أن أحمل أو أجهِّز جيشاً في سبيل الله.. فالرسول عليه الصلاة والسلام يقول: «**من لم يغزُ أو يجهز غازياً أو يخلف غازياً في أهله بخير أصابه الله بقارعة**»[1]..

- ولولا مكابدة الليل (أي: قيام الليل)..فالرسول عليه الصلاة والسلام يقول: «**عليكم بقيام الليل؛ فإنه دأب الصالحين قبلكم**»[2]..

- ولولا مجالسة أقوام ينتقون أطايب الكلام كما ينتقى أطايب التمر..

فما قيمة الدنيا لولا العمل الصالح الذي يجد الإنسان ثوابه يوم لا ينفع مال ولا بنون؟!..

● دخل ابن السمّاك يوماً على هارون الرشيد؛ فقال له الرشيد: عظني.. ثم دعا الرشيد بماء ليشربه..

فقال ابن السماك: ناشدتك الله؛ لو منعك الله من شربه؛ ما كنتَ فاعلاً؟.

---

(١) صحيح أبي داود (٢٥٠٣). (٢) صحيح الجامع (٤٠٧٩).

قال الرشيد: كنت أفديه بنصف مُلْكي.

قال: فاشربْه..

فلما شرب الخليفة قال له ابن السماك: ناشدتك الله! لو منعك الله من خروجه؛ ما كنت فاعلاً؟..

قال الرشيد: أفديه بنصف مُلكي.

قال ابن السماك: إن مُلْكاً تُفتدى به شربة ماء لخليق ألا يُنافَس عليه!.

لماذا لا نتذكر نعمة كأس الماء في كل يوم؟!..

أرأيتم إلى الذي يصاب بالعطش الشديد في يوم قائظ وسط صحراء قاحلة؛ ماذا يفعل؟! ألا يفتدي كأس الماء بكل ما يملك؟!..

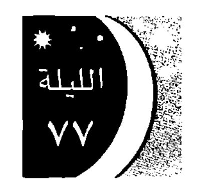
ثم أرأيتم مريضاً مصاباً بانحباس في البول ناجم عن تضخم شديد في البروستاتة، وقد امتلأت مثانته بِلِتْرَيْن أو ثلاثة من البول؟!.. والله لقد رأيت هذا المشهد مرات عديدة؛ فلا تجد شيئاً في الدنيا يعدل فرحة المريض عندما يُدخِلُ الطبيب القسطار في إحليله، فيتدفق البول عبر القسطار، ويشعر المريض عندها بارتياح عجيب!..

رحم الله والدي؛ كان يدعو دوماً: «اللهم ذكِّرنا نِعَمك بدوامها».

● وإذا أتتك الأموال في الدنيا من كل جانب فتذكَّر أن ذلك قد يكون استدراجاً؛ فلا تنسَ فضل الله عليك، وأنفق في سبيل الله..

يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: من وُسِّعَ عليه في دنياه، ولم يعلم أنه مُكِر به؛ فهو مخدوع..

❁ ❁ ❁



أستحيي أن يجود الله لي بشيء فأبخل..

اروِ شجرة العطاء عندك؛ فهي عادة طيبة تَسْعَدُ بها ويسعدُ بها الآخرون.. فالعطاء سعادة وعبادة لرب العالمين، ومن تعوَّد العطاء والصدقات؛ حلَّت عليه البركات في ماله وأهله وولده..

مرَّ عمر بن عبيد بن معمر بزنجيٍّ يأكل عند حائط (في بستان) في المدينة المنورة، وبين يديه كلب؛ فكان كلما أكل لقمة طرح للكلب لقمة! فقال له: أهذا الكلب كلبك؟ قال: لا.. قال: فلماذا تطعمه مثلما تأكل؟!..

قال: إني أستحيي من ذي عينين ينظر إليَّ أن أستفرد بالطعام دونه.

قال: أحرٌّ أنت أم عبد؟..

قال: أنا عبد لبعض بني عاصم.

فأتى عمر ناديهم فاشترى العبد واشترى الحائط (أي البستان)، ثم جاءه فقال: هل شعرتَ أن الله قد أعتقك؟..

قال: الحمد لله وحده، ولمن أعتقني بعده.

قال: وهذا الحائط لك.

قال: أُشهد الله أنه وقْفٌ على فقراء المدينة.

قال: ويحك! أتفعل هذا مع حاجتك وفقرك؟!..

قال: **إني أستحيي من الله أن يجود لي بشيء فأبخل به عليه!**.

فهل يفكِّر الموسرون الذين أغدق الله عليهم بالنعم والخيرات أن يشكروا الله بالصدقات من الطيبات؟!..

يقول أحدهم: «البيتُ الذي يُغلَق أمامَ الفقير، يُفتَح أمام الطبيب».. فلا تنسَ أثر الصدقة العظيم في رد البلاء؛ تصدَّق قبل أن تمرض أو يمرض أحدٌ من أهلك، وتصدّق بعد المرض.. تخيل كم ردَّت هذه الصدقة من مصائب أو أمراض؛ تذكر قول رسول الله ﷺ: «**الصدقة تطفئ غضب الربِّ**»[1].

فكم رأينا أُناساً أفنوا حياتهم في جمع المال؛ لم يتمتعوا به، بل تركوه لغيرهم من بعدهم، ولكن هل نجوا من الحساب عليه؟!..

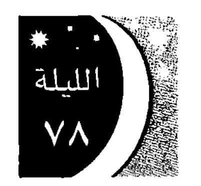
لا والله.. فلسوف يحاسبون على كل صغيرة وكبيرة منه؛ من أين اكتسبه وفيم أَنفقه..

قيل لحكيم: هل شيء خير من الذهب والفضة؟.

قال: معطيهما!.

❋ ❋ ❋

(١) مجمع الزوائد، للهيثمي: ٣/١١٣.



ذكر الله خير من الدنيا وما فيها

مع إطلالة فجر كل يوم جديد؛ املأ عينيك وقلبك من تراتيل الصباح.. أحْسِنِ الإصغاء لصلاة الإيمان تتدفق من قلوب الكائنات لخالق الأكوان.. ألم يقل الله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤].

اذكر الله مع تسابيح الصباح، وأنت في بيتك، أو في السيارة ذاهباً إلى عملك.. املأ قلبك بذكر الله.. استمع إلى شريط «أذكار الصباح» تمتلئ نفسك بمحبة الله، وتشعر أن الله معك في كل مكان، وأنك قوي بالاعتماد على ركن ركين؛ على ربِّ الأرض والسماء...

وتذكَّر قول الشاعر:

وإذا القلوبُ خلتْ من ذكرِ خالِقها   فهيَ الصخورُ تسكنُ الأبدانا

لا تجعل قلبك صخرة صمَّاء، لا عواطف فيها ولا إحساس.. رطِّب لسانك بذكر خالق الأكوان؛ ينساب عطرها في القلوب التي في الصدور، ينشرح بها صدرك، وتهدأ بها نفسك، وتطمئن لها حالك.. يقول عليه الصلاة والسلام: **«مَثَلُ الذي يذكُر ربَّه والذي لا يذكره؛ مَثَلُ الحيِّ والميت»**[١].

وقال عليه الصلاة والسلام: **«ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخيرٍ لكم من إنفاق الذهب والفضة، وخيرٍ لكم من أن تلقوا عدوَّكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟»**.

قالوا: بلى يا رسول الله.

---

(١) رواه مسلم.

قال: «ذكر الله تعالى»[١].

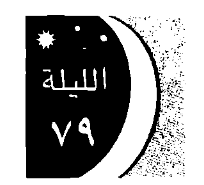
يقولُ عبيد بن عُمير: تسبيحة بحمد الله في صحيفة المؤمن خير من أن تسير أو تسيل معه جبال الدنيا ذهباً.

ويقول رسول الله ﷺ: «إن لله تبارك وتعالى ملائكة سيارة فُضُلاً، يبتغون مجالس الذكر؛ فإذا وجدوا مجلساً فيه ذكر قعدوا معهم، وحفَّ بعضهم بعضاً بأجنحتهم، حتى يملؤوا ما بينهم وبين السماء الدنيا؛ فإذا تفرّقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء، قال: فيسألهم الله ﷻ ـ وهو أعلم بهم ـ: من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عند عباد لك في الأرض، يسبحونك ويكبّرونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك. قال: وماذا يسألونني؟ قالوا: يسألونك جنتك. قال: وهل رأوا جنتي؟ قالوا: لا، أي رب! قال: فكيف لو رأوا جنتي؟! قالوا: ويستجيرونك. قال: وممّ يستجيرونني؟ قالوا: من نارك يا رب! قال: وهل رأوا ناري؟ قالوا: لا. قال: فكيف لو رأوا ناري؟! قالوا: ويستغفرونك. قال: فيقول: قد غفرتُ لهم، فأعطيتهم ما سألوا وأجرتهم مما استجاروا. قال: فيقولون: رب فيهم فلان عبدٌ خطّاء، إنما مرَّ فجلس معهم. قال: فيقول: وله غفرت، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم»[٢].

❊ ❊ ❊

(١) رواه الترمذي.

(٢) رواه مسلم.



ما قمتُ إلى الصلاة إلا مُثِّلت لي جهنم

من الناس من يصلي نصف صلاة، ومنهم من يصلي ربع صلاة، بل وعُشْرَ صلاة!.

يقول ﷺ: «**إن الرجل لينصرف وما كُتِبَ له إلا عُشرُ صلاته، تُسعها، ثُمنها، سُبعها، سُدسها، خُمسها، رُبعها، ثُلثها، نصفها**»[1].

ومن الناس من يصلّي ببدنه وفكره شارد في الأسواق والمعاملات، أو في الدراسة والاختبارات.. أو قل ما شئت من أمور الحياة!.

يقول حماد بن سلمة: **ما قمت إلى صلاة إلا مُثِّلتْ لي جهنم!..**

تُرى مَنْ منَّا يتخيَّل جهنم أمامه حينما يقف بين يدي ربه في الصلاة؟!..

مَنْ منا يصلّي صلاة مودِّع يحسبها آخِرَ صلاة له في هذه الحياة؟!..

أليست الصلاة لدى الكثير منَّا فرصةً لإطلاق عنان الهواجس والأفكار.. للبيع والشراء.. لحساب الخسائر والأرباح.. للتخطيط للأعمال والالتزامات؟!..

تُرى لو كان الواحد منّا واقفاً أمام مسؤول كبير.. ألا يُنصتُ له كل الإنصات؟!..

أليست الصلاة أسرع شيء نؤديه في حياتنا؟!..

ولو تأملتَ في حياة هذا الذي ينقر الصلاة نقراً؛ لرأيته حريصاً متأنياً في أعماله وحساباته ولو على دريهمات قليلات!..

---

(١) صحيح الجامع (١٦٢٦).

كان عبد الله بن مسعود ﷺ إذا قام في الصلاة كأنه ثوبٌ ملقى (أي: لا يتحرك لطول وقوفه بين يدي ربه).

وكان أبو حنيفة يسمَّى «الوتد» لطول وقوفه في الصلاة.

وكان أحدهم يسجد حتى تقع العصافير على ظهره من طول السجود!..

يقول ابن وهب: رأيت الإمام الثوري في الحرم بعد المغرب يصلّي، فسجد سجدة لم يرفع رأسه بعدها حتى نودي بالعشاء!..

سُئل حاتم الأصم عن صلاته، فقال: إذا حانت الصلاة أسبغتُ الوضوءَ، ثم أتيتُ الموضع الذي أريدُ الصلاة فيه، فأقعدُ فيه حتى تجتمع جوارحي، ثم أُقومُ إلى الصلاة، وأجعلُ الكعبةَ بين حاجبي، والجنةَ عن يميني، والنارَ عن شمالي، وملكَ الموت ورائي، أظنها آخِرَ صلاتي.. ثم أقوم بين الرجاء والخوف؛ فلا أدري أَقُبِلَتْ مني أم لا؟!..

يقول أحدهم: مَنْ قرَّتْ عينه بصلاته في الدنيا؛ قرَّتْ عينه بقربه من الله ﷻ في الآخرة، وقرَّت عينه أيضاً في الدنيا، ومَنْ قرَّت عينه بالله قَرَّت به كل عين، ومَنْ لم تقرَّ عينه بالله تعالى تقطعتْ نفسه على الدنيا حسرات..

* * *

الليلة ٨٠

هل أنتَ من الخاشعين في صلاتهم؟

إن كنتَ من الخاشعين في صلاتهم فاحمد الله على هذه النعمة العظيمة.. وإن لم تكن خاشعاً في معظم صلواتك؛ فحاول أن تتدرب على الحصول على لذة الخشوع بين يدي الله!:

- اجعل ذكر الله جزءاً من حياتك اليومية، فتدخل الصلاة وأنت ذاكر لله، وتخرج من الصلاة وأنت ذاكر لله..
- بكِّر في الذهاب إلى المسجد فور سماع الأذان؛ اقرأ شيئاً من القرآن قبل الصلاة، اذكر الله، واستغفر الله؛ فالاستغفار مدعاة للخضوع لعظمة الله الغفّار الودود.
- إذا توضأت؛ فاسأل الله تعالى أن يطهِّر بالك وخواطرك من كل شوارد الحياة، مثلما طهّر جسمك وجعلك نظيفاً نقيّاً.
- إذا دخلت المسجد؛ فاترك الدنيا عند الباب، لا تدخلها معك إلى المسجد، فكِّر في لقاء الله؛ فأنت قادم على رب رحيم.
- صلِّ تحية المسجد، ثم ركعتين قبل الفريضة، ومهِّد نفسك للقاء الكبير مع الله في صلاة الجماعة.
- إذا قال الإمام: استووا.. فتذكَّر أنك واقف في الصف الأول أمام رب العالمين.. وقلْ: اللهم أحْسِنْ وقوفي بين يديك..
- وإذا قلت: الله أكبر، ورفعتَ يديك للتكبير؛ فألقِ وراء ظهرك هموم الدنيا لدقائق معدودات..
- تخيَّل أن هذه الصلاة قد تكون ـ لا سمح الله ـ آخر صلاة لك في هذه الحياة الدنيا..

- إذا ركعتَ فأحسن الركوع، وإذا سجدتَ فاعلم أنك أقرب ما تكون من الله؛ فاستغلَّ هذه اللحظات بالدعاء..

● **البحث عن الأكياس:**

كان لتاجر يبيع الأكياس أجيرٌ تقي، فقال التاجر لأجيره يوماً: أتذكر تلك الأكياس التي بعناها ولم نقبض ثمنها؟..

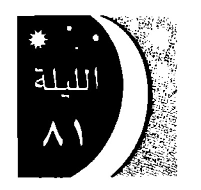
قال: لا!..

وحضرت الصلاة، فصلَّى التاجر وأجيره.. وأثناء الصلاة تذكّر التاجر لمن باع تلك الأكياس.. فقال لأجيره بعد الصلاة: لقد أرسلنا الأكياس لفلان من الناس؛ فاذهب إليه وائتِ بثمنها..

فقال الأجير: يا سيدي! هل كنتَ تصلي لرب الناس أم كنت تبحثَ عن الأكياس؟!..

وللأسف فكثيرون منَّا مَنْ يفتِّش عن الأكياس في صلاته ـ ولو تنوَّعت الأكياس وتعَددت!..

❋ ❋ ❋



عزاء لفوات الجماعة!..

كان الصالحون إذا فاتتهم صلاة الجماعة يعزِّي بعضهم بعضاً؛ فهذا حاتم الأصم يقول: فاتتني الصلاة في الجماعة فعزَّاني أبو إسحاق البخاري وحده.. ولو مات لي ولدٌ لعزَّاني أكثر من عشرة آلاف! لأن مصيبة الدين أهون عند الناس من مصيبة الدنيا!.

فكم هناك من أناس فاتتهم صلاة الجماعة وهم لا يألمون؟!..

وكم يعتذر البعض منَّا لكثرة المشاغل والهموم؟!..

وكم منّا مَنْ يسهر الليالي وتفوته صلاة الصبح مرات ومرات؟!..

ألم يقل رسول الله ﷺ: «**بشِّروا المشائين في الظُّلَمِ إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة**»[1].

فلا تجعل الشيطان يغلبك وتتردد في القيام..

سِرْ إلى جنة عرضها السموات والأرض..

وأبشر بذلك النور يوم لا ينفع مال ولا بنون!..

وهذا عامر بن عبد الله؛ كان في مرض الموت، فلما سمع الأذان قال: خذوا بيدي..

فقيل له: إنك عليل!..

فقال: أسمعُ داعيَ الله فلا أجيبه؟!..

فأخذوا بيده، فدخل في صلاة المغرب فركع مع الإمام ركعةً واحدة ثم مات!..

---

(١) رواه الترمذي، وأبو داود.

وسفيان بن عيينة يحثّ على السير إلى الصلاة حتى قبل النداء، ويقول: لا تكن مثل «عبد السوء»؛ لا يأتي حتى يُدعى.. ائتِ الصلاة قبل النداء؛ أي: قبل الأذان.. فالعبد السيئ لا يأتيك حتى تطلبه.

أما نحن.. فكثير منّا يسمع صوت المنبِّه للصلاة، ولكنه لا يقوم.. وآخرون يُوقَظون للصلاة، فلا يستجيبون..

ولو سمعوا أن لصّاً في البيت، أو أن صافرة إنذار انطلقت؛ لرأيتهم من فراشهم يثبون، وعن النارِ هُمْ يركضون!..

تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ يحدِّثنا ونحدِّثه، فإذا حضرتِ الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه»[1].

فمن منّا يحرص على شهود الصف الأول في المسجد؛ والرسول ﷺ يقول: «**لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول، ثم لا يجدوا إلى أن يستهموا عليه؛ لاستهموا عليه**»[2]؟!.

يقول سعيد بن المسيب: ما فاتتني التكبيرة الأولى منذ خمسين سنة، وما نظرتُ في قفا رجل في الصلاة منذ خمسين سنة.

* * *

(١) حديث مرسل، انظر: تخريج الإحياء، للعراقي: ١/ ٢٠٥.
(٢) متفق عليه.

الليلة ٨٢

اهجر همومك (١)

خُلق الإنسان، وخلق معه القلق، أو خُلق القلق ثم خُلق له الإنسان ليكابده.

وهناك نوعان من القلق: القلق الطبيعي، والقلق المرضي.

أما القلق الطبيعي: فهو الذي يمكن أن نُطلق عليه: القلق الصحي، أو القلق الذي لا حياة بدونه، أو الذي لا معنى للحياة بدونه، وإذا اختفى أصبح الإنسان مريضاً متبلِّد الوجدان.

وهموم الحياة كثيرة: هموم العمل والمنزل، مرض الآباء أو الأبناء، ديون متراكمة أو خلافات عائلية، امتحانات أو مقابلات... وكلها حالات تبعث في النفس القلق، وقد تجعلنا نفقد شهيتنا للطعام، أو ربما نفقد السيطرة على أعصابنا لأتفه الأسباب... وقد نُحرم لذة النوم الهانئ، نتعذَّب بالانتظار والحيرة، ونذوق مرارة الحياة.. وتمرّ الأيام، وتنقشع تلك المشاكل والهموم، ونرضى بالأمر الواقع، ويزول القلق، وننعم بالسكينة والهدوء، ثم تأتي مشكلة جديدة، ونمرُّ بتجربة أخرى، وهكذا هي الحياة..

وأما القلق غير الطبيعي: فهو إحساس غامض غير سارٍّ يلازم الإنسان، وأساس هذا الإحساس هو الخوف؛ الخوف من لا شيء، الخوف من شيء مبهم.

وفي حالات القلق يزداد إفراز مادة في الدم تدعى الأدرينالين، فيرتفع ضغط الدم، ويتسرَّع القلب، ويشكو الإنسان من الخفقان، أو يشعر وكأن شيئاً ينسحب إلى الأسفل داخل صدره، ويظن بقلبه الظنون، ويهرع من

طبيب إلى طبيب، وما به من علة في قلبه، ولا مرض في جسده؛ إلا أنه يظل يشكو من ألم في معدته واضطراب في هضمه، أو انتفاخ في بطنه، واضطراب في بوله، أو صداع في رأسه.

يقول ديل كارنيجي: «عشت في نيويورك أكثر من سبع وثلاثين سنة، فلم يحدث أن طرق أحدٌ بابي ليحذِّرني من مرض يدعى (القلق)، هذا المرض الذي سبَّب في الأعوام السبعة والثلاثين الماضية من الخسائر أكثر مما سبَّبه الجدري بعشرة آلاف ضعف! نعم لم يطرق أحد بابي ليحذِّرني أن شخصاً من كل عشرة أشخاص من سكان أمريكا معرض للإصابة بانهيار عصبي مرجعه في أغلب الأحوال إلى القلق!».

ويتابع كارنيجي القول: «لو أن أحداً مَلَكَ الدنيا كلها ما استطاع أن ينام إلا على سرير واحد، وما وسعه أن يأكل أكثر من ثلاث وجبات في اليوم، فما الفرق بينه وبين الفلّاح الذي يحفر الأرض؟ لعلّ الفلّاح أشدّ استغراقاً في النوم، وأوسع استمتاعاً بطعامه من رجل الأعمال ذي الجاه والسطوة».

ويقول الدكتور الفاريز: «لقد اتضح أن أربعة من كل خمسة مرضى ليس لعلتهم أساس عضوي البتة، بل مرضهم ناشئ من الخوف، والقلق، والبغضاء والأثرة المستحكمة، وعجز الشخص عن الملاءمة بين نفسه والحياة».

قال المنصور:

كُن موسراً إن شئتَ أو معسراً ... لا بدَّ في الدنيا من الغمِّ
وكلَّما زادك من نعمةٍ ... زاد الذي زادك في الهمِّ

* * *

الليلة ٨٣

اهجر همومك (٢)

والهموم تفتك بالجسم وتهرمه، قال المتنبي:

والهمُّ يخترمُ الجسيمَ نحافةً ... ويشيبُ ناصيةَ الصبيِّ ويُهْرِمُ

وقد قرأنا كيف أن بكاء يعقوب عليه السلام على ابنه أفقده بصره، وكيف أن الغم بلغ مداه بالسيدة عائشة رضي الله عنها عندما تطاول عليها الأفّاكون؛ فظلت تبكي حتى قالت: «ظننت أن الحزن فالق كبدي».

وترى المهموم حزيناً مكتئباً.. ومن الناس من يستطيع كتمان همومه، ويبدي لك نفساً راضية، ولربما ضحك المهموم وأخفى همومه، وفي أحشائه النيران تضطرم؛ قال الشاعر:

وربَّما ضحكَ المهمومُ من عجبٍ ... السنُّ تضحكُ والأحشاءُ تَضْطَرِمُ

وقد ذمَّ الرسول ﷺ التكالب على دنيا الهموم؛ فقال: **«مَنْ جعل الهم واحداً كفاه الله همّ دنياه، ومن تشعبته الهموم لم يبالِ الله في أي أودية الدنيا هلك»**[١].

ويهدف هذا التوجيه النبوي إلى بث السكينة في الأفئدة، واستئصال شأفة الطمع والتكالب على الدنيا.. وفي ذلك يقول عليه الصلاة والسلام: **«من كانت الآخرة همَّه؛ جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة. ومن كانت الدنيا همه؛ جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم يأتِهِ من الدنيا إلا ما قدر له»**[٢].

---

(١) رواه الحاكم.

(٢) رواه الترمذي.

وسمع النبي ﷺ رجلاً يقول: اللهمَّ إني أسألك الصبر، فقال: «سألتَ الله البلاء فسلْهُ العافية»(١).

ولا شك أن علاج الهموم يكمن في الرضا بما قدَّر الله، والصبر على الابتلاء، واحتساب ذلك عند الله، فإن الفرج لا بد آتٍ.

وتذكَّر قول الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ في قصيدة من أجمل قصائده:

ولا تجزعْ لحادثةِ الليالي ... فما لحوادثِ الدُّنيا بقاءُ

فلا حزنٌ يدومُ ولا سرورٌ ... ولا عُسْرٌ عليك ولا رخاءُ

وقال آخر:

دعِ المقاديرَ تجري في أعنَّتِها ... ولا تبيتنَّ إلا خاليَ البالِ

ما بين غفوة عينٍ وانتباهَتِها ... يغيِّرُ اللَّهُ من حالٍ إلى حالِ

والساخطون والشاكون لا يذوقون للسرور طعماً؛ فحياتهم كلها سواد دامس، وليل حالك.

أما الرضا فهو نعمة روحية عظيمة لا يصل إليها إلا من قوي بالله إيمانه، وحسن به اتصاله.. والمؤمن راضٍ عن نفسه، وراضٍ عن ربه؛ لأنه آمن بكماله وجماله، وأيقن بعدله ورحمته.. ويعلم أن ما أصابه من مصيبة فبإذن الله؛ وحسبه أن يتلو قول الله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١١].

* * *

---

(١) رواه الترمذي.

الليلة
٨٤

الحياء لا يأتي إلا بخير

هكذا قال رسول الله ﷺ، كما يرويه البخاري ومسلم.

ألا يمنعك الحياء عن كلِّ ما لا يرضى به الخالق والمخلوق؟!..

ألا يمنعك عن فعل المحرمات وإتيان المنكرات؟!..

ألا يصونك عن كل ما يستقبحه العقل الحكيم ويمجُّه الذوق الرفيع؟!.

قال رسول الله ﷺ: «الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة، والبذاء[1] من الجفاء[2]، والجفاء في النار»[3].

قال كعب: «استحيوا من الله في سرائركم كما تستحيون من الناس في علانيتكم».

فهل نستحيي من الله في خفايانا مثلما نستحيي من الناس في العلن؟! وهل نراقب الله تعالى في الخفاء مثلما نخاف كلام الناس علينا إن أخطأنا في علانيتنا؟!..

قال أحدهم: من عمل في السر عملاً يستحيي منه في العلانية؛ فليس لنفسه عنده قَدْرٌ!..

فهل يقبل أحدنا ألا يكون له قَدْرٌ عند الله وعند الناس؟!.. ولله در الشاعر:

إذا لم تخشَ عاقبةَ الليالي ولم تستَحْيِ فاصنعْ ما تشاءُ

---

(١) **البذاء**: الفحش.

(٢) **الجفاء**: ضد البر.

(٣) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

فـلا واللهِ، مـا فـي الـعـيـشِ خـيـرٌ   ولا الـدنـيـا إذا ذهـبَ الـحـيـاءُ
يـعـيـش الـمـرءُ مـا اسـتـحـيـا بـخـيـرٍ   ويـبـقـى الـعُـودُ مـا بـقـيَ الـلِّـحـاءُ

ولكن هناك أمور ينبغي ألا تستحيي منها؛ افعلها بحكمة وأدب..

يقول أحدهم: ثلاثة لا تستحي منهنَّ:

- **طلب العلم**.. (فإذا لم تسأل وتسأل فلن تنال العلم أبداً).
- **ومرض البدن**.. (فإذا ما ابتلاك الله بمرض الجلد مثلاً فلا تنطوي على نفسك وتنعزل عن الناس).
- **وذي القرابة الفقير**.. (فإياك أن تستحيي من أن تقول: هذا ابن عمي أو ابن خالي).

وأعلى مراتب الحياء: استحياء الإنسان من ربه فلا يعصيه، ولا يقصِّر في طاعته... يقول عليه الصلاة والسلام: «**من استحيا من الله حق الحياء؛ فليحفظ الرأس وما وعى، وليحفظ البطن وما حوى، وليذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله ﷻ حقَّ الحياء**»[1].

ومن الحياء رؤية نِعم الله عليك وتقصيرك في حق الله تعالى، ومن استحيا من الله فأطاعه ولم يعصه؛ استحيا الله منه حين تعرض عليه أعماله يوم القيامة..

يروى أن امرأة العزيز لما همَّت بيوسف، غطّت وجه صنمٍ لها في زاوية البيت، فقال يوسف: ماذا تصنعين؟.. قالت: أستحيي منه.. فقال: أنا أوْلى أن أستحيي من الله تعالى!..

❋ ❋ ❋

(١) صحيح الجامع (٩٣٥).

الليلة ٨٥

هكذا يكون الحبُّ

● **حب أبي بكر** رضي الله عنه:

يقول سيدنا أبو بكر رضي الله عنه: كنّا في الهجرة وأنا عطشان جدّاً، فجئت بمذقة لبن فناولتها للرسول ﷺ، وقلت له: اشرب يا رسول الله.. يقول أبو بكر رضي الله عنه: فشرب النبي ﷺ **حتى ارتويتُ!**.

لا تكذّب عينيك! فالكلمة صحيحة ومقصودة، فهكذا قالها أبو بكر الصديق رضي الله عنه.. شرب الرسول ﷺ فارتوى أبو بكر رضي الله عنه؛ هل ذقتَ جمال هذا الحب؟ إنهُ حبٌّ من نوع خاص! فأين نحن من هذا الحب؟!..

● **حبُّ ثوبان** رضي الله عنه:

غاب النبي ﷺ طوال اليوم عن سيدنا ثوبان ـ خادمه ـ، وحينما جاء قال له ثوبان رضي الله عنه: أوحشتَني يا رسولَ الله!.. وبكى.

فقال له النبي ﷺ: «**أهذا يبكيك؟**».

قال ثوبان رضي الله عنه: لا يا رسول الله! ولكن تذكرتُ مكانكَ في الجنة ومكاني، فذكرتُ الوحشة.. فنزل قول الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء: ٦٩]..

فأبشر فأنت مع مَنْ تحب!..

● **حبُّ سواد بن غزيّة** رضي الله عنه:

كان سواد بن غزيّة واقفاً يوم غزوة أُحد وسط الجيش؛ فقال النبي ﷺ للجيش: «**استووا.. استقيموا**».

فنظر النبي ﷺ فرأىٰ سواداً لم ينضبط؛ فقال النبي ﷺ: «**استوِ يا سواد**».

فقال سواد: نعم يا رسول الله.. ووقف، ولكنه لم ينضبط.

فجاء النبي ﷺ بسواكه ونخز سواداً في بطنه، قال: «**استوِ يا سواد**».

فقال سواد: أوجعْتَني يا رسول الله، وقد بعثك الله بالحق فأقِدْني!.

فكشف النبي ﷺ عن بطنه الشريفة وقال: «**اقتصَّ يا سواد**».

فانكبَّ سوادُ على بطن النبي ﷺ يقبّلها، يقول: هذا ما أردتُ، وقال: يا رسول الله! أظن أن هذا اليوم يوم شهادة؛ فأحببتُ أن يكونَ آخِرَ العهد بك أن يمسَّ جلدي جلدَك.

● **وأخيراً لا تكن أقل من الجِذْع!:**

كان النبي ﷺ يخطب في مسجده قبل أن يُقام المنبر بجوار جذع شجرة حتى يراه الصحابة.. فيقف النبي ﷺ يمسك الجذع، فلما بنوا له المنبر ترك الجذع وذهب إلى المنبر، فسمعنا ـ يعني: الصحابة ـ للجذع أنيناً لفراق النبي ﷺ، فوجدنا النبي ﷺ ينزل عن المنبر ويعود للجذع ويمسح عليه، ويقول له النبي ﷺ: «**ألا ترضى أن تدفن هاهنا وتكون معي في الجنة؟!**» فسكن الجذع.

❃ ❃ ❃

الليلة ٨٦

العافون عن الناس

العفو: هو أن تصفح عند المقدرة عمَّن هفا وأخطأ. . وهو يزيل ما في القلوب من عداوة وبغضاء، ويحفظ قدْرك بين الناس، ويعوِّضك الله الأجر في الآخرة.

يقول ﷺ: «**ينادي منادٍ يوم القيامة: ليقم من أجره على الله فليدخل الجنة**» قال: ومن ذا الذي أجره على الله؟ قال: «**العافون عن الناس**»[(١)].

فإذا كنت تريد أن تكون من هؤلاء الذين **أجرهم على الله**؛ فاعفُ واصفح عمن أساء إليك، أو أخطأ بحقك، أو قصَّر معك؛ ألم يقل الله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠]؟!.

حلْمٌ وصبرٌ على من أخطأ بحقك، وعفوٌ عمن ظلمك، وإعطاء لمن حَرَمك العطاء، وصلة لمن بادرك بالقطيعة. . . أية أخلاق هذه أوصلت أصحابها إلى أعلى الدرجات يوم يقوم الأشهاد؟!. .

يروى أن أعرابيّاً جيء به إلى السلطان ليحاكمه على تهمة. .

فجاء وهو يقول: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩].

فقيل له: يقال هذا الكلام يوم القيامة. . وليس اليوم!. .

فقال: والله إن هذا اليوم شَرٌّ من يوم القيامة؛ ففي يوم القيامة يؤتى بحسناتي وسيئاتي، وأنتم اليوم جئتم بسيئاتي وتركتم حسناتي!. .

فإذا كنتَ أباً وأخطأ ابنك مرة؛ فلا تنسَ كلَّ حسناته!. .

---

(١) رواه الطبراني، بإسنادٍ حسن.

وإن أخطأ صديقك بحقك مرةً؛ فلا تنسَ جميل صحبته وحُسْنَ عشرته..

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«يا بن آدم.. إن بينك وبين الله خطايا وذنوب لا يعلمها إلا هو.. وإنك تحب أن يغفرها الله.. فإذا أردتَ أن يغفرها لك فاغفر أنت لعباده.. وإذا أحببتَ أن يعفوها عنك فاعفُ أنت عن عباده».

ولقد كان لسان حال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ مع أعدائه: «من ضاق صدره عن مودتي، وقصرت يده عن معونتي؛ كان الله في عونه، وتولّى جميع شؤونه..

وإنَّ كل من عاداني وبالغ في إيذائي؛ لا كدَّر الله صفو أوقاته، ولا أراه مكروهاً في حياته».

❋ ❋ ❋

الليلة
٨٧

الزوجات الأربع

يحكى أن ملكاً من ملوك الدنيا كانت لديه أربع زوجات:

الزوجة **الرابعة** كان يحبها حبّاً جنونيّاً، ويعمل كلَّ شيء من أجل رضاها..

أما **الثالثة** فكان يحبُّها أيضاً، ولكنه يشعر أنها قد تتركه من أجل شخص آخر..

زوجته **الثانية** كانت هي من يلجأ إليها عند الشدائد، وكانت دائماً تستمع إليه وتقف إلى جواره عند الضيق..

أما الزوجة **الأولى** فكان يهملها ولا يهتم بها ولا يرعاها، رغم دورها الكبير جدّاً، وحبها الشديد له، ومواقفها معه التي حافظت معه على المملكة.

في يوم من الأيام مرض الملك مرضاً شديداً، وشعر باقتراب الأجل، وفكّر في حاله، وقال لنفسه: أنا لديَّ أربع زوجات، ولا أريد أن أذهب وحدي إلى القبر.. سأل الملك زوجته **الرابعة** وقال لها: أحببتك أكثر من باقي زوجاتي، ولبّيت كل رغباتك وطلباتك وأحلامك، فهل ترضينَ أن تأتي معي إلى القبر لتؤنسي وحدتي؟ قالت له: مستحيل.. وانصرفتْ دون أيّ تعاطف معه!..

أحضر الملك زوجته **الثالثة** وقال لها: أحببتك طيلة حياتي؛ فهل ترافقينني في قبري؟ قالت له: بالطبع لا.. الحياة جميلة، ولا زال لديّ العمر، وعند موتك سأذهب وأتزوج من ملك آخر!..

أحضر الزوجة **الثانية** وقال لها: كنت ألجأ إليك عند الضيق، وطالما ضحيتِ من أجلي وساعدتِني، فهل تذهبين معي إلى القبر؟ فقالت له: لا

أستطيع تلبية هذا الطلب، وأكثر ما أستطيع فعله هو أن أوصلك إلى قبرك!..

حزن الملك حزناً شديداً على جحود زوجاته، وإذا بصوت يأتيه من بعيد: أنا أرافقك في قبرك.. أنا سأكون معك أينما ذهبت.

نظر الملك فإذا به يجد زوجته الأولى وهي في حالة هزيلة بسبب إهماله لها!.. ندم الملك على سوء رعايته لها في حياته وقال: كان ينبغي أن أعتني بك وأرعاك أكثر من الباقين.. ولو عاد بي الزمن لكنتِ أنتِ حبي الوحيد!..

في الحقيقة.. كلّ واحد منّا لديه أربع زوجات:

الزوجة الرابعة: هي الجسد الذي نحبه ونلبي له شهواته ورغباته دون حساب؛ وهي أول ما يتركنا بعد الموت.

الزوجة الثالثة: هي الأموال والممتلكات، التي ستتركنا فور الموت وتذهب إلى شخص آخر.

الزوجة الثانية: هي الأهل والأصدقاء، الذين مهما بلغت تضحياتهم لنا في الحياة؛ فلا نتوقع منهم أكثر من إيصالنا إلى القبور عند موتنا!..

الزوجة الأولى: هي في الحقيقة حياتنا الروحية وعلاقتنا مع الله، التي غالباً ما ننشغل عن تغذيتها والاعتناء بها على حساب شهواتنا وأجسادنا؛ وأهلنا وأموالنا وأصدقائنا، مع أنها هي الوحيدة التي ستبقى معنا وقت أن ينفضَّ من حولنا كل شيء..

فإذا ما تمثّلت حياتك الروحية لك اليوم على هيئة إنسان؛ فكيف سيكون شكلها وهيئتها؟ هل ستكون هزيلة ضعيفة مهملة؟ أم ستكون قوية معتنى بها وقادرة على الوقوف بجوارك وقت الشدة؟!.

عجّل.. فالوقت أمامك لتصحيح الخطأ!..

❊ ❊ ❊

الليلة ٨٨

هل من الشكر؟

هل من الشكر لله إهدار الأموال الطائلة على التدخين والمسكرات؟!..

هل من الشكر لله إتلاف الصحة والشباب بالزنى والموبقات؟!..

هل من الشكر لله استخدام نعمة الهاتف في إيذاء الآخرين والمعاكسات؟!..

هل من الشكر لله إلقاء الأطعمة الزائدة في صناديق القاذورات؟!..

هل من الشكر لله منع الزكاة وقبض الأيدي عن الصدقات؟!..

هل من الشكر لله تضييع كثير من المسلمين للصلوات في المساجد والجماعات؟!..

هل من الشكر لله محاربة الله تعالى بالتعامل بالربا في البنوك والمؤسسات؟!..

هل من الشكر لله ما تفعله بعض النساء من التبرج والسفور في الطرقات؟!..

هل من الشكر لله إضاعة الوقت فيما لا يفيد على الإنترنت وفي الفضائيات؟!..

ألم يأمرنا الله تعالى بشكره والاعتراف بفضله: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢]؟!.

ألم يخبرنا الله تعالى أنه لا يعذِّب الشاكرين: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٧]؟!.

أليس حفظ النعم ودوامها مرهون بشكر الله على هذه النعم: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧]، وأن رضاه ﷻ في شكره: ﴿وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧]؟!.

برُّ الوالدين صورة عملية لشكر الله على نعمة الوجود، وهي الطريقة إلى رضا الله؛ فالرسول ﷺ يقول: «**رضا الله في رضا الوالدين**»(١).

وصلة الرحم صورة عملية لشكر الله على نعمة الأهل والأقارب، وهي الطريقة إلى طول العمر؛ فالرسول ﷺ يقول: «**من سرَّه أن يبسط له في رزقه، وأن يُنسأ له في أثره؛ فليصل رحمه**»(٢).

والصدقة صورة واقعية لشكر الله على نعمة المال، وهي وسيلة إلى إطفاء غضب الرب؛ فالرسول ﷺ يقول: «**صدقة السرِّ تطفئ غضب الرب، وصلة الرحم تزيد في العمر، وفعل المعروف يقي مصارع السوء**»(٣).

❊ ❊ ❊

---

(١) رواه ابن حبان.

(٢) رواه البخاري.

(٣) صحيح الجامع (٣٧٦٠).

الليلة ٨٩

مَنْ أطيب الناس عيشاً؟

دخل الفتح بن خاقان يوماً على الخليفة المتوكل، فوجده مطرقاً يفكِّر..

فسأله: بمَ تفكر يا أمير المؤمنين؟.

قال: أفكِّر بمن هو أطيب الناس عيشاً على الأرض!.

فقال: أنتَ والله أطيبهم عيشاً وأنعمهم بالاً.

قال: لا.. لستُ أنا، لكن **أطيب الناس عيشاً هو رجل له دار واسعة، وزوجةٌ صالحة، وأولادٌ بَررة، ورزقٌ يكفيه.. لا يعرفنا فنؤذيه، ولا يحتاجنا فنزدريه!..**

ألم يقل الرسول ﷺ: «**أربع من السعادة: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح، والمركب الهنيء.. وأربع من الشقاء: المرأة السوء، والجار السوء، والمركب السوء، والمسكن الضيِّق**»[١].

وكثيرون هم الذين يبحثون عن السعادة في غير مكانها!.. ومن هؤلاء ذلك المغنِّي الشهير الذي ملأ الدنيا بصيته؛ إنه «إلفس بريسلي».. كان شابّاً وسيماً، وكان لديه الكثير من النساء والسيارات والملابس واليخوت والڤيلات... ومع ذلك ربما البعض لا يعلم كيف مات هذا المطرب الشهير! مات في المرحاض (التواليت) بعد أن تناول جرعة كبيرة من المخدِّرات! عاش كئيباً رغم كل ما نال من متاع الدنيا، ومات كئيباً بعد أن ضلَّ الطريق!.. لم يعرف طريق السعادة الحقة في الإيمان، ولم يذق طعم السعادة التي ينالها عباد الله المخلصين!..

---

(١) رواه الحاكم والبيهقي، انظر: صحيح الجامع الصغير: (٨٨٧).

يقول أحد العارفين: لو يعلم السلاطين ما فينا من سعادة لقاتلونا عليها بالسيوف!.

وفرق كبير بين النجاح والسعادة؛ فالنجاح هو أن تظفر بما تريد، أما السعادة فهي أن تريد ما تظفر به.

يقول أوسكار وايلد: لا تعتبر السعادة سعادة إلا إذا اشترك فيها أكثر من شخص، ولا يعتبر الألم ألماً إلا إذا تحمَّله شخص واحد! والسعادة تكون في إسعاد الآخرين..

ويقول كونت: لكي تحتفظ بالسعادة؛ عليك أن تتقاسمها مع الآخرين..

ويقول أحدهم: أعظم سعادة جرَّبتُها؛ هي أن أفعل العمل الطيب خفية، ثم أراه يظهرُ صدفة!..

والسعادة في العطاء وفعل الخيرات، لا في الأخذ والكسب!..

يقول سومرست موم: ننشأ ونحن نعتقد أن السعادة في الأخذ، ثم نكتشف أنها في العطاء!..

❊ ❊ ❊

الليلة ٩٠

أنت خير مني

إذا خاصمتَ أحداً وقاطعته فتذكَّر قول رسول الله ﷺ: «**وخيرهما الذي يبدأ بالسلام**»[١].

يروى أن جفوةً حصلت بين الحسين رضي الله عنه، وبين أخيه مِنْ أبيه محمد ابن الحنفية.. فلم يمضِ إلا يومان حتى بعث ابن الحنفية رسالة إلى الحسين يقول فيها:

أما بعد: فإن أبانا واحد؛ لا فخر لأحد على الآخر به.. وأما أمك ففاطمة الزهراء؛ وأين أمي من أمك؟! وأما أنت فسبط رسول الله؛ وأين أنا منك؟!.. فإذا أتاك كتابي هذا فقمْ إليَّ من فورك، وصالحني؛ لأن النبي ﷺ يقول: «**وخيرهما الذي يبدأ بالسلام**»[٢] وأنت خيرٌ مني.. والسلام.

انظروا إلى هذا الإيثار الرفيع؛ كان بإمكان ابن الحنفية أن يبادر بالسلام على الحسين، ويفوز بالأجر!.. ولكنه آثر أخاه الحسينَ على نفسه **لينال أجر المبادرة بالمصالحة**.. وذكَّره بأنه (أي الحسين) خير منه؛ ليستنهض همته بالمبادرة، ولأن الأخيارَ هم على الدوام أخيار.

ولكن هذا الإيثار قد يزول إذا كان الجزاء الجنة؛ فقد كان صحابة رسول الله ﷺ يتسابقون إلى جهاد العدو.. حتى إن الأب وابنه كانا يتسابقان؛ فإذا تعذَّر خروجهما معاً إلى الجهاد؛ اقترعا عليه؛ فإن خرجت القرعة للابن قال له أبوه: آثرني يا ولدي! فأنا أبوك!.. فيجيب الابن وقد امتلأت عيناه بالدموع: **ولكنها الجنة يا أبتاه.. ولو كان شيء غير الجنة لآثرتكَ به والله!..**

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري.

ولا شك أنك تتمنى الجنة لكلِّ المسلمين، ولكن حين يشتد التنافس على الجنة فإنها للأحرص عليها.

أحبب الخير لكلِّ الناس وليس لنفسك وحدها.

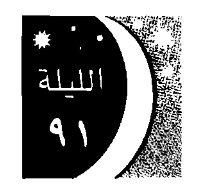
يقول أبو العلاء المعري:

ولـو أنـي حُـبِـيـتُ الـخُـلْـدَ فـرداً لـمـا أحـبـبـتُ بـالـخـلْـدِ انـفـرادا

فـلا هـطـلـتْ عـلـيَّ ولا بـأرضـي سـحـائـبُ لـيـسَ تـنـتـظـمُ الـعـبـادا

فلا تجعل الأنانية تغلبك وتسيطر عليك، واسأل الله دوماً الخير والبركات لكلِّ المسلمين، وقل: اللهمَّ ما دعوْتُكَ من دعوةٍ إلا واشملْ بها جميع المسلمين.





كفى هجراناً للقرآن

لما كبرَ خالد بن الوَليد ﵁ أخذ المصحف وبكى. . .

وقال: «أشْغَلَنا عنك الجهاد!».

فما أجمل هذا العذر؛ فبمَ نعتذر اليوم؟!.

فإذا كان خالد بن الوليد ﵁ يقول هذا الكلام؛ فماذا نقول نحن؟!. .

وإذا سئلنا يوم القيامة: ما الذي شغلنا عن القرآن؟ فبماذا نجيب؟!. .

أفلا نحمل القرآن بين جوانحنا؛ نرتله آناء الليل وأطراف النهار حتى يكون حجة لنا لا حجة علينا؟!. .

يقول عليه الصلاة والسلام: «**عليك بذكر الله تعالى، وتلاوةِ القرآن، فإنه روحك في السماء، وذكرك في الأرض**»[1].

وليست الغاية كثرة التلاوة دون فهم وتدبر لآيات القرآن، فلو تدبَّر الإنسانُ آياتٍ معدودات؛ ورجع إلى كتب التفسير أو حلقات التفسير في المساجد، فوعاها وعمل بها؛ لكان خيراً كبيراً له.

يقول الشيخ محمد الغزالي ﵀:

«إن القرآن رسول حي تسأله فيجيبك، وتستمع إليه فيقنعك».

وفي القرآن شفاء لمن خالطت قلوبهم بشاشة الإيمان. .

وفيه شفاء من القلق والحيرة والهوى ونزغات الشيطان. .

---

(١) السلسلة الصحيحة، للألباني (٥٥٥).

وحين نقرأ القرآن تظلُّنا الملائكة، وتستمع لآيات الرحمن، وتقترب ملائكة السماء من ملائكة الأرض الذين يقومون الليل بالقرآن. .

فهل نقرأ القرآن والناس نيام؟ هل نرتل آيات الرحمن فينصتُ إلينا ربُّ الأرض والسماء؟!. .

إذا مرضتَ تذكّر آيات الشفاء في القرآن؛ وهي ست:

١ - قال تعالى: ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٤١].

٢ - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [يونس: ٥٧].

٣ - ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].

٤ - ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت: ٤٤].

٥ - ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [النحل: ٦٩] (عن العسل).

٦ - ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠].

وأخيراً لا تكن من الذين شكاهم النبي ﷺ إلى ربه ﷻ: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠].

فلا تهجر تلاوته وسماعه، ولا تدبُّره والعمل به، ولا تحكيمه في كل الأمور.

❁ ❁ ❁

الليلة ٩٢

مِنْ لوحات «اليرموك»

في معركة اليرموك بين المسلمين والروم رسمتْ لوحات خالدات على مرِّ العصور:

● فهذا رجل يقترب من أبي عبيدة بن الجراح ﵁ والقتال دائر، ويقول: إني قد عزمتُ على الشهادة.. فهل لك من حاجة إلى رسول الله ﷺ أبلِّغها له حين ألقاه؟..

فيجيب أبو عبيدة: نعم.. قل له: يا رسول الله! قد وَجَدْنا ما وَعَدنا ربنا حقّاً!.

● وهذا عكرمة بن أبي جهل ينادي في المسلمين حين ثَقُلَتْ وطأة الروم عليهم قائلاً: لطالما قاتلتُ رسول الله قبل أن يهديني الله إلى الإسلام؛ أَفأَفِرُّ من أعداء الله اليوم؟!..

ثم يصيح: من يُبايعُ على الموت؟.. فبايعه على الموت كوكبة من المسلمين، ثم ينطلقون معاً إلى قلب المعركة؛ لا باحثين عن النصر، بل عن الشهادة.. فيتقبّل الله بيعتهم، فيستشهدون!.

● ثم انظر إلى خالد بن الوليد ﵁ على رأس مئة من جنده فقط؛ ينقضُّون على ميْسَرة جيش الروم وعددهم أربعون ألف جندي.. مئة يخوضون في أربعين ألفاً ثم ينتصرون!.. أليس ملء قلوبهم إيماناً بالله العلي الكبير.

● ويلتقي أحد قواد الروم واسمه «جرجه» بخالد بن الوليد في فترة من فترات الراحة بين القتال، فيسأل خالداً: يا خالد! إلامَ تدعون؟.

قال خالد: إلى توحيد الله.. وإلىٰ الإسلام.

قال: هل لمن يدخل في الإسلام اليوم مثل ما لكم من المثوبة أو الأجر؟..

قال خالد: نعم.. وأفضل..

قال القائد الروماني جرجه: كيف وقد سبقتموه؟!.

قال خالد: لقد عشنا مع رسول الله ﷺ ورأينا آياته ومعجزاته، وحقٌّ لمن رأى ما رأينا، وسمع ما سمعنا أن يُسلم في يُسْر.

أما أنتم يا مَنْ لم تروْه، ولم تسمعوه، ثم آمنتم بالغيب؛ فإنَّ أجْرَكم أجزل وأكبر إذا صدقت اللهَ سرائرُكم ونواياكم.

وعندها صاح القائد الروماني وقد دفع جواده إلى ناحية خالد: علِّمني الإسلام يا خالد!.

أسْلمَ، وصلَّى لله ركعتين لم يصلِّ سواهما؛ فقد استأنف الجيشان القتال..

وقام «جرجه الروماني» في صفوف المسلمين مستميتاً في طلب الشهادة حتى نالها![1].

أجل.. دخل الجنة ـ بإذن الله ـ بركعتين لا ثالث لهما..

* * *

(١) رجال حول الرسول، (بتصرف).

الليلة ٩٣

عبد الرحمن الغافقي

ما أن تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة حتى أسند إلى السَّمْح بن مالك الخولاني ولاية الأندلس ليكون أميراً عليها.

وصل الأمير الجديد إلى الأندلس، وبدأ **يفتش عن أعوان الصدق والخير**؛ فقال: هل فيكم أحد من التابعين؟ قالوا: فينا التابعي الجليل عبد الرحمن الغافقي.. فجعله أميراً على منطقة كبيرة في الأندلس..

ولم يمضِ إلا قليل حتى عزم «السمح بن مالك» على غزو فرنسا وضمِّها إلى دولة الإسلام، وكان الطريق إليها أن تسقط مدينة «أربونة» المنيعة والمحصّنة.. وبعد أربعة أسابيع من الحصار والقتال، سقطت هذه المدينة العظيمة، فهبَّ «دوق أوكتانية» يستنفر ـ لحرب المسلمين ـ البلاد والعباد؛ أنذر ملوك أوروبة وأمراءها باحتلال ديارهم من قِبَل المسلمين.. فأرسلت شعوب أوروبة كلها أشدَّ مقاتليها، فتشكل له جيش عظيم. حاصر المسلمون مدينة **«تولوز» عاصمة مقاطعة أوكتانية**، ودارت حرب ضروس (شرسة) بين المسلمين والفرنج.. وسقط خلالها السمح بن مالك شهيداً برمية من سهم خبيث.

فلما رآه المسلمون صريعاً فوق الثرى، تداعت صفوفهم، وكان في وسع جيش أوروبة أن يبيدهم عن بكرة أبيهم؛ لولا أن تداركتهم العناية الربانية بقيادة عبد الرحمن الغافقي، فتولى أمر انسحابهم بأقل قدر من الخسائر، وعاد بهم إلى إسبانيا.

وصدرت أوامر الخلافة في دمشق بأن يكون عبد الرحمن الغافقي أميراً للأندلس.. كان الغافقي تقيّاً نقيّاً، حكيماً مقداماً، فأعاد لجنود المسلمين الثقة بأنفسهم لتحقيق الهدف الأكبر وهو الانطلاق من فرنسا إلى

إيطاليا وألمانيا والوصول منهما إلى القسطنطينية (إستنبول) تحقيقاً لبشارة الرسول ﷺ حين قال: «**لتفتحنَّ عليكم القسطنطينية؛ ولنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش**»[١].

وكان يوقن بأن الإعداد للمعارك الكبرى إنما يبدأ بإصلاح النفوس؛ فهبَّ يطوف بلاد الأندلس، ويأمر المنادين أن يُنادوا في الناس: مَنْ كانت له مظلمة عند والٍ من الولاة أو قاضٍ من القضاة أو أحد من الناس؛ فليرفعها إلى الأمير، ولا فرق بين المسلمين وغيرهم.

فاقتصَّ للضعيف من القوي، وللمظلوم من الظالم، وأعاد الحقوق إلى أصحابها.. عزل من عُمَّاله من ثبتت خيانته، وولَّى مكانه من استوثق من صلاحه.

دعا الغافقي مرة أحد كبار المعاهدين من فرنسا وسأله: ما بال ملككم الأكبر «شارل» لا يتصدى لحربنا؟!..

فقال: لقد سُئل الملك شارل هذا السؤال فأجاب: لقد رأيت ألا نتعرض لجيوش المسلمين؛ فإنهم الآن كالسيل الجارف يقتلع كل ما يعترض طريقه.. فلهم إيمان وصدق يقومان مقام الدروع والخيول.. ولكن أمهلوهم حتى تمتلئ أيديهم من الغنائم، ويتخذوا لأنفسهم الدور والقصور، ويستكثروا من الإماء والخدم، ويتنافسوا فيما بينهم على الرئاسة؛ **فعندئذ تتمكَّنون منهم بأيسر السبل وأقلّ الجهد**[٢].

أليس هذا حالنا هذه الأيام؟!..

❁ ❁ ❁

---

(١) رواه الحاكم، وابن عبد البر في الاستيعاب.

(٢) صفحات من حياة التابعين، (بتصرف).

الليلة ٩٤

معركة بلاط الشهداء

قال الشاعر الإنجليزي (سوذي) يصف جيوش المسلمين التي غزت أوروبة بعد فتح الأندلس: «جموع لا تُحصى من عرب وبربر ورُوم وفرس وقبط وتتر، قد انضووا جميعاً تحت لواء واحد، يجمعهم إيمان ثائر، وأخوَّةٌ مذهلة لا تفرِّق بين البشر.. ولم يكن قادتهم أقل منهم ثقة بالنصر؛ آمنوا بأن جيوشهم ستندفع دائماً إلى الأمام حتى يصبح الغرب كالشرق؛ يُطأطئ الرأسَ إجلالاً لاسم (محمد).. وحتى ينهض الحاجّ من أقاصي القطب الشمالي إلى أن يطأ بأقدام الإيمان الرمالَ المُحرِقة، ويقف فوق صخور (مكة) الصلدة».

كان الجيش الذي قاده عبد الرحمن الغافقي فيه الأبيض والأسود، والعربي والأعجمي.. وكانت عدة جيشه مئة ألف مجاهد..

ووجد دوق أوكتانية (أمير مقاطعة أوكتانية) قد عبأ قواته لصدِّ الزحف الإسلامي على مدينة (آرل: مدينة جنوب فرنسا).

انتصر المسلمون في هذه المعركة وغنموا الغنائم الكبيرة، ثم اتجه المسلمون إلى مدينة (بوردو) كبرى المدن الفرنسية وعاصمة مقاطعة (أوكتانية)، وسقطت المدينة وغنم المسلمون غنائم أكبر...

وفي العَشْرِ الأخير من شهر شعبان (١٠٤هـ) زحف الغافقي بجيشه الجرار على مدينة (بواتييه).. وهناك التقى مع جيوش أوروبة الجرارة بقيادة (شارل مارتل)، ووقعت بين الفريقين إحدى المعارك الفاصلة في تاريخ البشرية كلها، وقد عُرفت هذه المعركة بمعركة (بلاط الشهداء).

كان الجيش الإسلامي في ذروة انتصاراته، ولكن كاهله كان مُثقلاً بالغنائم التي تكدست في أيدي جنوده.

نظر عبد الرحمن الغافقي إلى هذه الثروة الطائلة نظرة قلق وإشفاق؛ فقد كان لا يأمنُ أن تشغلَ هذه النفائس قلوبهم عند اللقاء.. جمع هذه الغنائم في مخيمات خاصة جعلها وراء المعسكر قبل نشوب القتال..

استمرت المعركة سبعة أيام طويلة ثقيلة، فلما كان اليوم الثامن كرَّ المسلمون على عدوِّهم كرة واحدة، ففتحوا في صفوفه ثغرة كبيرة لاح من خلالها النصر للمسلمين..

عند ذلك أغارت فرقة من كتائب الفرنجة على معسكرات الغنائم، فلما رأى المسلمون أن غنائمهم قد أوشكت أن تقع في أيدي أعدائهم، تراجع كثير منهم لاستخلاصها منهم.. فتصدعت صفوفهم.. وذهبت ريحهم..

فهبَّ القائد العظيم يعمل على رد المنكفئين ومدافعة المهاجمين.. وفيما كان الغافقي يستبسل في الدفاع كرّاً وفرّاً، أصابه سهم نافذ، وخرَّ صريعاً شهيداً على أرض المعركة.. فلما رأى المسلمون ذلك عمَّهم الذعر وسادهم الاضطراب، واشتدت عليهم وطأة العدو..

فلما أصبح الصبح وجد (شارل مارتل) أن المسلمين قد انسحبوا من (بواتييه) فلم يجرؤ على مطاردتهم، ولو طاردهم لأفناهم..

لقد كان يوم بلاط الشهداء يوماً حاسماً في التاريخ؛ أضاع فيه المسلمون أملاً من أعزِّ الآمال، وفقدوا خلاله بطلاً من أعظم الأبطال، وتكررت فيه مأساة يوم (أُحد)[١]! سنّة الله في خلقه، ولن تجد لسنّة الله تبديلاً![٢].

❊ ❊ ❊

(١) إن الحرص على الغنائم أيضاً في أُحد كان سبباً في هزيمة المسلمين.

(٢) صفحات من حياة التابعين، (بتصرف).

معاملة الأبناء فنٌّ (١)

معاملة الأبناء فنٌّ يستعصي على كثير من الآباء والأمهات في فترة من فترات الحياة، وكثيراً ما يتساءل الآباء عن أجدى السبل للتعامل مع أبنائهم.

والحقيقة أن إحساس الولد بنفسه يأتي من خلال معاملتك له، فإن أنت أشعرْتَه أنه «ولد طيّب»، وأحسستَهُ بمحبتك، فإنه سيكوّن عن نفسه فكرةَ أنه إنسان طيب مُكرَّم، وأنه ذو شأن في هذه الحياة.. أما إذا كنت قليل الصبر معه، تشعره أنه «ولد غير طيّب»، وتنهال عليه دوماً باللوم والتوبيخ، فإنه سينشأ على ذلك، ويكوّن فكرة سلبيةً عن نفسه، وينتهي الأمر إما بالكآبة والإحباط، أو بالتمرد والعصيان.

١ ـ علّمه أين العيب:

إذا رأيته يفعل أشياء لا تحبُّها، أو أفعالاً غير مقبولة، فأفهمه أن العيب ليس فيه كشخص، بل إن الخطأ هو في سلوكه وليس فيه كإنسان.

قل له: «لقد فعلت شيئاً غير حسن» بدلاً من أن تقول له: «إنك ولد غير حسن».. وقل له: «لقد كان تصرفك مع أخيك قاسياً» بدلاً من أن تقول له: «إنك ولد شقي».

٢ ـ تجنّب المواجهات الحادَّة:

فمن الأهمية أن يعرف الوالدان كيف يتجاوبان برفق وحزم في آن واحد مع مشاعر الولد، فلا مواجهة حادَّة بالكلام أو الضرب، ولا مشاجرة بين الأم وابنها، إنما بإشعاره بحزم أن ما قاله شيء سيِّئ لا يمكن قبوله، وأنه لن يرضى هو نفسه عن هذا الكلام.

ولا يعني ذلك أن يتساهل الوالدان بترك الولد يفعل ما يشاء، بل لا بد من وجود ضوابط واضحة تحدِّد ما هو مقبول، وما هو غير مقبول؛ فمن حق الطفل أن يعبِّر عن غضبه بالبكاء أو الكلام، ولكن لا يسمح له أبداً بتكسير الأدوات في البيت، أو ضرب إخوته ورفاقه.

٣ ـ أحببْ أطفالك ولكن بحكمة:

ولا يمكن للتربية أن تتم بدون حبٍّ؛ فالأطفال الذين يجدون من مربيهم عاطفة واهتماماً ينجذبون نحوه، ويصغون إليه بسمعهم وقلبهم؛ ولهذا ينبغي على الأبوين أن يحرصا على حبِّ الأطفال، ولا يقوما بأعمال تبغِّضهم بهما، كالإهانة والعقاب المتكرِّر والإهمال، وحجز حرياتهم، وعدم تلبية مطالبهم المشروعة.

وعليهما إذا اضطرا يوماً إلى معاقبة الطفل أن يسعيا لاستمالته بالحكمة، لئلا يزول الحبُّ الذي لا تتم تربية بدونه.. وليس معنى الحب أن يستولي الأطفال على الحكم في البيت أو المدرسة، يقومون بما تهوى أنفسهم دون رادع أو نظام! فليس هذا حبّاً، بل هو الضعف والخراب، وإن حبَّ الرسول ﷺ لأصحابه لم يمنعه من تكليفهم بالواجبات، وسوقهم إلى ميادين الجهاد، وحتى إنزال العقوبة بمن أثم وخرج على حدود الدين؛ ولكن ذلك لم يسبب فتوراً في محبة الصحابة لنبيِّهم، بل كانت تزيد من محبتهم وطاعتهم لنبيِّهم.

* * *

الليلة ٩٦

معاملة الأبناء فنٌّ (٢)

٤ ـ احترمي زوجك:

ويحتاج الأب لكي يظفر بصداقة أبنائه إلى عطف زوجته واحترامها له؛ فالزوجة الصالحة هي التي تشعر أبناءها في كلِّ وقت بعظمة أبيهم، وتقودهم إلى احترامه وحبه، وتؤكد في أنفسهم الشعور بما يملك من جميل المناقب والخصال؛ وهي تقول للطفل: تمسَّكْ بهذا الخُلق، فإنه يرضي أباك، وتجنَّبْ ذلك الخُلق فإنه يغضب أباك ويغضب ربك.

٥ ـ هدية.. ولو درهم:

وإذا أردت أن تصادق طفلك، فلا بد أن تعرف أن فمه أكثر يقظة من عقله، وأن صندوق الحلوى أفضل إليه من الكتاب الجديد، وأن الثوب المرقش أحبُّ إليه من القول المزخرف.. وإن الأب الذكي هو الذي يدخل البيت وفي يده هدية أو تحفة أو طرفة، وليذكر دوماً أن في الدنيا أشياء هي عندنا أوهام، وهي عند الأطفال حقائق، ولن نظفر بصداقتهم إلا إذا رأينا الدنيا بعيونهم.

٦ ـ استمع إلى ابنك:

إذا أتاك ابنك ليحدِّثك عمَّا جرى معه في المدرسة، فلا تضرب بما يقول عرض الحائط؛ فحديثه إليك في تلك اللحظة ـ بالنسبة له ـ أهم من كل ما يشغل بالك من أفكار؛ فهو يريد أن يقول لك ما يشعر به من أحاسيس، بل وربما يريد أن يعبِّر لك عن سعادته وفرحه بشهادة التقدير التي نالها في ذلك اليوم.

أعطِهِ اهتمامك إن هو أخبرك أنه نال درجة كاملة في ذلك اليوم في امتحان مادة ما؛ شجعه على المزيد، بدلاً من أن يشعر أنك غير مبالٍ بذلك.

وإذا جاءك ابنك الصغير يوماً يخبرك بما حدث في المدرسة قائلاً: «لقد ضربني فلان في المدرسة»، وأجبته أنت: «هل أنت واثق بأنك لم تكن البادئ بضربه؟» فتكون حقّاً قد أغلقت باب الحوار مع ابنك.. حيث تتحول أنت في نظر ابنك من صديق يلجأ إليه إلى محقق أو قاضٍ يملك الثواب والعقاب.

بل ربما اعتبرك ابنك أنك محقق ظالم يبحث عن اتهام الضحية ويصرُّ على اكتشاف البراءة للمعتدي.

٧ ـ داعبْ أطفالك:

كان رسول الله ﷺ يداعب الأطفال ويرأف بهم، ومن ذلك مواقفه المعروفة مع أحفاده وأبناء الصحابة رضوان الله عليهم:

روى أبو هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قبّل الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالس، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الأولاد ما قبّلت منهم أحداً! فنظر الرسول الكريم ﷺ إليه ثم قال: «**من لا يَرحم لا يُرحم**»[1].

وكان معاوية رضي الله عنه يقول: «من كان له صبي فليتصابَ له».

وكان رسول الله ﷺ يداعب الأطفال فيمسح رؤوسهم، فيشعرون بالعطف والحنان؛ فعن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما، قال: مسح رسول الله ﷺ بيده على رأسي وقال: «**اللهمَّ اخلف جعفراً في ولده**»[2].

كما كان يمسح خدَّ الطفل كما ورد في صحيح مسلم: عن جابر بن سمرة، قال: صليت مع رسول الله ﷺ، ثم خرج إلى أهله وخرجت معه، فاستقبله ولدان ـ أي: صبيان ـ فجعل يمسح خدي أحدهم واحداً واحداً.

❁ ❁ ❁

(١) متفق عليه.

(٢) رواه الحاكم.

الليلة ٩٧

معاملة الأبناء فنٌّ (٣)

٨ ـ اترك لطفلك بعض الحرية:

وأسوأ شيء في دورنا ومدارسنا ـ كما قال أحد المربين ـ المراقبة المتصلة التي تضايق الطفل وتثقل عليه، فاترك له شيئاً من الحرية، واجتهد في إقناعه بأن هذه الحرية ستسلب إذا أساء استعمالها.

إن الطفل يشعر بدافع قوي للمحاربة من أجل حريته، فهو يحارب من أجل أن يتركه الأب يستخدم أغراضه بالطريقة التي يهواها، ويحارب من أجل ألا يستسلم لارتداء الجوارب بالأسلوب الصحيح.

وباختصار: لا تجعل أكتافَ الطفل ملعَباً تلهو به بِكُرَةِ القلق الزائد.

٩ ـ أوامر حازمة.. لكن بحكمة:

ينبغي أن تكون الأوامر حازمة، وأن تتضمَّن اللهجة أيضاً استعداد الأب والأم لمساعدة الطفل، فإذا كان الطفل قد فرش أرض الغرفة بلُعبه الكثيرة فيمكن للأم أن تقول له: هيا نجمع اللعب معاً.. وهنا تبدأ الأم في جمع لعب الطفل، وسيبدأ الطفل فوراً في مساعدة الأم.

وكثيراً ما نجد الطفل يتلكَّأ، بل قد يبكي ويصرخ عندما تطلب منه الأم بلهجة التهديد أن يذهب ليغسل يديه أو أن يدخل الحمام؛ فكلما زاد على الطفل الإلحاح شعر بالرغبة في العناد، وعدم الرغبة في القيام بما نطلب منه من أعمال.

وبعض الآباء يتفاخرون بأن أبناءهم لا يعصون لهم أمراً، ولا يفعلون شيئاً لم يؤمروا به!.. والبعض الآخر يتعاملون مع أطفالهم وكأنهم ممتلكات خاصة لا كيان لهم.. وآخرون يكلِّفون أبناءهم فوق طاقتهم،

ويحمِّلونهم من المسؤوليات ما لا يطيقون.. في كل هذه الحالات بُعدٌ عن الأسلوب الحكيم في التربية.

١٠ ـ قللوا من التوبيخ:

انتبهوا أيها الآباء والأمهات إلى ضرورة التقليل من التوبيخ الأوتوماتيكي وغير الضروري؛ فالطفل ليس آلة نديرها حسبما نشاء!.. إن له إبداعه الخاص في إدارة أموره الخاصة، فلماذا نحرمه من لذة الإبداع؟!..

وكثيراً ما يُواجَه الطفل بالعديد من الأسئلة والأوامر: «لماذا تضحك هكذا؟ لماذا تمشي هكذا؟.. انطق الكلمات نطقاً سليماً.. لا تلعب بشعرك.. اذهب ونظِّف أسنانك».

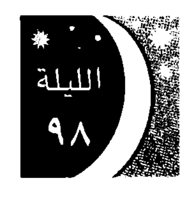
وكل ذلك قد ينعكس في نفس الطفل فيولِّد حالة من عدم الاطمئنان، أو فقدان الثقة بالنفس.. وكثيراً ما ينال الطفل الأول الحظ الأوفر من الرقابة الصارمة من قبل الأبوين، ثم ما يلبث الأبوان أن يشعرا بأنهما قد تعلّما الكثير من طفلهم الأول، فيشعران أنهما بحاجة لإعطاء وليدهما الثاني بعض الحرية، فيتصرفان مع الطفل الثاني بمزيد من الثقة خلافاً للطفل الأول.

وعلى الأم أن تنمِّي عادة الحوار الهادئ مع طفلها، فتطرح عليه بعض الأسئلة لترى كيف يجيب عليها، وتعوِّده على عدم رفع الصوت أثناء الحديث، وعدم مقاطعة المتحدِّثين، وهكذا..

تسأله مثلاً: «ماذا تفعل لو رأيت أخاك يضربه رفاقه؟ وماذا تفعل لو رأيت طفلاً مجروحاً في الطريق؟».

فالأطفال الذين لا يكلّمهم آباؤهم إلا نادراً ينشؤون أقل ثقة بالنفس من الذين يعوِّدهم آباؤهم على الكلام والحوار الهادئ.

❀ ❀ ❀



أيهما أكرم؟

الناس ـ في الحقيقة ـ مختلفون في طباعهم؛ فمنهم من طُبع على العطاء، ومنهم من طُبع على الأخذ، ومنهم من يعطي تحت ضغط الخوف، أو طلباً للجزاء، ومنهم من يجدُ في العطاء لذة لا تعدلها لذة.

وهذا ما عناه الشاعر بقوله:

ليس يُعطيكَ للجزاء ولا للخوفِ ولكن يلَذُّ طعْمَ العطاءِ

خرج عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما يوماً إلى ضيعة له، فمرَّ على بستان فيه غلام أسود يعمل فيه.

أخذ الغلامُ ثلاثةَ أرغفة ليأكلها وقت الغداء، فدخل البستان كلبٌ ودنا منه يهز ذيله استعطافاً، فرمى إليه برغيف فأكله، ثم رمى الرغيف الثاني فأكله، ثم رمى الثالث فأكله وذهب.. وعبد الله ينظر إلى الغلام مستغرباً!.. سأله: ما هو طعامك طيلة اليوم؟.

فقال: ثلاثة أرغفة..

قال عبد الله: أراكَ أطْعمتَها للكلب.

قال الغلام: أجل.. إن أرضنا ليست بأرض كلاب، وإني رأيتُ هذا الكلب أتى جائعاً من أرضٍ بعيدة، فكرهتُ أن أردَّهُ خائباً!..

قال عبد الله: فماذا ستأكل اليوم؟.

قال: سأصوم إلى أن أفطر غداً على رزقٍ جديد.

فقال عبد الله لنفسه: والله إن هذا الغلام أسخى مني، هذا أكرم الناس! وذهب فاشترى البستان والعبد، وأعتقه ووهب له البستان، وما زال

يعتقد أن ذلك العبد هو أسخى منه! فقد تبرَّع الغلام بكل ما يملك، وتبرع هو بجزء يسير من ماله!.

فإذا كان هذا الغلام قد أبى أن يردّ كلباً جائعاً، فأعطاه قوتَ يومه كلَّه؛ فماذا يقول بعض الموسرين منّا لمن يطلب منهم عوناً لإخوانهم المسلمين الذين يتضوَّرون جوعاً في إفريقية أو بنغلاديش وغيرها من البلدان؟!..

فتشبَّهوا إنْ لم تكونوا مثلَهم   إن التشبُّهَ بالكرامِ فلاحُ

وقد يكون الكرم صيانة لعفة الإنسان، فتنفق المال لتعفَّ شابّاً أو فتاة، تساعدهما على الزواج، أو تدفع عنهما شرَّ الحرام.

جاءت امرأة إلى حسان بن سنان تسأله صدقة، فنظر إليها فإذا هي جميلة جدّاً، فقال: يا غلام! أعطها أربعة آلاف درهم!.

فقيل له: أعطيتَها هذا المبلغ الضخم، وكان يكفيها منك درهم أو درهمان!.

فقال: لما نظرتُ إلى جمالها عرفتُ أن الطامعين فيها كُثُر، فخشيتُ أن يجرَّها جمالها إلى الوقوع في معصية الله، فأحببتُ أن أُغنيها عسى أن يرغب أحدٌ في مالها وجمالها، فيتزوجها وتُصان في ذلك.

فهل فكَّر الموسرون في تحصين الشباب والفتيات، وتزويجهم كي لا يقعوا في مستنقع الفواحش والفجور؟!..

لا شك أن هناك مشاريع لتزويج الشباب، فلنبارك هذه المشاريع، ولندعمها حتى تُصان الأنفس، ويُؤجَر المتبرِّعون.. فهنيئاً لمن فعل تلك الخيرات!..

❀ ❀ ❀

الليلة
٩٩

قال: على أيِّ شيء أحمد الله؟!..

إيـاك أن تـعـتـرض عـلـى مَـنْ خـلـق الأرض والـسـمـوات، لا تـبـارزْه بالمعاصي فما لَكَ طاقة على غضبه، ولا صبر لك على عقابه، ولا قدرة لك على عذابه.

يروي الدكتور عبد المحسن الأحمد قصة قريب له؛ قال له أخوه: «احمد ربك يا أخي».

فقال الشاب: **وعلى أيّ شيء أحمد الله؟!..**

سَمِعَهُ مَنْ؟!.. سَمِعَهُ ﴿مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [المؤمنون: ٨٨]..

سَمِعَه مَنْ حرّكه؛ وغيره ما يتحرك..

سَمِعَه من شقَّ بصره؛ وغيره ما يبصر..

سـمـعـه ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الـرعـد: ١٦]، وهـو يـجـحـد نـعـمـة الله.. يقول: وعلى أيّ شيء أحمد الله؟!..

اتصل بي أخوه، وقال: تعال كلّمْه، فقد عجزت عن الكلام!.

فـلـمـا أتـيـتُ إذا بأمِّه تـبـكـي، فـقـد عـلـمـتْ أنه أساء الأدب مع جبَّار السمٰوات والأرض، فالتجأتْ إلى الله أن يلطف بحاله.

لـم أجده، فـقـد خـرج فـي نـفـس الـلـحـظـة، يـسـوق بـسـرعـة (١٨٠كم/ ساعة).. وما هي إلا دقائق فإذا بالسيارة ـ بعد أن قال الجبار: ﴿كُن﴾ ـ تنقلب..

والله لقد خرَّق الزجاج أجزاء جسمه.. وكنتُ أنا من أخرج من رأسه الـزجاج فـي غـرفـة الإسـعـاف.. وأخـرجـت مـن عـيـنـه ـ والله ـ حـجـراً بـهـذا الحجم.. وأنا أقول له: تذكّر كلامك يا فهد اليوم..

وهو يبكي ويصرخ؛ جسمه كله مخرَّق، فقد قذفت به السيارة واشتعلت بجانبه. .

رأى الموت بعينيه وما كان بينه وبين الموت إلا خطوة. .

﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

● **رسالة إلى عاصٍ:**

يا من تعصي الله تصوَّر نفسك لو كنت من أهل النار؛ هل سترضى بشيء من هذا العذاب؟. . لا والله. .

إذن فتب إلى الله وارجع عما يكرهه، تقرَّبْ إليه بالأعمال الصالحة عسى أن يرضى عنك، وابكِ من خشيته عسى أن يرحمك.

لا تستهن بمعصيته، ولا تنظر إلى صغر المعصية، ولكن انظر إلى عظمة من تعصيه؛ وهو الله ﷻ، وتقدّست أسماؤه. .

املأ قلبك من خشيته قبل أن يأخذك بغتة. .

تدارك نفسك قبل لقائه، فكأنك بالموت قد نزل بك؛ وحينها لا ينفعك ندم ولا استدراك ما مضى.

* * *

الليلة ١٠٠

نصف تفاحة.. وإمام

كان **ثابت** بن إبراهيم يسير ذات يوم في الكوفة؛ إذ سقطت تفاحة من بستان فأخذها، فأكل نصفها، ثم تذكَّر أنها ليست مُلْكه، فدخل على البستاني وقال له: لقد أكلتُ نصف تفاحة؛ فسامحني فيما أكلتُ، وخذ النصف الباقي..

فقال البستاني: ليس لي ذلك؛ فالبستان مِلْكُ سيدي وهو يسكن على بعد مسيرة يوم وليلة..

فقال له: لأذهبنَّ إليه مهما كان الطريق بعيداً..

وصل ثابت إلى بيت صاحب البستان، فقال له: يا سيدي سامحني فيما أكلتُ من التفاحة.. وهذا هو نصفها الآخر!..

فنظر إليه صاحب البستان وقال: يا هذا! لا أسامحك إلا بشرط واحد.

فقال ثابت: وما هو؟.

فقال له: أن تتزوج ابنتي! ولكن أريد أن أخبرك عن صفاتها قبل أن تعقد عليها.. فهي عمياء لا ترى، بكماء لا تتكلم، وصمَّاء لا تسمع، ومُقعدة لا تتحرك!..

احتار ثابت في الأمر؛ أهذه زوجة تصلح لأن أتزوجها، ومن أجلها لا يسامحني فيما أكلت من التفاحة؟!..

وافق ثابت وقال: قبلت خطبتها، وسأقوم على خدمتها، وبذلك أكسب ثوابها عند الله تعالى.

دعا أبوها بشاهدين، ودخل ثابت على زوجته فألقى عليها السلام.. فردَّت عليه السلام ونهضتْ واقفة، ووضعت يدها في يده، فقال ثابت: عجيب أمرها قد ردَّتْ السلام فهي ليست صماء!.. وقامتْ واقفة فهي إذن ليست مُقعدة!.. ومدَّتْ يدها إلى يدي فهي إذن ليست عمياء!..

فقال لها: لماذا أخبرني أبوك أنك عمياء بكماء صماء مقعدة؟.

فقالت: قد صدق أبي؛ فأنا **عمياء** لأن عيني لم تنظر إلى ما حرَّم الله، وأنا **صمَّاء** الأذنين عن كل ما لا يرضي الله.. **وبكماء** اللسان؛ لأن لساني لا يتحرك إلا بذكر الله.. **ومقعدةٌ** لأن قدمي لم تحملني إلى مكان يُغضب الله تعالى..

فقال ثابت: فنظرتُ إلى وجهها فكأنما هو قطعة من القمر ليلة التمام..

دخل بها، وأنجب منها مولوداً ملأ طباق الأرض علماً وفقهاً.. إنه **الإمام** الجليل أبو حنيفة **النعمان بن ثابت**..

ألم تكن نصف التفاحة هذه سبباً طيّباً في ولادة إمام؟!..

❋ ❋ ❋

الليلة ١٠١

أبو حنيفة النعمان (٨٠ - ١٥٠هـ)

يقول مالك بن أنس لأصحابه: أتدرون مَنْ هذا النعمان؟.. لو قال: «هذه الأسطوانة من ذهب» لخرجتْ كما قال!..

لم يكن أبو حنيفة يُحسن الهزل أو يهوى المزاح، كان ثابتاً؛ حتى إنه بينما كان يُلقي درسه في المسجد ذات يوم إذا بثعبان غليظ يسقط في حجره، فهرب الناس، وما زاد هو على أنه نفض الحيَّة عن ثيابه وجلس مكانه!..

ولد أبو حنيفة في الكوفة، ولم يجد في أول شبابه من يُرشده إلى طلب العلم؛ فاشتغل بالبيع والشراء، إلى أن لقيه الإمام الشعبي فوجَّهه إلى طلب العلم ومجالسة العلماء، فوقع ذلك في قلبه، فترك السوق واتجه إلى حِلَق العلم..

وهذا ما يؤكد أهمية التوجيه والإرشاد للشباب والفتيات في ذلك السنِّ المبكِّر؛ فقد لا يعلم أحدهم بدقة الطريق الأمثل له في الحياة، وتراه يتقلب في توجهاته؛ فتارة يهوى الطب أو الهندسة مثلاً، وتارة يريد أن يكون في مجال الكومبيوتر أو سواه.. فلا بد للأب أو المعلِّم أو المربي أن يكتشف تلك القدرات عند ذلك الشاب، فيوجهه بلطف وإقناع إلى ذلك الطريق..

بدأ أبو حنيفة طريقه العلمي في علم الكلام والمنطق، فظلَّ زمناً يجادل ويناضل، ولم يلبث أن صحَّحَ اتجاهه، فترك علم الكلام وهجر الجدل وجلس في حلقه (حمَّاد).. فكان يحفظ كل ما يقوله حمَّاد، ولازمه عشر سنين..

ولكن نفس أبي حنيفة تاقت لأن ينفرد عنه ويتخذ لنفسه حلقة في

المسجد، وفجأة غاب حمَّاد ولمدة شهرين في سفر، فاستخلف أبا حنيفة في حلقته.. وقد سُئل أبو حنيفة في غيبة حمّاد عن ستين مسألة لم يكن سمعها منه، فأجاب فيها، ثم عرضها على حمّاد فوافقه في أربعين وخالفه في عشرين..

وهنا صمَّمَ أبو حنيفة على ألا يغادر حلقة حمَّاد حتى يموت.. أليس في هذا درس لطلبة العلم؛ فقد يظن أحدهم أنه أصبح (عالماً) وهو ما زال في أول الطريق، فيفتي ويصول ويجول!..

وظل أبو حنيفة ملازماً حمَّاداً حتى مات، وظل يجلُّه ويستغفر له في الصلاة؛ يقول أبو حنيفة: ما صليتُ صلاة منذ مات حمّاد إلا استغفرت له مع والديَّ، وما مددت رجلي نحو داره رغم أن بيني وبينه سبع سكك (أي: سبع طرق)، وإني لأستغفر لمن تعلمتُ منه أو علَّمني..

انظروا إلى هذا الأدب الرفيع مع مَنْ تعلَّم منه؛ يستغفر لمعلِّمه دبر كل صلاة، ويتأدب معه بعد مماته، فلا يمدُّ رجله تجاه داره!..

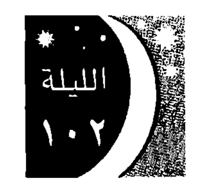
أين هذا من حال بعض طلابنا الذين يشتمون المعلِّمين، أو يستهزئون بهم، أو يرى الطالب معلِّمه في الشارع فيشيح بوجهه عنه؟!..

أين نحن من احترام من علَّمنا أو تعلَّمنا منه؟! أين نحن من الوفاء لهؤلاء الذين أعطونا من علمهم، وبذلوا جهدهم في التعليم والتوجيه والإرشاد؟!.. ألم يقل الشاعر:

قُمْ للمعلِّم وفِّهِ التبجيلا   كادَ المعلِّمُ أن يكونَ رسولا

ورحم الله من قال: من علَّمني حرفاً صرتُ له عبداً (بمعنى التقدير)!..

❁ ❁ ❁



مالك بن أنس (٩٣ ـ ١٧٩هـ)

«مالك» صاحب المذهب المالكي.. عاش في المدينة، ولم يبرحها طوال حياته.. بلغ به الورع أنه كان لا يركب ناقة في المدينة، ويقول: أخشى أن تضع حافرها موضع قدم رسول الله ﷺ.. بل بلغ به الورع أنه كان يسير حافياً.

روى مالكٌ مئة ألف حديث جمع منها في «الموطأ» (كتاب الأحاديث المشهور) حوالي ألفي حديث.. قال عنه ـ «الموطأ» ـ مالك: **أَلَّفتهُ في أربعين سنة، وأخذتموه في أربعين يوماً.**

أصبح له درسٌ خاص في مسجد رسول الله ﷺ وهو في **سنِّ السابعة عشرة..**

ألا يتمنى شبابنا أن يكونوا كمالك رضي الله عنه؛ يصبح أحدهم أستاذاً في مسجد رسول الله ﷺ وهو ما يزال في ريعان الشباب؟! وبلغ من تكريمه لحديث رسول الله ﷺ **أنه ما جلس يتحدث قبل أن يغتسل** ويتطيب ويلبس أحسن لباسه.. وكان لا يرفع صوته عند حديث النبي ﷺ؛ فهل نتأدب نحن مع رسول الله ﷺ حينما نذكر سيرته، أو أحاديثه، أو ندخل مسجده؟!..

كان مالك شجاعاً، يقول ما يعرف، ولا يبالي أن يعلن أنه لا يعلم.. ولطالما جاءه من يسأله، فكان يجيب: لا أدري.

يقول مالك في صفة من يُؤخذ عنه العلم:

لا يؤخذ العلم من أربعة ويؤخذ ممن سواهم:

لا يؤخذ من سفيه..

ولا يؤخذ من صاحب هوى يدعو إلى بدعته..

ولا من كذاب يكذب في أحاديث الناس. .

ولا من شيخ له فضل وصلاح وعبادة إذا كان لا يعرف ما يحمل وما يحدِّد نسبه.

وقف مالك من الخلفاء موقف الحر الكريم، وأفتى بأن «لا يمين على مُكرَه»، وأحلَّ الناس في المدِينة مما أبرموه من وعود لوالي المدينة المستبدّ. . وجرؤ والي المدينة على ضرب مالك سبعين سوطاً انخلعت لها كتفه، وصبَّ عليه الماء في الشتاء البارد.

فلما بلغ ذلك الخليفة المنصور أعظمه إعظاماً شديداً وأنكره.

مالك إمام دار الهجرة يُضرب بالسياط بسبب جرأته في الحق!. .

هكذا تكونُ الجرأة في الحق تعرِّض صاحبها للمحن، فلا ينثني ولا يتراجع، مثلما امتحن أحمد بن حنبل في محنة خلق القرآن؛ ضُرب وأُهين، وما تراجع عن الحق أبداً. .

يقول المؤرِّخون: إن مالكاً بعد تلك الحادثة أصبح أكثر رفعة في الناس وأعظم شأناً، وكأنما كانت تلك السياط وساماً على صدر مالك!. .

وظل مالك طوال حياته بعيداً عن محيط الخلفاء، متجرّداً لحديث رسول الله ﷺ، غاية في الورع والأناقة وحُسن الثياب. .

❁ ❁ ❁

الليلة
١٠٣

الإمام الشافعي (١٥٠ ـ ٢٠٤هـ)

سأل عبد الله بن أحمد بن حنبل والده: يا أبت! أيّ رجل كان الشافعي؟ قال ابن حنبل: كان الشافعي كالشمس للدنيا والعافية للأبدان..

وُلد الشافعي في غزة بفلسطين، وتنقَّل بين مكة والمدينة وبغداد، ثم استقر في مصر حتى آخر حياته.

أنضجتْ هذه الرحلة ذهن الشافعي، فقد غيَّر مذهبه الذي وضع أصولَه في العراق حين استقرَّ في مصر، ووضع بدلاً عنه مذهبَه الجديد.

وُلد الشافعي في العام الذي مات فيه أبو حنيفة، وتلقى على مالك في المدينة، ثم كان ابنُ حنبل من تلاميذه!..

كان الشافعي رياضيّاً؛ فقد تعلّم الرماية وأجادها.. وقال عن نفسه: كانت همتي في الرمي والعلم. وبلغ به حب الرماية أن جلال السن والإمامة لم يكونا يمنعانه من مزوالتها؛ (فلماذا نستحيي من ممارسة رياضة السباحة إن كنّا في سنٍّ متقدمة؟!).

أفتى وهو ابن عشرين! وكان يجلس في حلقته إذا صلّى الصبح فيجيئه أهل القرآن فيسألونه، فإذا طلعتِ الشمسُ قاموا وجاء أهل الحديث يسألونه، فإذا ارتفعت الشمس قاموا فجاء أهل العربية بالشعر والنحو... وهكذا حتى يأتي المساء والشافعي جالس في حلقته لا يضيق بالعلم ولا بالناس.

كان مفرط الذكاء، فقد كان يحفظ الصفحة من الكتاب من المرَّة الأولى التي يقرؤها! وقد اجتمع للشافعي علمان: علم مالك الذي لزمه حتى مات، وعلم أبي حنيفة الذي أخذه من محمد بن الحسن.

قال الشافعي: ما ناظرتُ أحداً فأحببتُ أن يخطئ، وما في قلبي من

علم إلا وددتُ أنه عند كل أحد، ولا يُنسَبُ إليّ. وقال: والله ما شبعتُ منذ ست عشرة سنة؛ لأن الشبع يثقل البدن، ويزيل الفطنة، ويجلب النوم، ويُضعف صاحبَه عن العبادة.

دخل أحد العلماء على الإمام الشافعي في مرضه الذي مات فيه، فقال: كيف أصبحت يا أبا عبد الله؟.

قال: أصبحتُ عن الدنيا راحلاً، وللإخوان مفارقاً، ولسوء عملي ملاقياً، ولكأس المنية شارباً، وعلى ربي وارداً.. ولا أدري أروحي صائرة إلى الجنة فأهنِّيها، أم إلى النار فأعزِّيها.. ثم أنشد:

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي جعلتُ رجائي نحو عفوك سلَّما
تعاظمني ذنبي فلما قرنْتُهُ بعفوك ربي كان عفوكَ أعظما
فيا ليت شعري هل أصير لجنةٍ فأهنأ وإما للسعير فأندما

فإذا كان الإمام الشافعي لا يعرف إلى جنة أم إلى نار يصير؛ فماذا نقول نحن؟!..

❁ ❁ ❁

الليلة
١٠٤

أحمد بن حنبل (١٦٤ ـ ٢٤١هـ)

ما ذُكِرَتِ «المحنة» في تاريخ الإسلام؛ إلا ذُكر أحمد بن حنبل وتلميذه في الاجتهاد والمحنة «ابن تيمية».

لقد امتدت محنة «خلق القرآن» أربع عشرة سنة عجافاً . .

بدأت هذه المحنة حينما دعا «المأمونُ» الفقهاءَ ليقولوا مقالة في «خلق القرآن»، وكان قد اتخذ من المعتزلة وزراءه وصفوته، وآمن معهم بأن «القرآن حدث مخلوق».

وفي عام (٢١٨هـ) أرسل كتبه إلى الأقاليم والأمصار يطلب امتحان الفقهاء والمحدِّثين في القول بأن القرآن مخلوق، وهدَّدهم بأنهم سينالون العقوبة الصارمة إن لم يقرّوا بوجهة نظره . .

وتهاوى الفقهاء واستسلموا، ولم يصمد إلا أحمد بن حنبل.

مات «المأمون» وأوصى أخاه «المعتصم» بالاستمساك بمذهبه ودعوة الناس إليه . . ومضى «المعتصم» يأخذ الناس بالشدة بهذه المحنة.

وأعيد أحمد بن حنبل إلى السجن في بغداد، ثم حمل إلى «المعتصم» فناظر قاضي القضاة، وأصر أحمد على رأيه **بأن القرآن غير مخلوق**.

ومضت السياط تسفع جسده النحيل في عنف وقسوة حتى أُغمي عليه، وظلوا يضربونه مراراً وتكراراً، وقضى في السجن أكثر من ثمانية وعشرين شهراً، ثم أُطلق سراحه فأقام في بيته، وحيل بينه وبين الإفتاء.

ثم تولى «الواثق» فأعاد محاجة أحمد وامتحانه، وأصرّ أحمد على أن القرآن غير مخلوق، فطلب الواثق منه أن يخرج من بغداد، فخرج خمس سنوات حتى مات الواثق.

وهنا رفعت المحنة بعد أربع عشرة سنة، صمد فيها أحمد بن حنبل وقال: «لا» وأصرّ عليها، ولم ترهبه السياط في الحق ولا في ذات الله، واحتمل المحنة صابراً راضياً.

جاءه «المروزي» يوماً وهو في المحنة فقال: هؤلاء قدَّموك للضرب والله يقول: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ﴾ [النساء: ٢٩]. فقال: يا مروزي! اخرج وانظر. قال: فخرجتُ فرأيتُ في فسحة دار الخليفة خلقاً كثيراً والصحف والأقلام في أيديهم.. فقلتُ: أي شيء تعملون؟ قالوا: ننظر ما يقول أحمد فنكتبه! فرجع إلى أحمد وأخبره.

فقال الإمام أحمد: أأضلُّ هؤلاء؟! كلا.. بل أموت ولا أضلهم.

قال المروزي: هذا رجل هانت عليه نفسه في الله..

وجاء «المتوكل» فارتضى مذهب ابن حنبل، واضطهد المعتزلة، وانتقل الأمر من النقيض إلى النقيض، وأصبح ابن حنبل من المقرَّبين، ومع ذلك لم يذهب عنه وقاره ولا زهادته، عاش فقيراً يعمل ولا يقبل العطاء.. رفض عطاء المتوكل الذي عرض عليه المال الكثير.

يقول فيه الشافعي: خرجت من بغداد وما خلَّفت فيها أفقه ولا أورع ولا أعلم من أحمد بن حنبل.

لم يجلس ابن حنبل للفتيا والحديث إلا بعد سنِّ الأربعين.

وضع في كتابه «المسند» ثلاثين ألف حديث، وله كتب أخرى عديدة[١].

❁ ❁ ❁

(١) الجباه العالية، (بتصرف).

الليلة ١٠٥

هانوا على الله فعصوه

رأى الحسن البصري قوماً يعصون ربهم، فقال تلك الكلمة البليغة:

هانوا على الله فعصَوْه، ولو عزُّوا عليه لَعَصَمَهم..

فإذا أحبَّ الله عبداً عَصَمهُ عن السيئة، وإذا هان عليه انسلخ ذلك العبد في المعاصي..

فهل يرضى أحدنا ـ وهو يعصي الله ـ بأنه يكون هيِّناً على الله، رخيصاً عند ربه؟!..

إذا دعتْك نفسك إلى معصية، فذكِّرها سوء عاقبتها، وتذكَّر أن الله مطَّلعٌ عليك، وقل لنفسك: لو رآك رجل تحترمه وتوقِّره لاستحييتَ منه؛ فكيف لا أستحيي من ربي تبارك وتعالى؟!..

وسائلْ نفسك: هل تأمن تعجيل عقوبته وكشف ستره؟!

وتذكّر أنك لا تقدر أن تعصيه إلا باستعمال تلك النعم التي أنعم بها الله عليك، فكم له من نعمة في عينك التي نظرتْ إلى ما حرَّم الله؟ وكم له من نعمة في يدك التي مددْتها إلى معصيته؟ وفي لسانك الذي نطقتَ به بما لا يحلُّ لك؟ فهل من شكر المنعم أن تعصيه في تلك النعم؟!..

تذكّر أن الله الذي يرى النملة السوداء في الليلة الظلماء تحت الصخرة الصماء؛ يراك..

زيَّن الشيطان يوماً لرجل أن يخلو بامرأة لا تحلّ له، فلما صار في دارها سألها: أيرانا أحد؟ قالت: لا، إلا الله تعالى..

فبكى الرجل وقال: **والله لا أجعلُ ربي أهونَ الناظرين**. لو كان

الذي يراني ولدٌ صغيرٌ لما تجرأتُ على فعل شيء أمامه؛ فكيف والذي يراني هو رب العالمين؟!..

خرج من عندها وقد تملَّكه الخوف من الله، تذكَّر قول الله تعالى: ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩].

يقول الشاعر:

إذا ما خلوْتَ الدهرَ يوماً فلا تقلْ: خلوتُ ولكنْ قلْ: عليَّ رقيبُ
ولا تحسبنَّ الله يغفلُ لمحةً ولا أنَّ ما تُخْفي عليه يغيبُ

وبقدر ما يصغرُ الذنبُ عند العاصي، بقدر ما يعظمُ عند الله.

قال ابن القيم رحمه الله: «فاستقلالُ العبد للمعصية مِنَ الجرأة على الله، لأنه إذا استصغرَ المعصيةَ هان أمرُها، وخفَّت على قلبه، ولم يجد حرجاً في الاستزادة منها!».

يقول ابن مسعود رضي الله عنه: إن المؤمن من يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مرَّ على أنفه فطار!..

❁ ❁ ❁

الليلة ١٠٦

لا تشكُ ربَّ العباد إلى العباد

مَنْ منَّا لا يبتلى في هذه الحياة ولو مرَّة؟!..

مَنْ منا لا يصاب بمرض أو شدة أو محنة؟!..

فماذا تفعل إذا أُصبت بمرض شديد؟!..

أتشكو ربَّ العباد إلى العباد؟! أتتذمر وتقول: لماذا ابتلاني الله بالمرض؟! ماذا فعلت حتى أُصاب بما أُصبتُ به؟!..

أتحدّثك نفسك وتقول: «لم أعد أصبر على ذاك البلاء»، «لقد سئمتُ الحياة مع هذا المرض، فيا ليتني أموت وأنتهي مما أنا فيه»؟!..

لا يا أخي! فالله ﷻ يقول: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥]، والحياة دار ابتلاء؛ يمحِّص الله فيها الصابرين من الشاكين المتذمِّرين..

والشكوى إلى الله لا تتنافى مع الصبر الجميل، ولكن الله ﷻ يمقتُ من يشكوه إلى خلْقه!..

رأى بعض السلف رجلاً يشكو إلى رجلٍ مَرَضَه وفقره، فقال: يا هذا ما زدتَ على أن شكوتَ من يرحمك إلى من لا يرحمك!..

يروى أن أحد الصالحين مرَّ بشيخ أعمى وقد أصابه الفالج وأتت عليه الأمراض، وسمعه يقول: «الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيراً من الناس، وفضَّلني على كثير من خلقه تفضيلاً».

فسأله: هل لي أن أعرف ممَّ عافاك الله، وما أراك إلا مُقعداً مشلولاً وقد أُصبتَ بكل تلك البلايا والأمراض؟!.

فقال الشيخ الأعمى المشلول: أصلحك الله يا هذا! أما ترى أن الله عافاني في لساني؛ فأنا أحمده به في كل آن، وعافى قلبي؛ فأنا أذكرهُ في كل حين؟!.

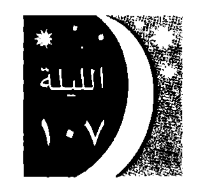
دخل رسول الله ﷺ على أعرابي يعوده، فقال: «**لا بأس عليك، طهور إن شاء الله**» قال الأعرابي: طهور؟! بل هي حمى تفور، على شيخ كبير، تزيره القبور.. قال النبي ﷺ: «**فنعم إذاً**»[1].

مرض أحد الصالحين وكُفَّ بصره، واعتراه ألم لا يهدأ بالمسكّنات، فدخل عليه أحد تلامذته فوجده يبكي، فأخذَ يواسيه ويطلب منه الصبر على قضاء الله..

فقال له: والله لا أبكي ضجراً من ألمي، ولكني أبكي فرحاً لأن الله وجدني أهلاً لأن يبتليني!..

❀ ❀ ❀

(١) رواه البخاري.



هل تريد أن تصبح مغروراً؟

هذه وصفة سحرية تجعلك مغروراً بين الناس:

- فتِّش عن مديح الناس؛ فهذا يُشعرك أنك رجل عظيم يستحق هذا المديح، ويُشعرك أنك خيرٌ من الآخرين..
- حاول تغيير أُناس ليكونوا مثلك؛ فأنت خيرٌ منهم..
- افرح عند فشل الآخرين؛ ففشلهم يُبدي نجاحك وتفوقك عليهم..
- إذا وجَّه إليك أحدهم النقد، فابذل جهدك في الدفاع عن نفسك؛ فَمَنْ هؤلاء الذين ينتقدونك؟! وبأي حق يفعلون ذلك؟! ألا يعلمون من أنت؟!.
- إذا قابلت أحداً؛ فركِّز على الأمور التي تتفوق فيها عليه، وركِّز على نقاط ضعفه، حتى تشعر أنك خير منه..
- قاطع حديث الناس؛ فما تقوله أهم بكثير من الذي عند غيرك..
- حاول أن تجعل المجلس يدور حولك وحول أحاديثك؛ فلا تنسَ أنك خير الموجودين[1]..

بالله عليك؛ أتريد أن تكون هذا الإنسان المغرور؟! أتريد أن تلقى الله بمثل هذه الأخلاق وهذا السلوك؟! ماذا تقول لربِّ العالمين عندما يسألك عن غرورك، عن تكبُّرك على الناس؟!..

ألم يقل الله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢]؟!.

---

(١) خواطر شاب، للأستاذ أحمد الشقيري، (بتصرف).

وقال رسول الله ﷺ: «إذا قال الرجل: هَلَكَ الناس؛ فهو أهلكهم»[1].

يقول الإمام النووي: «وهذا النهي لمن قال ذلك عُجباً بنفسه، وتصاغراً للناس، وارتفاعاً عليهم؛ فهذا هو الحرام.. وأما من قاله لما يَرى في الناس من نقص في أمر دينهم، وقاله تحزُّناً عليهم وعلى الدين؛ فلا بأس به».

أوصى الحسن البصري أحد طلابه قائلاً: يا بني خذ هذه البطاقة فهي خير لك من ألف كتاب:

لا تغترَّ بمكان صالح؛ فلا مكان أفضل من الجنة، ولقد لقي فيها أبونا آدم ما لقي..

ولا تغترَّ بكثرة العبادة؛ فانظر ما لقي إبليس عند عصيانه لله تعالى بعدما مكث في العبادة!.

ولا تغترَّ برؤية الصالحين؛ فلا شخص أعظم من المصطفى ﷺ، فلم ينتفع به الكفار والمنافقون..

ولا تغترّ بكثرة العلم؛ فإن العلم إذا لم يقترن بالإيمان لم يوصل صاحبه إلى الجنة.

يقول سفيان بن عيينة: من كانت معصيته في الشهوة؛ فارجُ له من الله المغفرة، ومن كانت معصيته في الكِبر؛ فاخشَ عليه؛ فإن آدم عصى مشتهياً فغفر له، وإبليس عصى متكبراً فلُعِنَ!..

❃ ❃ ❃

---

(١) رواه مسلم.

الليلة ١٠٨

الحسن البصري (٢١ - ١١٠هـ)

نشأ الحسن البصري (الحسنُ بن يسار) في بيت من بيوت رسول الله ﷺ، ورُبِّي في حجر زوجة من زوجات النبي ﷺ؛ هي أم سلمة رضي الله عنها؛ فقد كانت أمه «خيْرة» أَمَةً لأم سلمة، وكان أبوه «يسار» مولًى لزيد بن ثابت رضي الله عنه، وكثيراً ما كانت «خيْرة» أم الحَسَن البصري تخرج من البيت لقضاء بعض حاجات أم المؤمنين، فكان الطفل الرضيع يبكي من جوعه، فتأخذه «أم سَلَمة» إلى حجرها، وتُلقمه ثديها لتشغله عن غياب أمه؛ فكانت لشدة حبها إياه يَدُرُّ ثديها لبناً سائغاً في فمه، وبذلك أصبحت أم سلمة رضي الله عنها أمّاً للحسن من جهتين: فهي أمه بوصفه أحد المؤمنين، وهي أمه من الرَّضاع أيضاً..

تتلمذ على أيدي كبار الصحابة في مسجد رسول الله ﷺ، ولما بلغ أربع عشرة سنة انتقل مع أبويه إلى «البصرة» واستقرَّ فيها، ومن هنا نُسب الحَسَنُ إلى «البصرة»، وعُرف بين الناس بالحسن البصري.

كان أحد القلائل الذين تصدوا لطغيان الحَجَّاج بن يوسف الثقفي، ومن ذلك أن الحجَّاج بنى لنفسه بناءً في «واسط» (مدينة بين البصرة والكوفة)، ونادى الحجاج في الناس أن يخرجوا للفرجة عليه.

ولما وصل الحَسَنُ المكانَ، ورأى جموع الناس تطوف بالقصر المنيف مأخوذة بروعة بنائه؛ وَقَفَ فيهم خطيباً وقال: لقد رأينا «فرعون» شيَّد أعظم مما شيَّد، وبنى أعلى مما بنى.. ثم أهلك الله «فرعون» وأتى على ما بنى وشيَّد (أي: دمّر)! ليت الحجَّاج يعلم أن أهل السماء قد مقتوه، وأن أهل الأرض قد غرُّوه!.. ومضى يتدفق على هذا المنوال حتى أشفق عليه أحد السامعين من نقمة الحجَّاج، فقال له الحسن: **لقد أخذ الله الميثاق على أهل العلم ليبيِّنُنَّهُ للناس ولا يكتمونه.**

وفي اليوم التالي دخل الحجاج إلى مجلسه وهو يتميز من الغيظ، وقال لجُلاَّسه: تبّاً لكم وسحقاً! يقوم عبد من عبيد أهل البصرة، فيقول فينا ما شاء أن يقول ثم لا يجد فيكم من يَرُدُّه أو ينكر عليه! والله لأسقينكم من دمه يا معشر الجبناء!.. ثم أمر بالسيف والجلّاد، وأمر الشرطة بإحضار الحَسَن، وما هو إلا قليل حتى جاء الحسن، فشخصتْ نحوه الأبصار..

فلما رأى الحَسَنُ السيفَ والجلَّاد، حرَّك شفتيه، ثم أقبل على الحجاج وعليه جلال الإيمان، ووقار الداعية إلىٰ الله..

فلما رآه الحجاج هابه أشدّ الهيبة، وأجلسه إلى جانبه، والناس ينظرون بدهشة واستغراب!.. وجعل يسأله عن بعض أمور الدين، والحسن يجيبه بثبات وبيان وعلم واسع.. وقال الحجاج: أنت سيد العلماء يا أبا سعيد! وودَّعه بالاحترام والتقدير..

ولما خرج الحسن من عنده تَبِعَهُ حاجب الحجاج وقال له: يا أبا سعيد: لقد دعاك الحجاج ليقتلك، وإني رأيتك عندما أقبلتَ ورأيتَ الجلاّد أمامه قد حرَّكتَ شفتيك؛ فماذا قلت؟.

قال الحسن: لقد قلتُ: **يا وليَّ نعمتي وملاذي عند كُربتي، اجعل نِقمتَهُ برداً وسلاماً عليَّ كما جعلتَ النار برداً وسلاماً على إبراهيم**[1].

❃ ❃ ❃

---

(١) صور من حياة التابعين، (بتصرف).

الليلة
١٠٩

هل أنت تحبُّ الله؟

سأل أحدهم ذا النون: من أصحب؟.

قال: اصحبْ من إذا مرضتَ عافاك، وإذا أذنبتَ تاب عليك، وإذا سألْتَه أعطاك، وإذا استعنتَ به أعانك.

فهل بعد صحبة الله صحبة؟ إذا سجدتَ فأخبره بأمرك سرّاً؛ فإنه يعلم السر وأخفى، ولا تُسمعْ من بجوارك؛ فإن للمحبة أسراراً، وابعث رسائلك وقت السَّحَر.. رسائل مدادها الدمع، وقراطيسها الخدود، وبريدها القبول إن شاء الله..

بعض الناس يفهم الدين على أنه مجموعة من الأوامر والنواهي، وحدود الحلال والحرام.. وينسى أن محبة الله ورسوله هي فوق كل شيء.

فالحب هو رأس القضية، وإذا غاب ذلك الحب فإن كل العبادات والطاعات لن تصنع متديناً مسلماً.

وإذا كنت ممن يدَّعي محبة الله؛ فاجعل تلك المحبة تظهر في سلوكك، في كلامك، في أخلاقك وأفعالك.. وإلا لما كنتَ من المحبين!..

يروى أن رجلاً كان في سفر، فصادف امرأة ذات حُسن وجمال، فقال لها: كُلِّي بكلِّك مشغول (أي: إني مفتون بك).. فقالت له: إن كنت صادقاً؛ فكلِّي لكلِّك مبذول، لكن لي أختاً أجمل مني، وهي وراءك؛ فإن شئت فاختر إحدانا.

فالتفت الرجل إلى الخلف، فإذا بالمرأة الأخرى تلطمه على وجهه وتقول: إليك عني أيها المخادع! أتدَّعي محبتي ثم تنظرُ إلى غيري؟! أتيت

إليَّ وزعمتَ أنك عاشق، فلمَّا جرَّبتك وجدتُك كاذباً! فبكى الرجل وحثا على رأسه التراب وقال: ادَّعيْتُ محبة مخلوقٍ، فلما أعرضْتُ عنه أتتني اللطمة على وجهي..

فكم ادَّعيْتُ محبة الخالق ثم أعرضْتُ عنه، واشتغلتُ بسواه، فتأتيني اللطمة في قلبي فلا أشعر بها..

هل وصلتُ إلى درجة ينطبق عليَّ فيها قول الله تعالى: ﴿بَلْۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]؟.

تُرى كم منَّا مَنِ ادَّعى محبة الله ثم أعرض عنه وقصَّر في صلاة جماعة أو صوم نفل أو تلاوة للقرآن؟!..

* * *

الليلة ١١٠

طلب العلم عبادة

شرف العلم لا يخفى على أحد؛ فبه أظهر الله تعالى فضل آدم عليه السلام على الملائكة، وأمرَهم بالسجود له.

والله تبارك وتعالى رفع قدر العلماء والمتعلمين؛ فقال: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

يقول معاذ بن جبل رضي الله عنه: «تعلَّموا العلم، فإن تعلُّمَه لله خشية، ودراستَه تَسبيح، والبحثَ عنه جهاد، وطلَبه عبادة، وتعليمَه لمن لا يعلمه صدقة، وبذلَهُ قُرْبة»[1].

والعلم يرفع شأنك بين الناس، وبه تزداد قرباً من الله..

يقول أبو بكر الوراق:

والعلمُ يرفعُ أقواماً بلا حَسَبٍ ... فكيف من كان ذا علمٍ لَهُ حَسَبُ

فاطلبْ بعلمِك وجه الله محتسباً ... فما سوى العلمِ فهوَ اللهوُ واللعِبُ

ولا بدَّ لطالب العلم من أن يتحلَّى بآداب وأخلاق حميدة:

يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «تعلَّموا العِلمَ، وتعلَّموا للعلم السكينة والحِلْم، وتواضعوا لمن تَتعلَّمون منه ليتواضعَ لكم من تُعلِّمونه، ولا تكونوا من جبابرة العلماء؛ فلا يقوم علمُكم بجهلِكُم».

وليس من العيب أبداً أن نقول: لا نعلم.. وما أجمل قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين قال: ما أبرَدها على القلب! إذا سُئلَ أحدكم فيما لا يعلم أن يقول: الله أعلم..

---

(١) مدارج السالكين، لابن القيم: ٤/ ١٣٤.

ولا تكتم الناس علماً تعلَّمته مهما كان، والرسول ﷺ يقول: «**بلِّغوا عني ولو آية**»[١].. لا تستهن بما تعلم وتقول: إن علمي قليل؛ فالرسول ﷺ يقول: «**من كتم علماً؛ ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار**»[٢].

ولا خير في علم لا يُعمَلُ به، وإلا أصبح صاحبه كالحمار يحمل أسفاراً.

يقول أبيّ بن كعب رضي الله عنه: تعلَّموا العلم واعملوا به، ولا تتعلّموه لتتجملوا به؛ فإنه يوشك إن طال بكم الزمان أن يُتَجمَّل بالعلم كما يَتجمَّل الرجلُ بثوبه!..

يقول عليه الصلاة والسلام:

«**لا تعلّموا العلم لتباهوا به العلماء، أو لتماروا به السفهاء، أو لتصرفوا وجوه الناس إليكم، فمن فعل ذلك فهو في النار**»[٣].

❋ ❋ ❋

---

(١) رواه البخاري.

(٢) صحيح الترغيب (١٢١).

(٣) صحيح ابن ماجه (٢١٠).

الليلة ١١١

سيأتي عليه يوم

كان أبو يوسف أحد التلاميذ النجباء عند الإمام أبي حنيفة، توفي أبوه وهو صغير، فأخذته أمه ليعمل عند أحد التجار..

ولكنه كان يحب العلم منذ صغره، فكلما مرَّ في طريقه إلى دكان التاجر؛ توقَّفَ عند حلقة أبي حنيفة ليتعلم منها.. لاحظت أمه تأخر ابنها في الذهاب إلى الدكان، فوجدتْهُ مراراً جالساً في حلقة أبي حنيفة!.

ولما تكرر ذلك قالت الأم لأبي حنيفة: إنك تُفسد عليَّ ابني؛ فهذا ولد يتيم وليس لديَّ دخْلٌ إلا من مغزلي..

فقال أبو حنيفة: اسكتي يا هذه! فإن ابنك يتعلَّمُ العلم، **وسيأتي عليه يومٌ يأكل فيه الفالوذج** (نوع من الحلوى) **في صحون الفيروزج!**.

فقالت: إنك شيخ كبير قد خرَّفت!..

ومرّت الأيام، وأصبح أبو يوسف قاضي القضاة في عهد هارون الرشيد، فجيء له ذات يوم بصحن من الفيروزج فيه فالوذج!..

فقال له الرشيد: كُلْ منه فإنه لا يُصنع لنا إلا نادراً.

فقال: وما هذا يا أمير المؤمنين؟.

قال: فالوذج.. فتبسم أبو يوسف، فسأله الرشيد: ما لَكَ تتبسم؟.

فقصَّ عليه مقولة أبي حنيفة: **سيأتي عليه يوم يأكل فيه الفالوذج في صحون الفيروزج؟**.

فقال الرشيد:

من أراد الدنيا فعليه بالعلم..

ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم . .

ومن أرادهما معاً فعليه بالعلم . .

ورحم الله أَبا حنيفة فإنه كان يرى بعين قلبه ما لا يراه الناس بعيون رؤوسهم! . .

يقول الإمام الشافعي : طلب العلم أفضل من صلاة النافلة .

وعن أبي هريرة ﵁ : أنه قال : لئن أجلس ساعة فأفقه في ديني ، أحبُّ إليَّ من أن أحيي ليلة إلى الصباح .

قال المزني : روي عن ابن عباس ﵄ : أن الشياطين قالوا لإبليس : ما لنا نراك تفرح بموت العالِم ما لا تفرحه بموت العابد؟ .

قال : انطلقوا . .

فذهبوا إلى عابدٍ ، فقال له إبليس : هل يقدر ربُّك أن يجعل الدنيا في جوف بيضة؟ فقال : لا أدري .

قال إبليس : أرأيتم؟! لقد كفر في الساعة . .

ثم جاؤوا إلى عالِم يحدِّث أصحابه ، فقال إبليس : هل يقدر ربُّك أن يجعل الدنيا في جوف بيضة؟ قال : نعم ، قال : وكيف؟ قال : يقول : كن ، فيكون .

❋ ❋ ❋

الليلة ١١٢

همسة في أذن الطالبات

اجعلي من طلبك للعلم وسيلةً لنصرة الدين والاعتزاز به، تتعبدين الله بخروجك إلى طلب العلم.

تمرّسي على التعلّم والمطالعة، وحافظي أثناء ذلك على العفة والحياء، والطهارة والنقاء! وإليك بعض الوصايا التي لا غنى للطالبات عنها:

١ - تذكّري: أن ذهابك لطلب العلم هو عبادة وتدين، قال ﷺ: «**الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما ولاه، وعالماً أو متعلماً**»[1].

ومهما كان اختصاصكِ في العلوم، سواء في العلوم الشرعية أو غيرها كالفيزياء والطب والكومبيوتر.. فأنتِ ملزمة في ذلك بالإخلاص؛ لأنه يحوّل عاداتك إلى عبادات، ويملأ صحيفتك بالثواب الجزيل على ما تتعلمين.

٢ - حافظي على حجابك أثناء الخروج والدخول، وفي الشارع والمدرسة والجامعة؛ فإن الحجاب لا ينافي العلم، بل التبرج هو الذي ينافيه وينقضه؛ لأنه محرّم شرعاً ومعاب عقلاً، وقد دلَّت التجربة الميدانية في الغرب وفي كثير من الدول الأخرى على فساده، وتسببه في الأمراض والأوبئة الفتاكة! فتأملي!..

واعلمي أيضاً أن الحجاب لا ينافي الجمال ولا يعيبه، بل يحفظه ويستره؛ لئلا تنهشه أنياب الذئاب، ممن طاش عقلهم واستهوتهم الشياطين!.

---

(١) صحيح الجامع (١٦٠٩).

وتذكّري أيضاً: أن الحجاب له أوصاف معلومة لا تتجدد بتجدد الموضة والأزياء، بل هي ثابتة ثبات الجبال، وباقية بقاء الكتاب والسنّة!.

وأما فيما يخص ميدان التعليم فعليك بالآتي:

١ ـ ذاكري الدروس قبل الشرح وبعده.

٢ ـ نظمي وقتك بوضع جدول يومي تُخططين فيه للمطالعة وللثقافة وللزيارة وللعبادة وغيرها؛ حتى لا تختلط عليك الأمور.

٣ ـ اصغي إلى الشرح داخل الفصل، واسألي عن الغامض في الدروس.

٤ ـ اجتهدي وكوني ذات همة عالية في التحصيل، فإن الأخت المسلمة كلما تقوَّت بعلم أو غيره؛ كانت عامل قوة للأمة كلها.

٥ ـ استعيني بالله ـ جلَّ وعلا ـ على الفهم والتعلم، وفي الاختبار أيضاً[1].

❁ ❁ ❁

(١) همسة في أذن الطالبات، دار ابن خزيمة، (بتصرف).

الليلة
١١٣

رسالة إلى طالب طب

بعث إليَّ طالبٌ في السنة الأولى من كلية الطب رسالة يقول فيها: «إنه يشعر بالفتور ويتهيب دراسة الطب». . وهو الذي حفظ القرآن كاملاً!.

فقلت له: لقد رضي الله عنك يا بنيّ إذ أدخلك كلية الطب، ولقد منَّ عليك بمهنة من أشرف المهن في الوجود.

يقول الإمام الشافعي: «لولا اشتغالي بالفقه وحاجةُ الناس إليَّ فيه، لاشتغلت بالطب».

فلماذا تشعر بالفتور والوجل؟!..

يا بنيّ! والله لو أنني مِتُّ ألف مرة، وعدتُ إلى الحياة ألف مرة، وخُيّرتُ بين كليات العالم أجمع.. لما اخترتُ سوى كلية الطب!..

فبسمةٌ ترسمها على وجه مريض خيرٌ لك من الدنيا وما فيها، ولأن تصغي إلى مريض يبثك شكواه، ثم تصف له العلاج الناجع بإذن الله تعالى، لهو خير لك من مال الدنيا ونعيمها.

ولربَّ دعوة في ظهر الغيب يُرسلها إليك مريض ـ شفي بإذن الله تعالى على يديك ـ أجدرُ بالأجابة من ملايين الدعوات.

يا بنيّ! لا تقل: إن الطريق طويل، وأنا ما زلتُ أحبو في أوله..

ولا تقل: إن الطب خِضمٌّ عميق، وأنا أتعثَّر على شاطئه..

فإذا دخلتَ مخابر كلية الطبّ **فسبّح الله**، وإذا سمعتَ عن آيات الله في جسم الإنسان **فوحّد الله**، وإذا نظرتَ إلى تكوين الإنسان **فمجّد الله**..

وإذا قلّبتَ النظر في علوم التشريح والنسيج والجراثيم وغيرها؛ **فتذكّر صنعة الخالق العظيم**..

فالطب محراب كوني بديع؛ كل شيء في الوجود يسبح الله؛ فكيف بهذا الإنسان الذي يقول عنه ربنا في محكم كتابه: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]؟!.

وما هي إلا سنتان أو ثلاث حتى تدخل المستشفى طالباً يشكو إليك المرضى أوجاعَهم؛ تسمعُ إليهم، تُخففُ عنهم، تتبسمُ في وجوههم، تمنحهم الأمل بالشفاء بإذن الله تعالى.. وفي كل ذلك خير عظيم.. تَسمعُ دعوات المرضى تنهال عليك بالرضا والثناء من كل مكان، وَتسمعُ دعواتهم لوالديك، فتزداد سعادةً وحبوراً..

لقد قلتُ مراراً: والله ما وصلتُ إلى ما أنا فيه إلا بثلاثة: بتوفيق الله ﷻ أولاً، ثم برضا الوالدين، وبدعوات المرضى لي في ظهر الغيب.

فلماذا الفتور والوجل يا بنيّ؟!..

أتريدُ أن تهيم على وجهك فتعيش بين الحفر؟! ألم تسمع قول الشاعر:

ومَنْ يتهيبْ صعودَ الجبالِ يعشْ أبدَ الدهرِ بين الحفرْ

وكيف تتهيب دراسة الطب وأنت قد حفظت القرآن كاملاً؟! فمن يحفظ القرآن في ريعان الشباب قادر بإذن الله تعالى على حفظ منهج الطب عن ظهر قلب.

ثم ألا تعلم أنك على ثغر من ثغور الإسلام؟!..

ففي كل حرفٍ تقرؤه في الطب، وتنوي به مساعدة مريض على الشفاء بإذن الله تعالى أجرٌ عظيم.

ألم يقل مولانا جلّ في علاه: ﴿وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ﴾ [المائدة: ٣٢]؟! فمن أنقذ مريضاً بإذن الله من المرض؛ فكأنما أحيا ستة مليارات من البشر!..

ثم تقول لي: إن دراسة الطب ليس فيها مزاح!..

أقول: نعم.. وهل كُتب على أمة الإسلام أن تعيش حياتها في التهريج والتمثيل والفن الهابط؟!..

أجل يا بنيّ! إن الأمة المسلمة لا تعرف العبث الماجن، ولا المزاح الساخر، ولا الفن الهابط..

وهي لن ترقى إلا بشباب مثلك حفظوا القرآن ووعوه، ودرسوا الطب وبرزوا فيه..

حملوا القرآنَ بيد، ومبضعَ الجراح أو سماعةَ الطبيب باليد الأخرى؛ فكانوا فرسانَ الطب في النهار، عبّاداً لله في الليل والنهار!..

فَسِرْ يا بنيّ على بركة الله، استعذْ بالله من وساوس الشيطان، وانوِ في كلِّ حرفٍ تقرؤه في كلية الطب وجهَ الله تعالى..

أخلص النية في كل عمل، وأتقن كل ما تعمل، تنقلب دراستك إلى عبادة خالصة لوجه الله تعالى.

أسألُ الله العظيم أن يحفظك ويحفظ شباب المسلمين وفتياتهم، وأن يجعلك طبيباً مخلصاً لله تعالى في كل عمل، وأن يتقبّل منّا خالص الأعمال، والله ولي التوفيق.

أخوك حسان

❊ ❊ ❊

وكتب الدكتور ربيع السعيد عبد الحليم أستاذ جراحة المسالك البولية قصيدة بعنوان «رسالة إلى طالب طب»:

هنيئاً هنيئاً بُنيَّ الحبيب　　　قريباً ستبدأ درس الطبيب

تـجـوَّلْ بـفـكـر بـصـيـر بـأر ـــ جاء خلقٍ دقيقٍ عظيمٍ عجيب

«تُشرِّح» أحشاءَ تبدي بديـ ـــ عَ صنيعٍ.. فيخشع قلبٌ منيب

«ومجهرُ» يحكي خفايا تثيـ ـــ ـر انبهاراً بعقلِ النبيه الأريب

خلايا تحُدُّ.. خلايا تصُدُّ ـــ وتلك تقومُ بدورِ الرقيب

خلايا تجولُ.. خلايا تصولُ ـــ وأخرى تُزيلُ الجسمَ الغريب

«وكيميا حياة»: جواهر شتَّى ـــ وكلٌّ منوطٌ بدورٍ رهيب

وظائفُ أعضاءَ كانت مناراً ـــ لعلمٍ وفهم بعقلٍ لبيب

وكانت تُسمّى «منافع أعضاء» ـــ أيام عزٍّ ومجد قشيب

وكانت سبيلاً يزيدُ اليقين ـــ وكان اليقينُ سراج النجيب

فعودٌ بُنيَّ لتلك العهود ـــ بطبِّك سبِّحْ لربٌّ مجيب

* * *

الليلة ١١٤

اعرف كيف تنجح

ليس شرطاً أن تكونَ مديراً كي تكون مهمّاً، أو تكون قائداً كي تكونَ عظيماً، أو رئيساً كي تكون ناجحاً..

ولكنك تستطيع أن تكون كلّ هؤلاء مهما كانت وظيفتك أو عملك أو صنعتك؛ فإذا لم تستطع أن تكونَ شمساً ساطعة فكُنْ نجماً في السماء، وإذا لم تستطع أن تكون مؤلِّفاً فكن متحدّثاً لبقاً تُقنع الناس بوجهة نظرك، وإذا لم تستطع أن تحقق ما أردت أن تكون؛ فأتقن عملك أيّاً كان؛ فليس المهم نوع الوظيفة أو العمل، بل النوعية التي تقدِّمها، فكن الأفضل في أي مكان تكونُ فيه[١]..

ليس الفشل هو أنك لم تصل إلى الهدف، ولكن هو أن تكفَّ عن المحاولة؛ فالهزيمة هزيمة نفسية.. لا تقبل بالهزيمة؛ فالنصر حليف مَنْ يضعه نُصب عينيه.

وعندما يكون كل ما حولك يبعث على الإحباط والقنوط، فلا تيئس أبداً، تذكّر أن كلَّ شيء بإرادة الله، وأن الله قادر على كل شيء؛ فلا تيئس...

حدَّثني أحد الشباب قال: فقدتُ كلتا رجليَّ في حادث سيارة! وشعرت بحزن شديد واكتئاب عميق.. اسودَّت الدنيا في عينيَّ، ولم أعرف ماذا تخبئ لي الأيام؟! ماذا أعمل في حياتي؟! وكيف لي أن أبني بيتاً أعيش فيه وزوجتي؟!.

لكن هذا الحادث لم يُضعف من إيماني، بل ازددتُ تصميماً وتحدياً

(١) روِّض النمر الذي بداخلك، للأستاذة وفاء محمد مصطفى، (بتصرف).

لهذا الواقع المرير.. تذكّرتُ قول ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: **لو أن رجلاً وقف أمام جبل وعزم على إزالته؛ لأزاله بإذن الله والقيام بالعمل.**

قررتُ أن أهزم الإعاقة، وأحقق ما لم يحققه الآخرون، كنتُ أريد أن أعمل عملاً أبتغي به وجه الله وأنا غير قادر على المشي أو الحركة.. قررت أن أتعلّم الكومبيوتر، وحصلتُ على شهادة عالية في هندسة الاتصالات، وأصبحتُ رئيساً لمجموعة من الذين يمشون على أرجلهم! وأثبتُّ لهم أنه بالاستعانة بالله تعالى، ثم بتوجيه الطاقات والإرادة نحو الهدف الأعلى؛ استطعت بفضل الله تعالى أن أحقق ما أصبو إليه وأريد..

افتح قلبك للأحلام، فحيثما تكون الأحلام؛ يوجد الأمل..

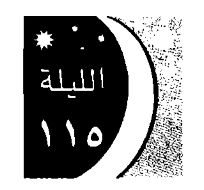
وعندما يوجد الأمل؛ توجد الرغبة في الحياة..

وعندما توجد الرغبة في الحياة؛ تتحقق الأحلام..

وحين تتحقق الأحلام؛ تمسك مفاتيح النجاح..

وعندما تحقق النجاح في الدنيا وتعمل للفوز بالآخرة؛ تمسك بمفاتيح السعادة من كل أطرافها..

❃ ❃ ❃



مَنْ تركها لله
عوّضه الله خيراً منها (١)

يقول عليه الصلاة والسلام: «**إنك لا تدع شيئاً اتقاء الله تعالى؛ إلا أعطاك الله ﷻ خيراً منه**»[١].

- مَنْ ترك مسألة الناس، وإراقة ماء الوجه أمامهم، وعلَّق رجاءه بالله دون سواه؛ عوّضه خيراً مما ترك، فرزقه عزة النفس، والاستغناء عن الخلق؛ يقول عليه الصلاة والسلام: «**. . . ومن يستعفف يعفَّه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبّره الله**»[٢].
- ومن ترك الاعتراض على قَدَر الله، فسلَّم لربه جميع أمره؛ رزقه الله الرضا واليقين، وأراه من حُسن العاقبة ما لا يخطر له ببال.
- ومن ترك الذهاب للعرّافين والسحرة؛ رزقه الله الصبرَ، وصِدْقَ التوكل، وتَحَقُّق التوحيد.
- ومن ترك التكالب على الدنيا؛ جمع الله له أمره، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة.
- ومن ترك الخوف من غير الله، وأفرد الله وحده بالخوف؛ سلِمَ من الأوهام، وأمّنه الله من كل شيء، فصارت مخاوفه أمناً وبرداً وسلاماً.
- ومن ترك الكذب، ولزم الصدق؛ هُدي إلى البرِّ، وكان عند الله صدّيقاً، ورُزِقَ لسان صدق بين الناس؛ فأكرموه وأصغوا لقوله.
- ومن ترك المراء وإن كان مُحقّاً، ضُمن له بيت في ربض الجنة، وسلم من شرِّ اللجاج والخصومة، وحافظ على صفاء قلبه، وأمن من كشف عيوبه.

---

(١) رواه أحمد: ٥/ ٣٦٣، وإسناده صحيح.

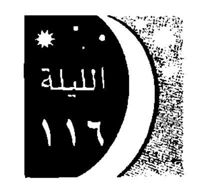
(٢) رواه البخاري.

- ومن ترك الغش في البيع والشراء؛ زادت ثقة الناس به، وكثر إقبالهم على سلعته.
- ومن ترك الربا، والكسب الخبيث؛ بارك الله له في رزقه، وفتح له أبواب الخيرات والبركات.
- ومن ترك النظر إلى المحرّم؛ عوّضه الله لذة يجدها في قلبه.
- ومن ترك البخل وآثر السخاء؛ أحبه الناس، واقترب من الله ومن الجنة، وسلم من الهمِّ والغمِّ، وترقَّى في مدارج الفضيلة، قال تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].
- ومن ترك الكبر، ولَزِمَ التواضع؛ علا قدره، وتناهى فضله، قال ﷺ: «من تواضع لله رفعه الله»[١].
- ومن ترك الفراش ولذته، وقام يصلّي لله ﷻ؛ عوّضه الله فرحاً، ونشاطاً، وأنساً وحبوراً.
- ومن ترك التدخين، وكافة المسكرات والمخدّرات؛ أعانه الله، وعوّضه صحة وسعادة حقيقية، لا تلك السعادة الوهمية العابرة.
- ومن ترك الانتقام والتشفي مع قدرته على ذلك؛ عوّضه الله انشراحاً في الصدر، وفرحاً في القلب؛ قال ﷺ: «وما زاد الله عبداً بعفوٍ إلا عزّاً»[٢].
- ومن ترك صحبة السوء التي يظن أن بها منتهى أنسه، وغاية سروره؛ عوضه الله أصحاباً أبراراً، يجد عندهم المتعة والفائدة، وينال من جراء مصاحبتهم ومعاشرتهم خيري الدنيا والآخرة.

❁ ❁ ❁

---

(١) صحيح الجامع (٦١٦٢). (٢) صحيح الجامع (٥٨٠٩).



مَنْ تركها لله عوّضه الله خيراً منها (٢)

- ومن ترك كثرة الطعام؛ سلم من البطنة، وسائر الأمراض، لأن من أكل كثيراً شرب كثيراً، فنام كثيراً، فخسر كثيراً.

- ومن ترك المماطلة في الدَّين؛ كان حقّاً على الله عونه.

- ومن ترك الغضب؛ حفظ على نفسه عزتها وكرامتها، ونأى بها عن ذل الاعتذار ومغبة الندم، ودخل في زمرة المتقين: ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

- ومن ترك الوقيعة في أعراض الناس، والتعرض لعيوبهم ومغامزهم؛ عُوّض بالسلامة من شرّهم، ورُزقَ التبصر في نفسه.

قال الأحنف بن قيس رضي الله عنه: «من أسرع إلى الناس فيما يكرهون؛ قالوا فيه ما لا يعلمون».

- ومن ترك مجاراة السفهاء، وأعرض عن الجاهلين؛ حمى عِرْضه، وأراح نفسه، وسلِمَ من سماع ما يؤذيه، قال تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

- ومن ترك الحسد، سلم من أضراره؛ فالحسد داء عضال، وخُلق لئيم.

قال أحد الحكماء: ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من الحسود، غمٌّ دائم، وهمّ لازم، وقلب هائم.

- ومن سلم من سوء الظن بالناس؛ سلم من تشوش الفكر، فإساءة الظن تفسد المودة، وتجلب الهمّ والكدر، ولهذا حذّرنا الله عز وجل منها؛ فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

وقال ﷺ: «**إياكم والظن؛ فإن الظن أكذب الحديث**»[١].

● ومن ترك الدعة والكسل، وأقبل على الجد والعمل؛ عَلَت همته، وبورك له في وقته، فنال الخير الكثير في الزمن اليسير.

ومَنْ هجر اللذات نال المنى ومَنْ   أكبّ على اللذات عضَّ على اليد

● ومن ترك طلب الشهرة وحب الظهور، رفع الله ذكره، ونشر فضله.

● ومن ترك العقوق، وكان برّاً بوالديه؛ رضي الله عنه، ورزقه الله أولاداً بررة، وأدخله الجنة في الآخرة.

● ومن ترك قطيعة أرحامه، فوصلهم، وتودد إليهم؛ بسط الله له في رزقه، ونَسَأَ له في أثره، ولا يزال معه ظهير من الله ما دام على تلك الصلة.

● ومن ترك العشق، وقطع أسبابه التي تمده، وأقبل على الله بقلبه؛ رُزِقَ الصبر وعزّة النفس، وسلم من الذلة والأسر، ومُلِئ قلبه حريةً ومحبةً لله ﷻ...

● ومن ترك العبوس والتقطيب، واتصف بالبشْر والطلاقة؛ كثر محبوه، وقلَّ شانئوه[٢]؛ قال ﷺ: «**تبسُّمك في وجه أخيك صدقة**»[٣].

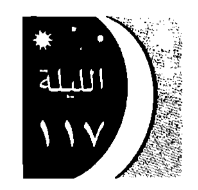
❋ ❋ ❋

---

(١) رواه البخاري، ومسلم.

(٢) من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه، للأستاذ محمد إبراهيم الحمد، (بتصرف).

(٣) أخرجه الترمذي.



مَنْ تركها لله
عوّضه الله خيراً منها (٣)

● إذا أردت مثالاً جليّاً يبيّن لك أنَّ من ترك شيئاً لله عوَّضه الله خيراً منه؛ فانظر إلى قصة يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز، فلقد راودته عن نفسه فاستعصم، مع ما اجتمع له من دواعي المعصية، فلقد اجتمع ليوسف ما لم يجتمع لغيره، وما لو اجتمع كله أو بعضه لغيره لربما أجاب الداعي، بل إن من الناس من يذهب لمواقع الفتن بنفسه، ويسعى لحتفه بيديه.. ثم يبوء بعد ذلك بالخسران المبين، في الدنيا والآخرة، إن لم يتداركه الله برحمته.

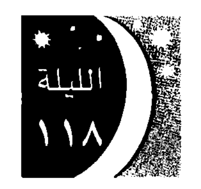
- أما يوسف عليه السلام فقد اجتمع له من دواعي الزنى ما يلي:
- أنه كان شابّاً، وداعية الشباب إلى الزنى قوية..
- أنه كان عزباً، وليس له ما يعوّضه ويرد شهوته..
- أنه كان غريباً، والغريب لا يستحيي في بلد غربته مما يستحيي منه بين أصحابه ومعارفه..
- أنه كان مملوكاً، فقد اشتُري بثمن بخسٍ دراهمَ معدودة، والمملوك ليس وازعُه كوازع الحر!..
- أن المرأة ذات منصب وجمال.
- أنها كانت سيدته، والعبد يطيع سيدته مثلما يطيع سيِّده..
- أنه لم يكن هناك رقيب من البشر.
- أنها قد تهيأت له وتجمَّلت، وتعطّرت له وتزينتْ.
- أنها غلّقت الأبواب، وأترست المتاريس..
- أنها هي التي دعته إلى نفسها فقالت: «هيت لك».

- أنها حرصت على ذلك أشدّ الحرص.
- أنها توعدته إن لم يفعل بالسجن والعقاب.

ومع هذه الدواعي صبر إيثاراً واختياراً لما عند الله، فنال السعادة والعزّة في الدنيا والآخرة، فلقد أصبح السيد، وأصبحت امرأة العزيز فيما بعد كالمملوكة عنده، وقد ورد أنها قالت: «سبحان من صيَّر الملوك بذلِّ المعصية مماليك، ومن جعل المماليك بعزِّ الطاعة ملوكاً».

❁ ❁ ❁





نعطيها على قدْر النعمة

سألت امرأةٌ الليثَ بن سعد أن يعطيها شيئاً من العسل، فأمَرَ لها بوعاءٍ من العسل!..

فقيل له: لماذا تعطيها كلّ هذا وهي لم تطلب إلا القليل من العسل؟!.

فقال: إنها سألتْ على قدْرِ حاجتها، **ونحن نعطيها على قدْر النعمة التي أنعمها الله علينا**..

وكان الليث بن سعد لا يتكلّم كل يوم حتى يتصدق على ثلاثمئة وستين مسكيناً! فهل نحن نتصدق كل يوم ولو بشق تمرة؟!.

فإذا كان لديك مال؛ فلا تنسَ حديث رسول الله ﷺ الذي يقول فيه: «**ما نقص مالٌ من صدقة**»(١).

بكى علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوماً.. فقيل له: ما يبكيك؟ قال: لم يأتني ضيفٌ منذ سبعة أيام.. **فأخاف أن يكون الله قد أهانني!**..

ولا تنسَ أن تقدِّم إحسانك وأنت متهلل الوجه، فلا تعبس في وجه من تُحسن إليه..

يقول الشاعر:

تـــراه إذا جــئــتَــه مــتــهـــلـــلاً   كـأنـك تـعـطـيـه الـذي أنـتَ سـائـلـه

وإيّاك أن تتمنن عليه فيُحبَط عملك؛ قال الله تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٣].

---

(١) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

ويقول الله تعالى أيضاً محذّراً من المن والأذى: ﴿لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ٢٦٤]..

أتى رجلٌ صديقاً له، فقال له: ماذا تريد؟.

قال: عليَّ دَيْنٌ أربعمئة درهم وأنا لا أملك منها شيء.

فأعطاه أربعمئة درهم وعاد إلى امرأته يبكي، فقالت له: لِمَ تعطيه إن كنتَ تبكي على دراهمك؟.

قال: لا والله ما أبكي على هذا! ولكنني أبكي **لأنني لم أتفقد حاله حتى احتاج إلى مفاتحتي!..**

لم أزرْه وأعلم الحال الذي وصل إليه حتى احتاج إلى أن يطلب مني ذلك القرض ليسدد الدَّيْن الذي عليه!.

فهل نتفقّد أحوال أقربائنا وأصحابنا قبل أن يسألونا؟!.

هل نعطيهم على قدر ما يحتاجون إليه، أم على قدر النعمة التي أنعمها الله علينا؟!.

❊ ❊ ❊

الليلة
١١٩

حوار مع المنصور

بينما المنصور يطوف حول الكعبة في الليل إذ سمع قائلاً يقول: اللهمَّ إني أشكو إليك ظهور البغي والفساد في الأرض، وما يحول بين الحق وأهله من الطمع.. فجلس المنصور ناحية من المسجد ودعاه..

فقال المنصور: ما الذي سمعتك تذكر من ظهور الفساد والبغي في الأرض؟.

فقال: إن أمَّنتني يا أمير المؤمنين أعلمتك بالأمور من أصولها..

قال: فأنت آمن على نفسك، فقل.

قال: يا أمير المؤمنين! إن الذي دخله الطمع حتى حال بينه وبين ما ظهر في الأرض من الفساد والبغي لأنت!..

قال: كيف ذلك ويحك! يدخلني الطمع وكل شيء عندي؟!.

قال: إن الله استرعاك أمر عباده وأموالهم، فأغفلتَ أمورهم، واهتممتَ بجمع أموالهم، وجعلتَ بينك وبينهم حجاباً من الجصِّ والآجرّ، وأبواباً من الحديد، وحُرَّاساً معهم السلاح.. ثم سجنتَ نفسك عنهم فيها، وبعثتَ عمالك في جباية الأموال وجمعها.. وأمرتَ ألا يدخل عليك أحد من الرجال إلا فلان وفلان.. ولم تأمر بإيصال المظلوم ولا الملهوف، ولا الجائع العاري إليك، ولا أحد إلا وله في هذا المال حق..

فلما رآكَ هؤلاء النفر الذين استخلصتَهم لنفسك، وآثرْتهم على رعيتك؛ تجبي الأموال وتجمعها ولا تقسّمها؛ قالوا: هذا قد خان الله، فما لنا لا نخونه؟!.

فتآمروا على ألا يصل إليك من أخبار الناس شيء إلا ما أرادوا، ولا

يخرج أحدٌ يخالف أمرهم إلا خوَّنوه عندك وتخلَّصوا منه، فلما انتشر ذلك عنك وعنهم؛ عظَّمهم الناس وهابوهم ورشوهم، وكان أول من رشاهم عُمَّالُك بالهدايا والأموال؛ ليقووا بها على ظلم رعيتك، فامتلأت البلاد بالطمع بغياً وفساداً، وصار هؤلاء القوم شركاءك في سلطانك وأنت غافل..

فإذا جاء مظلوم حيل بينه وبينك، يشكو ويستغيث حتى إذا ظهرتَ صرخ بين يديك، فيُضرب ضرباً مبرحاً يكون نكالاً لغيره وأنتَ تنظر فما تُنكر..

وقد كنتُ يا أمير المؤمنين سافرتُ إلى الصين مرة وقد أُصيب ملِكُهم بفقد السمع، فبكى بكاء شديداً.. فحثَّه جلساؤه على الصبر..

فقال: أما إني لستُ أبكي للبلية النازلة، ولكني أبكي لمظلوم يصرخ بالباب فلا أسمع صوته.. ثم قال: **أما إذا قد ذهب سمعي فإن بصري لم يذهب؛ نادُوا في الناس ألا يلبس ثوباً أحمر إلا متظلِّم**.. ثم كان يركب الفيل طرفي النهار، وينظر في الشارع هل يرى مظلوماً؟!..

فهذا يا أمير المؤمنين مشرك بالله بلغتْ رأفته بالمشركين هذا المبلغ، وأنت مؤمن بالله من أهل بيت نبيِّه؛ لا ترأف بالمسلمين!..

فبكى المنصور ثم قال: ليتني لم أخلق! كيف أُصبح ونفسي؟!..

فقال: يا أمير المؤمنين! إن للناس أعلاماً يفزعون إليهم في دينهم، ويرضون بهم في دنياهم؛ فاجعلهم بطانتك يرشدوك، وشاورهم في أمرك يسدِّدوك.

❋ ❋ ❋

الليلة ١٢٠

هكذا يكون الورع

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الزهد: تركُ ما لا ينفع في الآخرة.

والورع: تركُ ما تَخافُ ضررَهُ في الآخرة.

وقال إبراهيم بن أدهم: الزهد ثلاثة أصناف: زهدُ فرضٍ، وزهدُ فضل، وزهدُ سلامة.

فزُهْدُ الفرض: هو الزهد في الحرام.

وزهْدُ الفضل: هو الزهد في الحلال.

وزهْدُ السلامة: هو الزهد في الشبهات.

كان عمر بن عبد العزيز إذا سمَرَ في أمر العامة أسرج من بيت مال المسلمين، وإذا سمَرَ في أمر نفسه أسرج من مال نفسه!..

فبينما هو ذات ليلة إذ ضعُف السراج، فقام إليه ليصلحه، فقيل له: يا أمير المؤمنين! إنا نكفيك.. فقال: أنا عمر حين قمتُ، وأنا عمر حين جلست.

فأين نحن من ورع عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؟!.

وأين نحن من تواضع عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وأرضاه؟!.

وقالت أختُ بشر الحافي لأحمد بن حنبل: إننا نغزل على سطوحنا، فيمرُّ بنا مشاعل الحرس (الأنوار التي يحملها الحرس)، فيقع شعاع نورها علينا؛ أفيجوز لنا الغزل في شعاعها؟.

فقال: من أنتِ عافاك الله؟.

قالت: أختُ بشر الحافي..

فبكى وقال: من بيتكم يخرج الورع الصادق؛ لا تغزلي في شعاعها..

يقول أبو الدرداء: إن من تمام التقوى أن يتقي العبد في مثقال ذرة حتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراماً، حتى يكون حجاباً بينه وبين النار.

روي أن أحد الصالحين كان يلبس مِنْ غزل زوجته، فلبس قميصاً جديداً ذات يوم، فشعر بحكة شديدة اضطر معها أن يخلع القميص.. فسأل زوجته كيف نسجتِ القميص؟ فذكرتْ أنها نسجتْ بعضاً منه على ضوء الشارع.. فتصدَّق به!..

تُرى أيّ ورع هذا الورع؟! تنسجُ القميصَ على ضوء الشارع؛ الضوء المباح لكلِّ الناس، فيخافُ أن يكون قد مسَّ القميص شيء من حرام!..

❊ ❊ ❊

الليلة ١٢١

عليكم بقيام الليل

هذا مطلع حديث يقول فيه الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام: «عليكم بقيام الليل؛ فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقربة إلى الله تعالى. ومنهاة عن الإثم، وتكفير للسيئات، ومطردة للداء عن الجسد»[١].

فهل أنت ممن يقومون الليل؟.

هل صليتَ ركعتين في جوف الظلام والناس نيام، وخلوت بالرحمن تناجيه؛ وتطلب من فضله العظيم، وتسأله عفواً لا سخط بعده؟..

يقول الإمام الثوري: «لقد حُرِمْتُ قيامَ الليل خمسة أشهر بذنبٍ أذنبْتُه».. فماذا نقول نحن؟!.

يقول أحدهم: «أهل الليل في ليلهم ألذُّ من أهل اللهو في لهوهم ـ أي: يتلذذون بقيام ليلهم أكثر مما يتلذذ أهل المعصية في معصيتهم ـ ولولا الليل ما أحببتُ البقاء في الدنيا».

وقيل للحسن: ما بال المتهجِّدين من أحسن الناس وجوهاً؟! فقال: لأنهم خلوْا بالرحمن، فألبسهمْ نوراً من نوره.

أليست هناك في الليل ساعة.. وأي ساعة؟..

يقول ﷺ: «إن في الليل لساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيراً؛ إلا آتاه إياه، وذلك كل ليلة»[٢].

كل ليلة يا رسول الله؟.. نعم في كل ليلة، ولكن كم من مضيِّع لتلك

---

(١) صحيح الجامع (٤٠٧٩).

(٢) رواه مسلم.

الساعات! وكم منّا من سهر الليل كله على الغناء والمسلسلات؛ في الإنترنت أو في الفضائيات؟!.

قال الضحاك: أدركتُ أقواماً يستحيون من الله في سواد هذا الليل من طول الضجعة!..

فهلّا ركعتين على الأقل في وقت الهجوع؟.

يقول ﷺ: «من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصلَّيا ركعتين جميعاً؛ كُتبا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات»[1].

يقول الحبيب المصطفى ﷺ: «أحبُّ الصلاة إلى الله صلاة داود؛ كان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه، وينام سدسه»[2].

فكيف تستعين على قيام الليل؟..

● لا تُكثر الطعام فقد كان أحدهم يقول: يا معشر المريدين! لا تأكلوا كثيراً، فتشربوا كثيراً، فتناموا كثيراً، فتخسروا كثيراً.

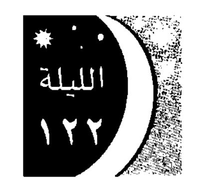
● ولا تترك قيلولة النهار ولو لدقائق معدودات فإنها تعين على قيام الليل.

● تذكّر فضل قيام الليل، وقدر محبة الله، وأثر تلك المناجاة عليك!..

❋ ❋ ❋

(١) رواه أبو داود، انظر: صحيح أبي داود.

(٢) رواه البخاري، ومسلم.



مناجاة في الليل

كانت **عزيزة أم أيمن بنت علي** تقول في مناجاتها لله ﷻ:

كيف لا أرغبُ في تحصيل ما عندك، وإليك مرجعي؟!.

وكيف لا أحبُّك، وما لقيت خيراً إلا منك؟!.

وكيف لا أشتاق إليك، وقد شوَّقتني إليك؟!.

وتقول أخرى في مناجاتها لرب العالمين: إلٰهي وسيِّدي! ما أضيقَ الطريق على من لم تكن دليلَه، وما أوحشَ خلوةَ من لم تكن أنيسَه!..

وتقول **بُرْدة** في سكون الليل: هدأتِ العيون، وغارت النجوم، وخلا كلُّ حبيب بحبيبه، وقد خلوْتُ بك يا محبوبي، أفَتُراكَ تعذِّبني وحبُّك في قلبي؟![1].

وكانت **نقيش بنت سالم** تقول: يا حبيبَ الأوَّابين! يا مَنْ لا يُكديه (يُفقره) الإعطاء! يا ذا المَنِّ والآلاء! زِدْني بالثقة منك وصالاً، واجعلْ قِرايَ (ضيافتك) عتقَ رقبتي، وأقررْ عيني برضاك..

ويقول **منصور بن عمار**: سمعتُ عابداً بالليل يناجي ربه ويقول: وعزتك وجلالك ما أردتُ بمعصيتي مخالفتَك، ولا التعرضَ لغضبك، ولكن زيَّنتْ لي نفسي، وغرَّني سِترُك لذنوبي، فعصيْتُك بجهلي؛ فالآن مَنْ مِنْ عذابك ينقذني؟! وبحبلِ مَنْ أَعتصمُ إنْ قطعتَ حبلكَ عني؟! وا سوأتاه من الوقوف بين يديك غداً!..

كانت **رابعة العدوية** تصلّي الليل كلَّه، فإذا طلع الفجر هجعت في

---

(١) صفة الصفوة: ٣٦/٤، ٣٣١.

مُصلاَّها هجعة خفيفة حتى يُسفر الفجر، وكانت تقول: يا نفسُ كم تنامين؟! وإلى كم تقومين؟! يوشِكُ أن تنامي نومةً لا تقومين منها إلاَّ لصرخة يوم النشور![١]..

وكانت **عجروة العمياء** تقوم الليل صلاةً حتى السحر، فإذا كان السَّحَر نادت بصوت لها محزون: إليك قطع العابدون دُجى الليالي (ظلمة الليالي)، يستبقون إلى رحمتك وفضلِ مغفرتك.. فَبِكَ يا إلٰهي لا بغيرك، أسألك أن تجعلني في أول زمرة السابقين إليك، وأن ترفعني إليك في درجة المقرَّبين، وأن تُلحقَني بعبادك الصالحين؛ فأنتَ أكرم الكرماء، وأرحم الراحمين.. ثم تخرُّ ساجدة، فلا تزال تبكي وتدعو في سجودها حتى يطلع الفجر، وكان ذلك دأبها ثلاثين سنة[٢].

❊ ❊ ❊

(١) صفة الصفوة: ٤/ ٣٠.

(٢) المرجع السابق نفسه.

الليلة ١٢٣

طوبى لأهل الفجر

فئة وفّقها الله وأكرمها في الدنيا قبل الآخرة؛ وجوههم مسفرة، وجباههم مشرقة، وأوقاتهم مباركة.. فإن كنت منهم فاحمد الله على فضله، وإن لم تكن فاسأل الله أن يجعلك منهم.

إنهم أهل الفجر.. قوم يحرصون على أداء صلاة الفجر في المساجد، يستفتحون بها نهارهم، تشهد لهم الملائكة، مَنْ أدَّاها في جماعة فكأنما صلّى الليل كله.. يقول رسول الله ﷺ: **«من صلّى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صلّى الصبح في جماعة فكأنما صلّى الليل كله»**[(١)].

المحافظة عليها من أسباب دخول الجنة، والوقت بعدها تنزل فيه البركة؛ يقول النبي ﷺ: **«اللهم بارك لأمتي في بُكورها»**[(٢)].

أهل الفجر: الذين أجابوا داعي الله وهو ينادي: (حي على الصلاة.. حي على الفلاح)... فسلام على هؤلاء القوم حين استلهموا (الصلاة خير من النوم)، واستشعروا معنى العبوّدية، فاستقبلتهم سعادة الأيام[(٣)]، قال ﷺ: **«بشِّرِ المشائين في الظُّلَم إلى المسجد بالنور التام يوم القيامة»**[(٤)].

يا أهل الفجر: لقد فزتم بعظيم الأجر؛ فلا تغبطوا أهل الشهوات والحظوظ العاجلة؛ فما عندهم ـ والله ـ ما يُغبطون عليه، بل بفضل الله وبرحمته فافرحوا..

يا أهل الفجر: هنيئاً لكم أن تتمتعوا بالنظر إلى وجه الله تعالى في

---

(١) أخرجه مسلم.

(٢) أخرجه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه.

(٣) أهل الفجر، صالح الخضيري، (بتصرف).

(٤) أخرجه الترمذي، وأبو داود.

الجنة؛ فالرسول ﷺ يقول: «إنكم سترون ربَّكم كمَا ترون هذا القَمرَ لا تُضامونَ في رؤيته.. فإن استطعتم ألا تُغلبوا على صلاةٍ قبل طلوع الشَّمسِ وقبلَ غروبها فافعلُوا» ثم قرأ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠][(١)].

يا أهل الفجر: ألا ترضون أن يذهب الناس بالأموال والزوجات، وترجعون أنتم بالنشاط والبركة في الأوقات، والفوز بالجنَّات؟!.

ألم يقل الرسول ﷺ: «لن يلج النار أحدٌ صلّى قبل طلوع الشمس، وقبل غروبها»[(٢)]؟! والمراد بهذا الحديث صلاة الفجر وصلاة العصر.

يا أهل الفجر: أنتم محفوظون بحفظ الله، أنفسكم طيبة، وأجسادكم نشيطة.. يقول ﷺ: «من صلَّى الصبح فهو في ذمة الله»[(٣)].

وقال ﷺ: «يعقد الشيطان على قافية رأسِ أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد، ويضرب على مكان كل عقدة: عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ وذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلّى انحلت عقدة؛ فأصبح نشيطاً طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان»[(٤)].

ألا فالْحق بأهل الفجر؛ لكي تكون في ذمة الله، ولتُكتب في ديوان الأبرار، وتحقق السعادة، وتمحى من صحيفة النفاق.. يقول النبي ﷺ: «ليس صلاةٌ أثقل على المنافقين من الفجرِ والعشاءِ، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً»[(٥)].

* * *

(١) أخرجه البخاري، ومسلم.
(٢) أخرجه مسلم.
(٣) أخرجه مسلم.
(٤) متفق عليه.
(٥) أخرجه البخاري، ومسلم.

الليلة
١٢٤

أعراس الجنة..

في يوم القيامة يقف العالَمُ بأكمله وقفة خوف ورجاء، وقفة ألم وأمل، وقفة تَحمِلُ دعاءً واحداً: «اللهم سلِّم، اللهم سلِّم». . وها هي أسماء الفائزين والفائزات تُعلن: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ﴾ [آل عمران: ١٨٥]. . ويدخل من فاز أرض الجنان. .

ينظر إلى الخيام اللؤلؤية المنصوبة على ضفاف الأنهار، ثم يرى قصراً مشيداً، وحوله فواكه كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة.

ومع هذا النعيم العظيم، تنتظر زوجة لتُزفَّ إلى زوجها: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن: ٥٦].

لو اطلعتْ إحداهن على الدنيا لملأت ما بين الأرض والسماء ريحاً وعطراً! جميلات خالدات كأنهن الياقوت.

يُبشَّر عندها المؤمن: أنْ أقبل، هذا قصرك، وبداخله زوجك تنتظرك منذ أن كنت في الدنيا، وتنطلق إليه في أجمل زفاف. .

يرون أنهار الجنان تتدفق من بينهم؛ أنهار من عسل مصفّى، وأنهار من خمر لذة للشاربين.

يقول ابن رجب في (لطائفه): إن الحور العين تقول للمؤمن وهو متكئ على نهر من العسل: أتدري يا حبيب الله متى زوجني الله إياك؟ فيقول: لا أدري. فتقول: نظر الله إليك في يوم شديد حرُّه وأنت صائم ظامئ، فباهى بك الملائكة وقال: انظروا يا ملائكتي إلى عبدي؛ ترك شهوته ولذته، وطعامه وشرابه؛ رغبة فيما عندي، أشهدكم أني قد غفرتُ له. . فغفر لك يومئذٍ وزوَّجني إياك. .

فهذا زُفَّت إليه عروسه لصيامه، وآخر لخشيته ربه، تُزَفُّ العروس للذين هم للقرآن تالون، وللذين هم في صلاتهم خاشعون، وللذين هم لفروجهم حافظون؛ وللذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش، وللمستغفرين بالأسحار.. تُزَفُّ للشهداء والصدِّيقين، لمن حَسُن خُلقه، وكظم غيظه.. فمَنْ منّا يرفض تلك العروس؟!.

محرومٌ مَنِ انتهك الأعراض بالزنى، وحرم نفسه غناء الأشجار مع زوجته في أرض الجنان[1]..

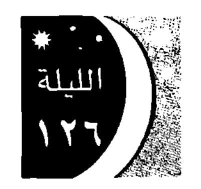
ومحروم مَنِ ارتكب الفواحش، وحارب الله في الدنيا.. مَنْ قضى دنياه في العبث والمجون، مَنْ ضيّع أيامه في اللهو والفجور؛ أفلام ومسلسلات، سهرات ورقصات، خمور وكؤوس!..

تُرى ماذا تُسمُّون من يبيعُ الحورَ العين بلذة عابرة أو نشوة زائلة؟!..

❋ ❋ ❋

---

(١) صفقات غالية، (بتصرف).



مَنْ هو الرَّقوب؟

يسأل الرسول ﷺ أصحابه: «ما تعدُّون الرَّقوب فيكم؟» فقالوا: الذي لا يولد له!.

قال عليه الصلاة والسلام: «ليس ذاك بالرقوب، ولكنه الرجل الذي لم يقدِّم من ولده شيئاً»[(١)].

يقول الإمام النووي:

«ومعنى الحديث: أنكم تعتقدون أن الرقوب: المحزون، وهو المصاب بموت أولاده، وليس هو كذلك شرعاً، بل هو: **من لم يمت أحدٌ من أولاده في حياته فيحتسبه**، فيكتب له ثواب مصيبته به، وثواب صبره عليه»[(٢)].

فمن مات له ولد فليصبر على ذلك، وليحتسب الأجر عند الله، فإن أجره عظيم؛ فالرسول ﷺ يقول: «**لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار، إلا تحلَّة القسم**»[(٣)].

أي: ما ينحلُّ به القسم. وهو اليمين. **وتحلة القسم**: قول الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]، أي: المرور فقط على الصراط.

وقال عليه الصلاة والسلام: «**لا يموت لإحداكنَّ ثلاثة من الولد فتحتسبه إلا دخلت الجنة**»، فقالت امرأة منهن: أو اثنين يا رسول الله؟ قال: «أو اثنين»[(٤)].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) شرح النووي لصحيح مسلم: ٨/ ٤١٠.

(٣) متفق عليه.

(٤) رواه مسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: أتت امرأةٌ النبيَّ ﷺ بصبيٍّ لها فقالت: يا نبي الله! ادع الله لي فلقد دفنتُ ثلاثة، قال: «دفنتِ ثلاثة؟» قالت: نعم، قال: «لقد احتظرتِ بحظار شديد من النار»[1].

فمن مات له ولد ـ لا سمح الله ـ فليتذكّر قصة ذلك الغلام في سورة الكهف. . .

ألم يكن في موت الغلام راحة للأبوين، وإبدالهما ولداً صالحاً يُسعِدُ أبويه، ويكون خيراً ورحمة عليهما؟!: ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ [الكهف: ٨٠ ـ ٨١].

يقول عليه الصلاة والسلام: «إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول الله: ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة، وسمُّوه بيت الحمد»[2].

❋ ❋ ❋

---

(١) رواه مسلم. «لقد احتظرت بحظار شديد من النار»، أي: امتنعت بمانع وثيق.

(٢) رواه الترمذي.

الليلة
١٢٧

العفة تـاج !..

تذكّري يا أختاه: أن أجمل تاج تضعينه على رأسك هو العفة، وأجمل لغة تتكلم بها عيناك هي الصدق، وأجمل صورة يتزين بها وجهك هي الحشمة، وأجمل عقد تزينين به جِيدك هو التواضع، وأجمل عطر تتعطرين به هو عطر البرِّ للوالدين والإحسان.

يروي أحد الشباب قصة صديق له من الشباب العابث، ومن أصحاب العلاقات المشبوهة مع النساء..

أتى هذا الشاب العابث يزور صديقه، فسأله: لماذا لم تضع سيارتك أمام بيتي؟ قال: معي صديقة جديدة! وهي طالبة في المدرسة، أخذْتُها في بداية الدوام، وأنا أنتظر حتى يحين وقت الانصراف ويرنَّ الجرس فأُنزلها أمام المدرسة، فتركب الباص وكأنها خرجتْ من المدرسة..

قال الشاب: استأذنتُ منه وكأني داخل إلى منزلي، فخرجتُ من الخلف متوجهاً إلى السيارة، فإذا بداخلها فتاة في الخامسة عشرة من عمرها..

قلت لها: ما الذي جاء بك إلى هنا؟.

قالت: إن فلاناً يحبني ووعدني بالزواج.

قلتُ لها: تأملي جيداً ما أقول؛ فرغم أن صاحبك هو صديقي إلا أن ذلك لا يمنعني أن أُخلص في نصيحتي لك؛ تذكَّري الثقة التي أولاك إياها أهلك، تذكَّري شناعة الأمر الذي تقومين به.. اعلمي جيداً أنك على خطر، وأن صديقي لا يفكّر أدنى تفكير في أن يتزوجك؛ **لأننا نحن الشباب إذا وجدنا مَنْ هي مثلك لا نفكّر فيها زوجة أبداً؛ لأن التي خرجت مع شاب**

غريب عنها، وخرقت ستر أهلها ليست أهلاً أن تكون زوجة، بل لعلّها تمارس هذا الفعل مع شخص آخر!..

وجاءني صاحبي مرة أخرى فقلتُ: هل هي معك هذه المرة أيضاً؟ قال: نعم.. قال: فخرجتُ إليها وقلتُ لها: إنك لم تفهمي ما قلت لك في المرة الأولى.. إنه سيأخذ منك ما يريد، وسيلقيك على حافة الطريق تتأوهين من الألم والفضيحة والعار..

وذات يوم أرسلتْ له هذه الفتاة رسالة مع صديقتها؛ تقول فيها: «إنني أشكرك على نصيحتك الغالية، وفعلاً كاد أن يحصّل ما قلته لي.. فعندما خرجت مع ذلك «الوغد» في المرة الأخيرة: حاول أن يأخذ مني أَعزّ ما أملك، فبكيتُ وتوسلتُ أن يعيدني، وبعد إلحاح وبكاء.. أرجعني إلى مدرستي التي أخذني منها.. كدتُ أن أفقد شرفي، كدت أن أقع ضحية تلك اللعبة الدنيئة وأن أضع رأسي ورؤوس أهلي في الوحل.. ولكن الله سلَّم!»..

❁ ❁ ❁

الليلة ١٢٨

خالق الناس بخُلُقٍ حسن

لو أن مديرك في العمل، أو في المؤسسة سلَّم عليك، ومدَّ يده ليصافحك، ثم أتى خادمك أو فرَّاش (كنَّاس) المؤسسة ومدَّ يده ليصافحك؛ أتُراك تسلِّم عليهما بنفس الطريقة والحفاوة؟..

اسأل نفسك هذا السؤال: لماذا نبشُّ في وجه المدير أو المسؤول ونتودد إليه، ثم إذا كان من هو دوننا عاملناه بخشونة وقساوة؛ نُصدر الأوامر له وكأنه قد خُلق لخدمتنا فقط؟! ألم يقل الرسول ﷺ: «**إن من أحبكم إليَّ، وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة؛ أحاسنكم أخلاقاً**»[1]؟!.

ولما سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يُدخل الناس الجنة، قال: «**تقوى الله، وحُسن الخلق**»[2].

فلماذا نتكبّر على الناس؟! ولماذا نستعبد السائق والخادمة والعمَّال والكنَّاسين والخُدَّام؟!.

لماذا يرمي البعض منّا بعلبة الكولا الفارغة أو بكيس البطاطس في الشارع أو في الحديقة أو على شاطئ البحر؟! ألا يعلم أن هناك من سوف يقوم بجمع هذه القاذورات من خلفه، ومَنْ قد تأذى مِنْ صُنع البعض منّا؟!.

ثم لماذا تجد الشوارع في أمريكة وأوروبة ـ بل في **ماليزيا المسلمة** ـ نظيفة، وشوارعنا ملأى بمخلَّفاتنا وأوساخنا؟!.

أعرف رجلاً كان يشغل منصباً مرموقاً، وله وجاهة بين الناس.. كان له مجلس ما بين المغرب والعشاء يرتاده العشرات من الناس في كل ليلة!..

---

(١) رواه الترمذي، وقال: حديث صحيح.

(٢) رواه الترمذي، وقال: حديث صحيح.

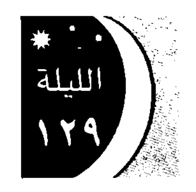
ومرَّت السنون، وتقاعد ذلك الرجل من منصبه، فانفضَّ الناس من حوله، وأصبح المجلس الذي كان يزدحم بالناس خاوياً على عروشه!.. وأصبح الرجل وحيداً يشتهي أن يُزار مرة في الأسبوع، بل مرة في الشهر؛ فلا يُزار!.

أدرك عندها أنه قد كسب الناس بمنصبه لا بأخلاقه وحُسن معاملته، فلما زال ذلك المنصب انفضَّ الناس إلى سواه.

فلا تجعل الناس تتعلق بك لأنك ذو شأن بين الناس، اجعلهم يحبونك لحُسن خلقك، ولحُسن معاملتك..

وهكذا يكون الرجل في بيته؛ فلا تجعل زوجتك وأولادك يحبونك للمال الذي تُغدقهُ عليهم.. اجعلهم يحبونك لأنك أب حقيقي يعيش مع زوجه وأبنائه؛ يتعرف على مشاكلهم، يعيش همومهم، يسعد بصحبتهم، ويفرح بلقائهم..

❋ ❋ ❋



مَنْ لم يعرف نعمة الله عليه

الشكر من أعلى المنازل وأرقى المقامات، وهو نصف الإيمان، فالإيمان نصفان؛ نصف شكر ونصف صبر.

والشكر مبني على خمس قواعد:

الأولى: خضوع الشاكر للمشكور.

الثانية: حبّه له.

الثالثة: اعترافه بنعمته.

الرابعة: ثناؤه عليه بها.

الخامسة: ألا يستعمل النعمة فيما يكره المنعم.

وليست النعم مقصورة على الطعام والشراب فحسب كما يظن كثير من الناس، بل هي كثيرة لا تُحصى؛ فكل حركة من الحركات، وكل نَفَس من الأنفاس؛ لله تعالى فيه نِعَمٌ لا يعلمها إلا هو سبحانه.

قال أبو الدرداء ﵁: **من لم يعرف نعمة الله عليه إلا في مطعمه ومشربه، فقد قلّ علمه وحضر عذابه.**

ولذلك ذُكر أن شكر العامة: يكون على المطعم والمشرب والملبس وقوة الأبدان!..

وشكر الخاصة: على التوحيد والإيمان وقوت القلوب!..

قال رجل لأبي تميمة: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت بين نعمتين لا أدري أيتهما أفضل: ذنوب سترها الله، فلا يستطيع أن يعيّرني بها أحد، ومودة قذفها الله في قلوب العباد لا يبلغها علمي.

وقالت عائشة رضي الله عنها: **ما من عبد يشرب الماء القراح ـ الصافي ـ فيدخل بغير أذى، ويخرج بغير أذى؛ إلا وجب عليه الشكر.**

يحكى أن أعرابياً دخل على الرشيد فقال: يا أمير المؤمنين! ثبّت الله عليك النعم التي **أنت فيها؛ بإدامة شكرها**، وحقق لك النعم التي **ترجوها؛ بحُسن الظن به ودوام طاعته**، وعرّفك النعم التي **أنت فيها ولا تعرفها؛ لتشكرها**.

فأعجب الرشيد بكلامه.

ولذلك قال النبي ﷺ: «**إذا نظر أحدكم إلى من فُضّل عليه في المال والخُلق؛ فلينظر إلى مَنْ هو أسفل منه ممن فَضُل عليه**»[1]. وفي رواية: «**انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم؛ فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم**»[2].

وقال النبي ﷺ: «**إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها**»[3].

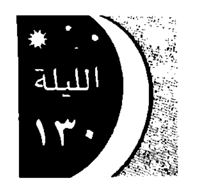
* * *

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه الترمذي.

(٣) رواه مسلم.



خصلتان يحبهما الله ورسوله

جلس الأشج بن عبد قيس مرة عند رسول الله ﷺ، فقال له عليه الصلاة والسلام: **«إن فيك لخصلتين يحبهما الله ورسوله»**.

فما هما تلك الخصلتان يا رسول الله؟ هل هما صيام الدهر، وقيامُ الليلِ دون نوم؟..

لا.. ثم لا.

استبشر الأشج رضي الله عنه وقال: ما هما يا رسول الله؟ قال: **«الحِلْمُ والأناة»**[١].

ألم يقل الرسول ﷺ: **«إن الرجل ليبلغ بحُسن خلقه درجة قائم الليل وصائم النهار»**[٢]؟!.

فصاحب الخُلُق الحسن فائز في الدارين؛ يربح الدنيا بكسب قلوب الناس، ويربح الآخرة، لأن رسول الله ﷺ بشَّره بذلك فقال: **«ما شيء أثقل في الميزان من حُسن الخلق»**[٣].

وقال أيضاً: **«أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، الموطؤون أكنافاً[٤]، الذين يألفون ويؤلفون، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف»**[٥].

جلست أم سلمة رضي الله عنها مع رسول الله ﷺ، فتذكرت الآخرة، فقالت:

---

(١) رواه مسلم، وأحمد.

(٢) رواه الترمذي، وقال: حديث صحيح.

(٣) رواه الترمذي.

(٤) أي: الذين جوانبهم وطيئة يتمكن فيها من يصاحبهم ولا يتأذى (انظر: فيض القدير: ٣/ ٤٦٤).

(٥) رواه الطبراني في الأوسط.

يا رسول الله! المرأة يكون لها زوجان في الدنيا، فإذا ماتت وماتا ودخلوا جميعاً الجنة؛ فلمن تكون؟.

فماذا قال الحبيب المصطفى ﷺ؟ هل تكون لأكثرهما مالاً وعلماً؟ أم لأكثرهما عبادة وفضلاً؟ كلا! ولكن قال: «**تكون لأحسنهما خُلُقاً**».

فتعجبت أم سلمة رضي الله عنها، ولما رأى دهشتها قال عليه الصلاة والسلام: «**يا أم سلمة! ذهب حُسْنُ الخلق بخير الدنيا والآخرة**»(١).

ألا نعلم حال تلك المرأة التي ذُكرت للرسول عليه الصلاة والسلام أنها تصلّي وتصوم وتتصدق و.. ولكنها تؤذي جيرانها بلسانها (أي: إنها سيئة الخلق)، فقال عليه الصلاة والسلام: «**هي في النار**»(٢)؟!.

تعالوا نَدْعُ بدعاء الرسول ﷺ عندما ينظر في المرآة: «**اللهم حسِّن خُلُقي، كما حسَّنتَ خلقتي**»(٣).

ولنَدْعُ دوماً الدعاء الذي كان عليه الصلاة والسلام يدعو به: «**اللهم اهدني لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها، لا يصرف عني سيئها إلا أنت**»(٤).

❋ ❋ ❋

---

(١) رواه الطبراني.
(٢) رواه الحاكم، وأحمد، وابن حبان.
(٣) رواه الطبراني.
(٤) رواه مسلم.

الليلة ١٣١

نادى... فاستجبنا

الله ﷻ يبتلي العبد ليسمع تضرعه ودعاءه، ويسمع أنينه وشكواه، فيكشف عنه ضُرَّه ويجزيه خير جزاء...

ألم ينادِ يونس ﵇ ـ وهو في بطن الحوت ـ أن يكشف الله ضرَّه؟! فماذا كان الجواب؟.. ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ﴾.

قال تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧ ـ ٨٨].

قال تعالى: ثم ألم ينادِ أيوبُ ﵇ ربَّه بأدب واستحياء: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾؛ فماذا كان الجواب؟.

﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٨٣ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖ﴾ [الأنبياء: ٨٣ ـ ٨٤].

وكذلك استجاب الله تعالى لنوح ﵇ فيما دعاهُ: ﴿وَنُوحًا إِذۡ نَادَىٰ مِن قَبۡلُ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الأنبياء: ٧٦].

وهذا يعقوب ﵇ يشكو مُصَابه ـ بابنه يوسف ﵇ وأخيه ـ إلى الله وحده، ويقول: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦].

وهذا خير البرية ﷺ.. يطرده سفهاء أهل الطائف، ويرميه الأطفال بالحجارة، وتُدمى قدماه.. فيتوجه إلى ربه بهذا الدعاء الذي يفيض إيماناً ويقيناً، ورضاً بما ناله في سبيل الله، واسترضاءً لله..

يقول عليه الصلاة والسلام: «اللهمَّ إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين! أنت ربُّ المستضعفين

وأنت ربي، إلى مَنْ تكلني؟ إلى بعيد يتجهَّمني؟! أم إلى عدو ملَّكتَه أمري؟!.

إن لم يكن بك عليَّ غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تُنزل بي غضبك، أو يحلَّ عليَّ سخطك، لك العتبى[١] حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بالله»[٢].

فماذا كان الجواب؟..

أتاه جبريل وقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردُّوا عليك، وقد بعث الله إليك مَلَك الجبال لتأمره بما شئت فيهم.. فناداه مَلك الجبال وقال: إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين (وهما جَبَلا مكة) لفعلْت..

قال عليه الصلاة والسلام: «بل أرجو أن يُخرج الله ﷿ من أصلابهم من يعبد الله ﷿ وحده، لا يشرك به شيئاً»[٣].

❀ ❀ ❀

(١) **العتبى**: الاسترضاء.

(٢) رواه ابن إسحاق. انظر: السيرة النبوية، للدكتور محمد محمد أبو شهبة: ١/٤٠١.

(٣) رواه البخاري.

الليلة ١٣٢

« فمن عفا وأصلح »

سمع الإمام أحمد بن حنبل وهو في سكرات الموت رجلاً يصيح على باب داره، فإذا به رجل مسنّ يبكي بكاء النساء، ويقول للإمام أحمد: لقد كنتُ واحداً ممن قام بتعذيبك في محنة خلق القرآن في عهد المعتصم، وإني أتيتك الآن راجياً العفو والسماح.

فإذا بالإمام أحمد يدعو الله أن يغفر لهذا الرجل الذي آذاه قبل سنين طوال! . .

سأله ابنه: كيف تستغفر الله له وقد عذَّبك أشدَّ العذاب؟!.

فقال الإمام أحمد: ماذا ينفعكَ أن يُعذَّبَ أخوك بسببك؟! ألا تعلم قول الله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠]؟! ألا تعلم أنه إذا كانت القيامة، وجثت الأمم بين يدي رب العالمين، نودوا: ليقم من كان أجره على الله. . **فلا يقوم إلا من عفا في الدنيا، وإني لأرجو أن أكون واحداً منهم!** . .

يقول حكيم: لذَّة العفو أطيب من لذَّة التشفي؛ لأن لذة العفو يتبعها حمد العاقبة، ولذة التشفي يتبعها غمّ الندامة.

يقول أحدهم: من لم يقبل التوبة عظمت خطيئته، ومن لم يُحسن إلى التائب قبحت إساءته.

فإذا أتاك من يعتذر إليك عن إساءة فَعَلها، أو خطأ ارتكبه؛ فاقبل معذرته، وسامحه في الدنيا قبل الآخرة، وتذكّر قول الله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾.

قال سعيد بن المسيب: لأن يخطئ الإمام في العفو، خير مِنْ أن يخطئ في العقوبة.

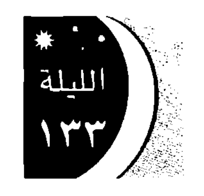
وقال أحدهم: لا ينبل الرجل حتى يكون فيه خصلتان: الغنى عمّا في أيدي الناس، والتجاوز عمّا يكون منهم.

يقول الإمام الشافعي:

لـمَّا عـفـوتُ ولـم أحـقـدْ عـلـى أحـدٍ ... أرحْـتُ نـفـسـيَ مـن هـمِّ الـعـداواتِ

❋ ❋ ❋





ما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه

«ما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه» حديث لرسول الله ﷺ رواه مسلم.. ثم ألم يجعل الله ﷻ ذلك من صفات عباد الرحمن؟! قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

ألم يجعل الله الجنة للمتقين الذين لا يريدون علوّاً في الأرض ولا فساداً؟!:

قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣].

ثم يخبرنا رسول الله ﷺ أن الله قد حرَّم الجنة على من كان في قلبه كِبْرٌ على الناس؛ يقول عليه الصلاة والسلام: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً، ونعله حسنة؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «إن الله جميل يحب الجمال.. الكبر بطر الحق، وغمط الناس»(١).

فليس من الكبر أن تلبس الثياب الجميلة وتظهر بالمنظر الحسن، فالله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨].

وقال عليه الصلاة والسلام: «إن الله أوحى إليَّ: أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد»(٢).

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

وأعظم مَنْ تواضع في الوجود نبيّنا محمد ﷺ؛ كان يجيب دعوة المملوك، ويركب بغلَته، وتستوقفه الأمَةُ والمملوك.. ولما دخل مكة فاتحاً على رأس جيشه، دخل ساجداً على ظهر دابته تواضعاً لله.

رآه رجل فخاف منه وامتلأ قلبه رعباً، فقال له: «هوِّن عليك! أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد»[1].

قال عبد الملك بن مروان: أفضل الناس مَنْ تواضعَ عن رفعة، وزَهِدَ عن قدرة، وأنصفَ عن قوة.

وقال الفضيل بن عياض: **التواضع: أن تخضع للحق وتنقاد إليه**، ولو سمعْتَهُ من صبي قبِلْتَه، ولو سمعْتَهُ من أجهل الناس قبلْتَه..

* * *

(١) رواه الحاكم، وقال: صحيح على شرط الشيخين.

الليلة
١٣٤

الجأ إلى الله

ما أعظم ذلك الشعور بالطمأنينة الذي خصَّ الله به المؤمنين عندما علموا أن لهم ربّاً رحيماً؛ فرفعوا إليه الأكف يدعون ويبتهلون!..

وما أعظم حرمان أولئك المساكين الذين يطرقون أبواب الخلق، وينسون باب خالقهم ومولاهم حتى يطردهم أهل الدنيا!.

● فهذا شاب صغير السن هداه الله.. وكان بيته مليئاً بالمنكرات والمعاصي، وكان أبوه لا يعرف القبلة!..

أراد أن يدعوه إلى الله فلم يستجب له أبوه، أتى إلى إمام المسجد يبكي عنده ويقول: إن أبي يعصي الله ولا يعرف الصلاة، وقد حاولتُ دعوته فلم يستجب لي؛ فماذا أفعل؟.

قال: إذا كنتَ في الثلث الأخير من الليل فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم صلِّ لله ركعتين، **ثم ادعُ الله ﷻ أن يهدي أباك**.. فكان الشاب يفعل هذا كل ليلة.

وفي إحدى الليالي قام هذا الصغير يصلّي في الليل.. دخل الأب المنزل بعد قضاء ليلة حمراء مع شلَّته، دخل والناس نيام، فسمع صوت بكاء في إحدى الغرف، اقترب منها.. فإذا بابنه الصغير يبكي.. دنا منه ليسمع ما يقول؛ كان الغلام رافعاً يديه إلى الله ﷻ وهو يدعو: اللهمَّ اهدِ أبي، اللهمَّ اشرح صدر أبي ليتوب، اللهمَّ نوِّر قلب أبي بنور الإيمان.

انتفض الأب لمَّا سمع هذا الكلام واقشعرَّ جلده!.. خرج من الغرفة فاغتسل، ثم رجع والابن على حاله.. وقف يصلّي إلى جانب ابنه ورفع يديه، والابن يدعو: اللهمَّ اهدِ أبي.. والأب يقول: آمين. فلما انقضت

الصلاة التفت الابن فإذا أبوه يبكي، فحضنه وظلّا يبكيان حتى الصباح!..

● مشى أحد الصالحين يوماً في إحدى الحارات، فوجد صبيّاً يبكي وأمه تضربه، ثم أخرجَتْه من الدار وأغلقت الباب في وجهه!..

جعل الصبي يتلفَّتُ يميناً وشمالاً؛ لا يدري أين يذهب! رجع إلى باب داره، وأخذ يبكي وينادي: أماه! مَنْ يفتحُ لي بابه إذا أغلقتِ بابَكِ دوني؟!..

مَنْ يُدنيني من رحمته إذا طردْتِني من رحمتك وحنانك؟!..

مَنْ يرضى عني إذا غضبتِ عليَّ؟!.

نظرتْ أمه من ثقب الباب، فوجدتِ الدموعَ تجري من عينيه، فرقَّ قَلبُها له.. فتحتِ الباب، وضمَّتْ ولدها إليها وهي تقول: ولدي! قرة عيني! أنتَ الذي فعلتَ بنفسك هذا، أنتَ الذي عرَّضتَ نفسك لهذا، لو أطعتَني لم تلقَ مكروهاً أبداً!..

فبكى ذلك الرجل وقال: اللهُ أرحمُ بعباده من هذه الوالدة بابنها..

❋ ❋ ❋

الليلة
١٣٥

السماء لا تُمطر ذهباً

● **الأنبياء يعملون:**

كان الأنبياء يعملون، ويأكلون من عمل أيديهم..

فقد كان داود عليه السلام حدّاداً يصنع الدروع، ويأكل من عمل يده، وكان إدريس عليه السلام خياطاً، وكان زكريا عليه السلام نجاراً، وكان موسى عليه السلام أجيراً يرعى الغنم، وكان محمد ﷺ يرعى الغنم على قراريط لأهل مكة.

● **وكذلك كان الصحابة رضي الله عنهم يعملون:**

كان أبو بكر رضي الله عنه تاجراً، ولما تولّى الخلافة خرج إلى السوق، فقال له عمر رضي الله عنه: أين تذهب يا أمير المؤمنين؟ فأجابه: أسعى لأُطْعِمَ عيالي..

فقال عمر: أنت اليوم **أجيرُ المسلمين**.. فكلْ من بيت المال.

نعم.. أمير المؤمنين أجيرُ المسلمين! ولّاه الله شؤون الناس فاستحق على ذلك أن يأكل من بيت مال المسلمين.. يأكل من بيت المال ويُطعمُ عياله.. ليس أكثر!.

وكان عمر رضي الله عنه تاجراً، وكان دلّالاً يسعى بين البائع والمشتري، ويقول: إني لأكره أحدكم سبهللاً (أي: فارغاً) يروح ويغدو في غير شيء، ولا يقعد أحدكم عن طلب الرزق وهو يعلم **أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة**.

وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يسقي بالدلو، وكان عمرو بن العاص رضي الله عنه جزاراً، وكان سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يبري النبل، وكان الزبير بن العوام رضي الله عنه خياطاً.

مرَّ رجل على النبي ﷺ وأصحابه، فرأى الصحابةُ جدَّه ونشاطه، فقالوا: يا رسول الله، لو كان هذا في سبيل الله!.. فقال رسول الله ﷺ:

«إن كان خرج يسعى على ولده صغاراً فهو في سبيل الله..

وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله..

وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفُّها فهو في سبيل الله..

وإن كان خرج يسعى رياءً ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان»[(١)].

والمسلم لا يتوقف عن العمل مهما كانت الظروف، فالرسول عليه الصلاة والسلام يقول: «إذا قامت القيامة، وفي يدِ أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها، فليغرسها»[(٢)].



* * *

(١) رواه الطبراني في الثلاثة. قال الهيثمي: ورجال الكبير رجال الصحيح.

(٢) رواه أحمد.

الليلة ١٣٦

إلَّا أذهب الله عَزَّ وَجَلَّ همّه

إذا أصابك همٌّ أو حُزن أو كرب؛ فارفع أكفَّ الضراعة إلى مولاك، وتوجه إليه بقلب منكسر بأحد الأدعية التي علَّمنا إياها رسول الله ﷺ؛ فقد قال ﷺ: «ما أصاب عبداً همٌّ ولا حزنٌ فقال:

اللهمَّ إني عبدك وابن عبدك وابن أمَتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حكمك، عدلٌ فيَّ قضاؤك، أسألك بكلِّ اسم هو لك سَميتَ به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علَّمته أحداً من خلقك، أو استأثرتَ به في علم الغيب عندك: أن تجعل القرآن الكريم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي..

إلا أذهب الله عَزَّ وَجَلَّ همَّه، وأبدله مكان حزنه فرحاً».

قالوا: يا رسول الله! أينبغي لنا أن نتعلم هؤلاء الكلمات؟ قال: «أجل، ينبغي لمن سمعهنَّ أن يتعلمهن»(١).

فإن لم تحفظ هذا فقل: «لا حول ولا قوة إلا بالله»؛ فالرسول ﷺ يقول: «من قال: لا حول ولا قوة إلا بالله؛ كان دواءً من تسعة وتسعين داءً؛ أيسرها: الهمّ»(٢).

أو لعلّك تردد كلمات بسيطة علَّمها رسول الله ﷺ لأسماء بنت عميس رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عندما قال: «ألا أعلِّمكِ كلماتٍ تقولينهنَّ عند الكرب، أو في الكرب: الله الله ربي، لا أشركُ به شيئاً»(٣).

---

(١) رواه أحمد، والبزّار، وابن حبان في صحيحه.

(٢) رواه الطبراني، والحاكم. قال المنذري: صحيح الإسناد.

(٣) رواه أبو داود، والنسائي، وابن ماجه.

وكان النبي ﷺ إذا كَرَبَه أمْرٌ قال: «**يا حيُّ يا قيوم! برحمتك أستغيث**»(١).

وروى أبو داود: أن رسول الله ﷺ قال: «**دعوات المكروب: اللهمَّ رحمتك أرجو، فلا تَكِلْني إلى نفسي طرفة عين، وأصلحْ لي شأني كله، لا إلٰه إلا أنت**»(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «**دعوة ذي النون إذ دعا ربه وهو في بطن الحوت: لا إلٰه إلا أنت سبحانك إني كنتُ من الظالمين.. فإنه لم يَدْعُ بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له**»(٣).

وأخيراً املأ قلبك ببذور الإيمان، وحبّ الله ورسوله ﷺ.. فإن شجرة قلبك لن تنتج الثمار الطيبة، والأعمال المباركة، ما لم تكن تربة قلبك تربة صالحة.

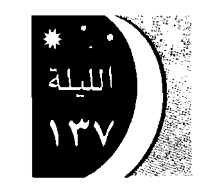
❋ ❋ ❋

---

(١) رواه الحاكم، وقال: صحيح الإسناد.

(٢) رواه أبو داود.

(٣) رواه الترمذي.



يا أبا ذر !..

أحاديث جميلة خاطب بها الرسول ﷺ أبا ذر رضي الله عنه:

● قال ﷺ: «يا أبا ذر! أترى أن كثرة المال هو الغنى؟» قال: نعم يا رسول الله! قال ﷺ: «إنما الغنى غنى القلب، والفقر فقر القلب، من كان الغنى في قلبه؛ فلا يضره ما لقي من الدنيا، ومن كان الفقر في قلبه؛ فلا يغنيه ما أُكثر له في الدنيا، وإنما يضرُّ نفسَه شحُّها»[(١)].

● وقال ﷺ: «يا أبا ذر! ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟» قال: بلى يا رسول الله! قال: «لا حول ولا قوة إلا بالله»[(٢)].

● وقال أبو ذر: يا رسول الله! ذهب أصحاب الدثور بالأجور، يصلُّون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ولهم فضول أموال يتصدقون بها وليس لنا مال نتصدق به...

فقال ﷺ: «يا أبا ذر! ألا أعلمك كلمات تقولهنَّ، تلحق مَنْ سبقك، ولا يدركك إلا من أخذ بعملك؟ تُكبِّر دُبُرَ كل صلاة ثلاثاً وثلاثين، وتسبِّح ثلاثاً وثلاثين، وتحمد ثلاثاً وثلاثين، وتختم بِـ: لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير.. من قال ذلك غُفرتْ له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر»[(٣)].

● وقال ﷺ: «يا أبا ذر!» قلتُ: لبيك يا رسول الله! قال: «إن العبد المسلم ليصلّي الصلاة يريد بها وجه الله، فتهافت (أي: تتساقط) عنه ذنوبه، كما يتهافت هذا الورق عن هذه الشجرة»[(٤)].

---

(١) صحيح الجامع (٧٨١٦).
(٢) صحيح الجامع (٧٨٢٠).
(٣) صحيح الجامع (٧٨٢١).
(٤) صحيح الترغيب، للألباني (٣٨٤).

● وقال أبو ذر: إني كنت سابتت رجلاً وكانت أمه أعجمية، فعيَّرْتُه بأمه، فشكاني إلى رسول الله، فقال ﷺ: «**يا أبا ذر! أعيَّرتَه بأمه؟! إنك امرؤ فيك جاهلية! إخوانكم خوَلكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلِّفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم**»[١].

● وسأل أبو ذر مرةً رسول الله ﷺ: ألا تستعملني؟ (أي: يسلّمه الولاية)، قال: فضرب بيده على منكبي.. ثم قال: «**يا أبا ذر! إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها وأدَّى الذي عليه فيها**»[٢].

● وقال أبو ذر: يا رسول الله! الرجل يحبُّ القوم ولا يستطيع أن يعمل كعملهم؟ قال: «**يا أبا ذر! أنت مع من أحببت**».

قال: فإني أحب الله ورسوله. قال: «**فإنك مع مَنْ أحببت**» قال: فأعادها أبو ذر.. فأعادها رسول الله ﷺ[٣].

* * *

---

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه أبو داود.

الليلة ١٣٨

أين متاعكم؟

● دخل رجل على أبي ذر ﷺ فجعل يقلّب بصره في بيته! فقال: يا أبا ذر! أين متاعكم؟.

قال أبو ذر ﷺ: **إن لنا بيتاً نوجِّه إليه صالحَ متاعنا!** (أي: إن بيتنا في الجنة إن شاء الله نبنيه بصالح الأعمال!).

قال: لا بدَّ لك من متاع ما دمتَ هاهنا!.

قال أبو ذر ﷺ: إن صاحب المنزل لا يدعنا فيه! أليس صاحب المنزل (أي: الدنيا) هو الله؟!.

ألم يقل الله تعالى: ﴿إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ﴾ [غافر: ٣٩]؟!.

ويقول ﷺ: «**ما لي وللدنيا! إنما مثلي ومثل الدنيا كراكب قالَ** (أي: نام.. من القيلولة) **في ظل شجرة، ثم راح وتركها**»[١].

● دخلتْ على عمر بن عبد العزيز عمَّةٌ له، وعاتَبَتْهُ على قطع ما كان يجريه عليها أسلافه من عطايا، فوجدت بين يديه أقراصاً وشيئاً من ملح وزيت، وهو يتعشَّى، فقالت: يا أمير المؤمنين! أتيتُ لحاجة لي، ثم رأيتُ أن أبدأ بك قبل حاجتي.

قال: وما ذاك يا عمّة؟..

قالت: لو اتخذْتَ لك طعاماً ألينَ من هذا!..

قال: ليس عندي يا عمّة، ولو كان عندي لفعلت!..

---

(١) رواه الترمذي، وأحمد.

قالت: يا أمير المؤمنين! كان عمّك عبد الملك يُجري لي كذا وكذا، ثم كان أخوك الوليد فزادني، ثم كان أخوك سليمان فزادني، ثم وُليتَ أنت فقطعتَه عني!.

قال: يا عمّة إن عمي عبد الملك وأخي الوليد وأخي سليمان **كانوا يعطونك من مال المسلمين، وليس ذاك المال لي أن أعطيكه**.. ولكن أُعطيكِ من مالي إذا شئت. قالت: وما ذاك يا أمير المؤمنين؟ قال: عطائي مئة دينار فهو لك. قالت: وما يبلغ مني عطاؤك؟! قال: فلستُ أملك غيره يا عمّة!.

هكذا كان عمر الذي ساد العدل في عهده.

فعن مسلمة بن عبد الملك قال: دخلتُ على عمر وقميصه وسخ، فقلتُ لامرأته ـ وهي أخته ـ: اغسلوه، قالت: نفعل، ثم عدتُ فإذا القميص على حاله، فقلتُ لها، فقالت: والله ما له قميص غيره!..

أي عظيم هذا عمر بن عبد العزيز؟! هذا الذي قالت له امرأته يوماً: أنتَ أمير المؤمنين ولا تقدر على درهم؟!..

قال: هذا أهونُ من معالجة الأغلال في جهنم!.

رحمك الله يا عمر! فقد أتعبتَ من جاء بعدك.

* * *

الليلة ١٣٩

بشارات للمتقين (١)

بشّر الله ﷻ عباده المتقين في كتابه الكريم ببشارات عديدة؛ أزفُّها إليكم:

الأولى: بشّرك اللهُ ـ أيها التقي ـ بما يسرّك في الدنيا والآخرة، لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝٦٣ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٣ ـ ٦٤].

الثانية: وبشّرك بأنه معك يعينك؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

الثالثة: وأنه سيعطيك العلم، لقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

الرابعة: ويهديك للصواب والتمييز بين الحق والباطل، لقوله تعالى: ﴿إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩].

الخامسة: ويكفّر ذنوبك ويُعظم أجرك، لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾ [الطلاق: ٥].

السادسة: ويغفر لك خطاياك، لقوله تعالى: ﴿وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٢٩].

السابعة: وييسّر أمورك في كل حين، لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤].

الثامنة: ويخرجك من الغمِّ والمحنة، لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢].

التاسعة: ويرزقك رزقاً واسعاً، لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢ ـ ٣].

العاشرة: ويُنجيك من العذاب والعقوبة، لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾ [مريم: ٧٢].

الحادية عشرة: ويجعلك كريماً عنده وعند الناس، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

الثانية عشرة: ويبشّرك بحبه لك، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤].

الثالثة عشرة: وبفلاحك في كل أمر، لقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١٨].

الرابعة عشرة: وأنه لن يضيع عملك وإحسانك، لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠].

الخامسة عشرة: وسيقبل عملك فلا يردّه، لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

السادسة عشرة: وأنك من أهل الجنان، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الذاريات: ١٥].

السابعة عشرة: وتنال الأمن والمنزلة الرفيعة، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ [الدخان: ٥١].

* * *

الليلة ١٤٠

بشارات للمتقين (٢)

الثامنة عشرة: وتستمتع بعزِّ الفوقية يوم القيامة، لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [البقرة: ٢١٢].

التاسعة عشرة: ويعطيك من اللذائذ ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ [النبأ: ٣١ ـ ٣٤].

العشرون: ويجعلك الله تعالى يوم القيامة قريباً منه.. تستمتع بالنظر إلى وجهه الكريم، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٤ ـ ٥٥].

الحادية والعشرون: وتتمتع بسلامة الصدر، لقوله تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧].

الثانية والعشرون: ويصلح لك عملك، لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١].

الثالثة والعشرون: ويمنحك البصيرة بالأمور، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

الرابعة والعشرون: ويعظم أجرك، لقوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٢].

الخامسة والعشرون: وتكون من الفائزين، لقوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [النور: ٥٢].

السادسة والعشرون: ويرزقك التفكر والتدبر في خلق الله، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦].

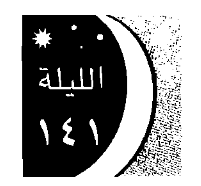
السابعة والعشرون: ويُنجيك من النار، لقوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى﴾ [الليل: ١٧].

الثامنة والعشرون: وتتخذ من التقوى لك زاداً، لقوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧].

التاسعة والعشرون: ويرزقك حسن العاقبة، لقوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩].

الثلاثون: وأخيراً تفوز بولاية الله، لقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: ١٩].

* * *



خبَّأ أربعاً في أربع

يقول أحدهم: إن الله سبحانه خبّأ أربعاً في أربع:

- رضاه في طاعته، فلا تحقروا منها شيئاً، فلعلَّ رضاه فيه..
- وخبَّأ غضبه في معصيته، فلا تحقروا منها شيئاً، فلعلَّ غضبه فيه..
- وخبَّأ ولايته في عباده، فلا تحقروا منهم أحداً، فلعلَّه ولي من أولياء الله..
- وخبَّأ إجابته في دعائه، فلا تتركوا الدعاء، فربما كانت الإجابة فيه..

فلا تستهِنْ بأي عمل من المعاصي مهما كان صغيراً، فقد تكون تلك المعصية طريقاً إلى غضب الله.

يقول بشر الحافي: «من أراد أن يذوق طعم الحرية، ويستريح من العبودية؛ فليطهّر السريرة بينه وبين الله تعالى..».

ألسنا نعيش في مُلْكِ مَلِكِ الملوك ﷻ، فكيف نعصيه؟! كيف لا نطيعه وهو خالقنا ورازقنا ومعطينا وراحمنا؟!..

أليست السعادة في طاعة الله والبعد عن عصيانه؟!..

نعم..

يقول رسول الله ﷺ: «السعادة كل السعادة: طول العمر في طاعة الله»[1].

ويقول عليه الصلاة والسلام: «مما أوحى الله إلى عبده داود: ما من

---

(١) رواه القضاعي والديلمي.

عبد يطيعني إلا وأنا معطيه قبل أن يسألني، ومستجيب له قبل أن يدعوني، وغافر له قبل أن يستغفرني..» فهل هناك أجمل من ثمار هذه الطاعة؟!..

يروى عن عيسى عليه السلام: أنه قال للحواريين من حوله: «لا الدنيا تريدون.. ولا الآخرة!».. فعجب الحواريون.. فقال: «لو أردتُم الدنيا أطعتم ربكم الذي بيده خزائنها، فأعطاكم إيّاها، ولو أردتم الآخرة أطعتم رب الآخرة الذي يملكها، فأعطاكم إيّاها».

يقول الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله:

«ليس المؤمن هو الذي لا يعصي الله، ولكن المؤمن هو الذي إذا عصاه رجع إليه».

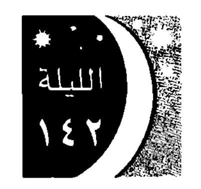
وقيل لحكيم مرة: ماذا تشتهي؟.

قال: عافيةَ يوم!.

فقيل له: ألستَ في العافية سائر الأيام؟.

قال: العافيةُ أن يمرَّ يوم بلا ذنب!.

❁ ❁ ❁



الصدقُ مُنجيك وإن خِفْتَه

ليس في الأخلاق خُلُقٌ أحسن من الصدق، ولا أفسد للإنسان من الكذب؛ قال عليه الصلاة والسلام: «**عليكم بالصدق فإنه مع البر، وهما في الجنة.. وإياكم والكذب فإنه مع الفجور، وهما في النار**»[١].

قال أعرابي لابنه وقد سمعه يكذب: يا بني إنّ الكذّاب يتعرض لعقاب ربه؛ إن قال حقّاً لم يُصدَّق، وإن أراد خيراً لم يوفّق، وما صحَّ من صِدْقهِ نُسب إلى غيره، وما صحَّ مِنْ كذبٍ نُسب إليه..

وقال عمر بن الخطاب ﷺ: لأن يَضَعُني الصدقُ، وقلَّ ما يفعل؛ أحبُّ إليَّ من أن يرفعني الكذب، وقلَّ ما يفعل!.

يقول الشاعر:

ما أحسنَ الصدقَ في الدُّنيا لقائلهِ وأقبحَ الكِذْبَ عندَ اللهِ والناسِ

ويقول آخر:

الصدق مطيَّةٌ لا تهلك صاحبها وإن عثرتْ به قليلاً..

والكذب مطيَّةٌ لا تنجي صاحبها وإن جَرَتْ به طويلاً..

يروى: أن الإمام أحمد بن حنبل سمع بوجود حديث عند عالِم في دمشقَ، فسافر إليه من بغداد، حتى إذا وصل دمشق مكث مدة يسأل عن العالِم، وعن أخلاقه ومعاملته.. حتى إذا وثق من صدقه أتاه باكراً، ولما اقترب من بيته وجد العالِمَ خارجاً من بيته يجرُّ حماره (وقد كان العالِمُ حمَّالاً يكسب من عمله).. فرفض الحمار أن يسير معه، حاول جرَّه

---

(١) صحيح الجامع، للألباني (٤٠٧٢).

بمختلف الطرق فلم يُفلح، وعندها جمع العالِمُ طرف جُبَّته وقدَّمها للحمار ليوهمه أن في الجُبَّة شعيراً، فمشى الحمار.. فأتى الإمام أحمد إلى الجُبَّة، فوجدها خالية ليس فيها شعير.. فترك أحمدُ العالِمَ وحديثه وعاد إلى بلده!.. فقد أدرك أن هذا العالِم غير صادق ولا يمكن أن يؤتمن على الحديث النبوي!.

ورحم الله ابن المقفع حين قال: «لا تتهاون بإرسال الكذبة من الهزل؛ فإنها تُسرع إلى إبطال الحق».

وقال آخر: الكذّاب لِصٌّ؛ لأن اللصَّ يسرق مالك، والكذَّاب يسرق عقلك!..



مزاحُ النبي ﷺ

لا تُكثر من المزاح؛ فإنه يقسي القلب، ويُذهب الهيبة، ويُوقِعَ في الزلل والهفوات!..

صحيح أن رسول الله ﷺ كان يمزح، ولكنه المزاح المتزن الذي لا يقول فيه إلا حقّاً.

جاءت امرأة يقال لها: (أم أيمن) إلى النبي ﷺ، فقالت: إن زوجي يدعوك. قال: **«ومَنْ هو؟.. أهو الذي بعينه بياض؟»**.

قالت: والله ما بعينه بياض!.

فقال: **«بلى إن بعينه بياضاً»**!.

فقالت: لا والله..

قال عليه الصلاة والسلام: **«ما من أحد إلا وبعينه بياض»**[1].. وأراد بذلك **البياض المحيط بالحدقة**.

وأتت عجوز إلى النبي ﷺ، فقال لها: **«لا يدخل الجنة عجوز»**، فبكت.. فقال: **«إنك لستِ بعجوز يومئذٍ.. قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ٣٥ فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا﴾ [الواقعة: ٣٥ ـ ٣٦]»**[2]..

سُئل النخعي رَحِمَهُ اللَّهُ: هل كان أصحاب رسول الله ﷺ يضحكون؟ قال: نعم.. **والإيمان في قلوبهم مثل الجبال الرواسي**.

قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوماً لجارية له: خلَقني خالقُ الخير،

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا.

(٢) رواه الترمذي.

وخلقكِ خالقُ الشر. . فبكت الجارية. . فقال عمر: لا بأس عليك؛ فإن الله خالق الخير والشر.

ولكن بعض الناس يُفرط في المزاح ليُضحِكَ الناس كيفما كان، وبأي طريقة كانت؛ فلا ينظر إلى كلماته وفحواها، ولا إلى عباراته ومغزاها، وينسى حديث رسول الله ﷺ الذي يقول فيه:

«إن الرجل ليتكلم بالكلمة يُضحِكُ بها جلساءَه؛ يهوي في النار أبعد من الثريا»(١).

فالمزاح والضحك والترفيه مباح في الشريعة، بل هو مطلوب أحياناً للترويح عن القلوب، ولكن. .

- لا تُفرط في المزاح، وتجنّب الإيذاء والسخرية.
- ابتعد عن بذيء القول، والفاحش من الكلام.
- لا تتخذ المزاح غايتك ومبتغاك.

وقد يستسهل البعضُ الكذبَ حين يمزح، ظانّاً أن مجال اللهو يباح فيه الكذب، والرسول ﷺ يحذِّرنا من فعل ذلك فيقول: **«ويلٌ للذي يُحدِّثُ بالحديث ليَضْحَكَ منه القومُ فيكذب، ويلٌ له»**(٢). ويقول أيضاً: **«لا يؤمن العبدُ الإيمان كله حتى يترك الكذب في المزاح والمراء وإن كان صادقاً»**(٣).

فلا كذب في المزاح، ولا افتراء على الآخرين.

* * *

---

(١) رواه البخاري، ومسلم.

(٢) رواه الترمذي.

(٣) رواه أحمد.

الليلة ١٤٤

ذكرتُ دعوةَ أبي!

كم هو دور الأم والأب عظيم عندما يخرج من بين أيديهما ولد صالح ينفع الله به الإسلام والمسلمين!..

وكم هي مأساة عظيمة عندما يفرط الوالدان في هذه الأمانة التي حمَّلهما الله إياها!..

كم من عالم أُسند الفضل بعد الله إلى والديه في تربيته وتعليمه!..

وكم من عاصٍ لله مجاهر بفسقه حمّل والديه مسؤولية ضياعه..

فهل يستوي من كان نتاج غراسه فاكهة ونخلاً ورماناً، ومن كان نتاج غراسه شوكاً وسدراً؟!..

يقول الشيخ محمد الشنقيطي: «أذكر رجلاً كان فقيراً ضيق الحال؛ كان يعمل في النهار، **فإذا جاء بالأجرة في آخر اليوم؛ وضعها على الطاولة لأبيه ليأخذ منها ما يشاء**.. فلما سألْته عن ذلك، قال: **أستحيي أن أرفع يدي على يد أبي فتكون منة على والدي**.

وقال: كنت لمّا أضع المال بين يديه يدعو الله ويقول: **اللهمَّ ارزق ابني القرآن واجعله من أهله**.

فبلغ أكثر من عشرين عاماً وهو تائه في الأعمال، حتى شاء الله أن يأتي ذلك اليوم الذي يلتقي فيه بعالم كان عمدة للفتوى في بلده.. فقال: أي بني، ما هذا الذي أنت فيه؟..

قال: ما ترى.. أسعى في الرزق.

قال: هل لك أن تجعل لي يوماً من أسبوعك؟.

قال: نعم، ونعمت عيني بذلك.

فما زال يتردد على ذلك العالم حتى جاء اليوم الذي يناقش فيه رسالة الدكتوراه في تفسير القرآن العظيم.

فلما دعي إلى المناقشة وجلس.. إذا بشيخه وأستاذه يقومان له مهابة وإجلالاً لِما وصل إليه من العلم.. وقالا: تفضل يا شيخ فلان! فجلس يبكي.

فقالا له: تبكي ونحن نريد أن نمنحك اليوم درجة الشرف الأولى؟!..

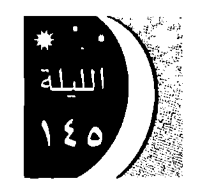
قال: **ذكرتُ دعوة أبي** رحمه الله.. فقد تحققت بعد عشرين عاماً!..

تذكّر حديث رسول الله ﷺ الذي يقول فيه: «**ثلاث دعوات يُستجاب لهن لا شك فيهن: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد لولده**»[(١)].

وبالمقابل، فمن رحمة الله تعالى أنه لا يستجيب دعاء الوالدين على أولادهما إذا كان في وقت الغضب والضجر، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [يونس: ١١].

* * *

(١) رواه ابن ماجه وأحمد، وحسَّنه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة (٥٩٦).



يخافون.. ولا يأمنون! (١)

قال الله تعالى جلَّ في علاه؛ في الحديث القدسي: «وعزتي وجلالي لا أجمع لعبدي أمنين ولا خوفين، إن هو أمنني في الدنيا أخفتُهُ يوم أجمع عبادي»[1]..

فمن منّا أحسّ قلبه اليوم بوجل من النار فدعا الله في سجوده من كل قلبه: اللهم أجرني من النار؟!..

قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩].

ضحك على البعض منّا إبليس فقال له: أنت مسلم.. مكتوب اسمك في الفردوس!..

من منّا حاسب نفسه في اليوم مرة.. في الأسبوع مرة.. في الشهر مرة.. في السنة مرة؟!.. أتريد أن تعرف أنك مؤمن حقّاً أم لا؟!.. اعرض نفسك على كلام الجبار العظيم: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١ ـ ٢]؛ فهل نخشع في صلاتنا؟!.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٣]؛ فكيف هي مجالسنا؟!.. كم منّا من لا يتورع عن الغيبة.. ولسانه سليط على خلق الله..

كان النبي ﷺ عندما يجلس مع أصحابه يقول: «اللهمَّ اغفر لي وتب عليَّ إنك أنت التواب الرحيم» سبعين مرة.. لأنه علم أنه مَنْ لم يخف في الدنيا سيُخوَّف في الآخرة..

---

(١) صحيح الجامع (٤٣٣٢).

أبو بكر ﷺ خير من وطأت قدمه الثرى بعد الرسل والأنبياء.. موعود بأن يدخل الجنة من أي باب من أبوابها الثمانية؛ لم يقل أنا مطمئن فأنا من أهل الجنة!..

كان أبو بكر جالساً ممسكاً بلسانه.. يهزه.. دخل عليه عمر بن الخطاب ﷺ وكان أبو بكر ﷺ ممسكاً بلسانه، فقال: ما لك يا أمير المؤمنين؟!..

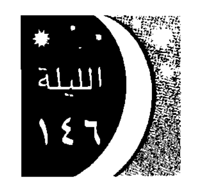
قال: لساني هذا أوردني الموارد.. أخشى أن يكون قد زلَّ بكلمة!.

من منّا حاسب نفسه بماذا تحرك لسانه في يوم من الأيام؟!..

عمر بن الخطاب ﷺ فُتحت على يديه الأمصار، وعلم أنه المُبشر الثاني بالجنة.. ومع ذلك لما سمع أنَّ حذيفة بن اليمان ﷺ ـ الصحابي الصغير الذي ليس ضمن قائمة المبشرين ـ عنده أسماء بعض المنافقين.. هل ارتاح عمر؟.. لا والله.. فقد سعى فوراً إلى بيت حذيفة ﷺ وقال: أسألك بالله! هل ذكرني النبي ﷺ مع المنافقين؟..

عمر بن الخطاب الفاروق ﷺ يخشى على نفسه النفاق!.. ومنّا من اجتمعت فيه صفات المنافقين كلها لكن إبليس يقول له: لا يا أخي!.. أنت أفضل الناس عند الله ﷻ!.. ما بينك وبين الجنة إلا أن تُنزع روحك!..

❋ ❋ ❋



يخافون.. ولا يأمنون! (٢)

كم منّا من إذا حدَّث كذب؟!..

كم منّا من إذا اؤتمن خان؟!..

كم منّا من إذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر؟!..

كم منّا من ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢]؟!..

ما الذي جعل عمر يسعى؟.. عَلِمَ ـ ولا بدَّ أن نعلم ـ أنه من لم يخفْ في الدنيا يُخوَّف في الآخرة..

هل جلست مع نفسك يوماً من الأيام وتخيلت حالك فوق الصراط؟.. الصراط أسود، والكون ظلام، والنار تغلي وتزفر.. ظلام في ظلام: ﴿وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠]..

هل تخيلت حالك، وأنت تسمع صراخ الهاوين في النار؟.. وضعتَ أول قدم على الصراط، ثم رفعت الأخرى..

هل تثبتُ على الصراط، أم تهوي كما هوى الكثير منّا خلف شهواته؟!.. نسمع ﴿قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ﴾ [الحج: ١٩].. نتخيل أُناساً آخرين! فنحن لا تمسنا النار!..

لكن لما تُذكر الجنة، وتُذكر القصور.. يتخيل الواحد منّا جلسته على الأرائك[١].. لمَ؟!.. هل اتخذنا عند الله عهداً؟.. ﴿أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدًا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ﴾ [البقرة: ٨٠]..

---

(١) قصص لا أنساها، للدكتور عبد المحسن الأحمد، (بتصرف).

يـا غـافـلاً تـتـمـادى غـداً عـلـيـك يُـنـادى
هـذا الـذي لـم يُـقـدِّم قـبـل الـمـنـيـة زادا

يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [البقرة: ٢١٨].

إيمان.. وهجرة.. وجهاد.. تلك هي صفات من يرجو أصحابُها فضلَ الله تعالى.

وانظر إلى طاعات أخرى تؤهِّل لحسن القبول عند الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر: ٢٩].

تلاوة للقرآن، وإنفاق في سبيل الله، وصلوات في المساجد.. تلك هي صفات من يبتغي التجارة مع الله...

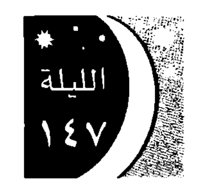
فعن أنس رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ دخل على شاب وهو في الموت فقال: «**كيف تجدك؟**».

قال: **أرجو** الله يا رسول الله.. وإني **أخاف** ذنوبي!..

فقال رسول الله ﷺ: «**لا يجتمعان** (أي: الرجاء والخوف) **في قلب عبد في مثل هذا الموطن؛ إلا أعطاه الله ما يرجو، وأمَّنه مما يخاف**»[1].

❋ ❋ ❋

(١) رواه الترمذي.



ولكنكم غثاء

يقول عليه الصلاة والسلام في الحديث المشهور: «**يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأَكَلَةُ إلى قصعتها**».

قالوا: أمن قلة نحن يومئذٍ يا رسول الله؟.

قال: «**إنكم يومئذٍ كثير.. ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعنَّ الله المهابةَ من صدور أعدائكم، وليقذفنَّ في قلوبكم الوهن**».

قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟.

قال: «**حبّ الدنيا، وكراهية الموت**»[1]..

صدقتَ يا رسول الله! أليست الأمة الإسلامية الآن نهباً لأطماع الدول الأخرى؛ ينهبون خيراتها، ولا تستطيع لهم دفاعاً ولا صدّاً؟! أليسوا كالقصعة التي تمتد إليها الأيدي تنهش ما بها من طعام، ولا تستطيع لهم ردّاً ولا دفعاً؟!..

ثم ألم يتحول المسلمون إلى شخوص (هلامية)؛ تلك التي عبَّر عنها الرسول ﷺ بالغثاء؟!..

ألا نشبه ذلك الغثاء الذي يدفعه السيل أمامه من خشاش الأرض؟!..

ألم نفتقد هيبتنا في المجتمع الدولي والمنظمات الدولية؟!..

أليس هذا ما يحصل الآن وقد بلغ عدد المسلمين أكثر من مليار ونصف مليار؟! أليس هذا لأننا ابتعدنا عن ديننا، ونأينا عن طريق نبيِّنا محمد ﷺ؟!..

---

(١) رواه أبو داود.

ألم ينغرس حب الدنيا والحرص على المراكز والمناصب في نفوس المسلمين؟!..

عن علي رضي الله عنه: أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا فعلتْ أمتي خمس عشرة خصلةً حلَّ فيها البلاء!».

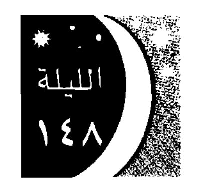
قيل: وما هي يا رسول الله؟.

قال: «إذا كان المغنم دُوَلاً، والأمانة مغنماً، والزكاة مغرماً، وأطاع الرجل زوجته، وعقَّ أمه، وبرَّ صديقه، وجفا أَباه، وارتفعت الأصوات في المساجد، وكان زعيم القوم أرذلهم، وأُكرِمَ الرجلُ مخافةَ شرِّه، وشُربتِ الخمور، ولُبس الحرير، واتُخذتِ القيانُ والمعازف، ولعن آخرُ هذه الأمة أوَّلها.. فليرتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء، أو خسفاً، أو مسخاً»[(١)].

اللهمَّ سلِّم!.. اللهمَّ سلِّم!..

❋ ❋ ❋

(١) رواه الترمذي، وقال: حديث غريب.



لو يعلم الخلائق ماذا يستقبلون..

قال مالك بن دينار: «لو يعلم الخلائق ماذا يستقبلون غداً ما لذّوا بعيشٍ أبداً»!..

وقال لقمان لابنه: «يا بني أمرٌ لا تدري متى يلقاك.. استعدّ له قبل أن يفاجئك».

يقول الشاعر:

تاللهِ لو عاشَ الفَتَى في عمرِهِ ... ألفاً من الأعوامِ مالكَ أمرِه
متلذِّذاً فيها بكلِّ نعيمٍ ... متنعِّماً فيها بنعمى عصرِه
ما كانَ ذلك كلُّه في أن يفي ... بمبيتِ أولِ ليلةٍ في قبرِه

ويقول الحسن البصري:

«يومان وليلتان لم يسمع الخلائق مثلهنَّ قط: ليلة تبيت مع أهل القبور ولم تبت قبلها مثلها، وليلة صبيحتها تسفر عن يوم القيامة، ويوم يأتيك البشير من الله إما بالجنة أو بالنار، ويوم تعطى كتابك إما بيمينك وإما بشمالك».

ألم تسمع لذلك الطبيب وقد وضع سماعته على صدر المريض الذي يشتكي من قلبه، وفجأة انحنى الطبيب على صدر المريض ميتاً!.

كتب أحد الشباب عن موقف أثَّر فيه كثيراً فقال: سافر أحد زملائي للسياحة في تايلاند حيث الدعارة والفجور.. وكنت كلما اتصل بي هاتفياً أذكّره بتقوى الله ﷻ، وأن الله يمهل ولا يهمل.. ولكنه كان يقول: سأذهب لأداء العمرة عندما أعود، فالله غفور رحيم..

وعند عودته.. أصابته أزمة قلبية وهو في الطائرة أثناء هبوطها.. نُقل بسرعة إلى المستشفى، ولكنه فارق الحياة!..

هل تذكرت يوماً تكون فيه من أهل القبور؟!.

هل تذكرت مفارقة الأهل والجيران، والأموال والأصحاب والأوطان؟!.

هل تذكرت ضيق القبور وظلمتها؟!.

هل تذكرت وحشتها وكربتها؟!.

هل تذكرت عذاب القبر وألوانه؟!.

هل تذكرت حيّاته وعقاربه وديدانه؟!.

هل تذكرت الشجاع الأقرع وعظم شأنه؟!.

هل تذكرت ضرب الفاجر بمزربة من حديد مع الإهانة؟!.

هل تذكرت سؤال الملكين منكر ونكير؟!.

هل تذكرت أتُوفق للصواب من الجواب عند سؤال الملكين، أم يقال لك: لا دريتَ ولا تليتَ؟! هل تذكرت نعيم القبر وروحه وريحانه؟!.

إياك أن تسوّف بالتوبة، وتتكل على العفو والمغفرة، وإيّاك أن تقول: ما زلت في شبابي وسوف أتوب إذا تقدّمت بي السن، فالموت لا يعرف شيخاً ولا شابّاً، ولا رجلاً ولا امرأة، ولا غنيّاً ولا فقيراً، ولا أميراً ولا وزيراً[١].

ورحم الله من قال:

ولَدْتكَ أمُّك يا بنَ آدمَ باكياً ... والناسُ حولَكَ يضحكونَ سرورا

فاعملْ لنفسِكَ أن تكونَ إذا بَكَوا ... في يومِ موتِكَ ضاحكاً مسرورا

❁ ❁ ❁

---

(١) أيّها المقصّر.. استعد، للأستاذ خالد آل فريج، (بتصرف).

الليلة ١٤٩

إني أرى منزلي.. (١)

مَن منّا يعرف متى وأين يموت؟!.. مَن منا يعرف حقيقة مصيره؛ إلى جنة أم إلى نار؟!..

يروي الدكتور عبد المحسن الأحمد قصة حقيقية حدثت مع قريبته.. تقول قريبته هذه: كنّا جالسات، وكان أحد الدعاة يلقي محاضرة؛ إذ دخلت فتاة ما أعرفها، جلست بجانبي..

كان الشيخ يتكلم عن قصة (ماشطة بنت فرعون)، حينما سألها فرعون: أنا ربك؟!..

قالت: لا.. ربي الله الذي خلقني وخلقك..

فأمر الجنود؛ فأشعلوا على القدور العظيمة نيراناً تتأجج، والزيت يغلي في القدور!..

كرر السؤال، فكررت الإجابة.. وحولها أطفالها الخمسة فزعين من صوت الزيت والنار..

كلّ منهم قد تشبث بأمه، وأغمض عينيه، والأم تحاول أن تحتضن هؤلاء الخمسة.. فإذا به يأمر الجنود أن يلقوا بهم في النار واحداً تلو الآخر؛ الأطفال يصطرخون.. فيسحبون هذا.. تحاول أن تمسكه.. تدفعهم.. ينزعون الآخر.. حتى نزعوا واحداً يجرّونه وهو يبكي ويلتفت إلى أمه: ساعديني.. ساعديني!..

وهي تبكي، ثم يُحمل هذا الطفل أمام عيني أمه فيُلقى في الزيت.. ما هي إلا لحظات ويغيب هذا الطفل.. لحظات أخرى وإذا بالعظام تطفو.. عظامه أمام عينيها وقلبها يحترق.. يفور.. يسألها وترد نفس الإجابة: ربي

الله الذي خلقني وخلقك، فيأمر الجنود، يتحركون، فينزعون الآخر.. يصطرخ.. تسمع الصرخة.. غاب الصوت، غاب الطفل.. وإذا بالعظام تطفو مع عظام أخيه.. ثانيةً..

الثالث والرابع.. كلهم أُلقوا في الزيت المغلي!..

ما بقي معها إلا رضيع.. صارت تضمه بكل ما أوتيت من قوة، كأنه قطعة منها.. قد التقم ثديها، فلما تحرك الجنود حاولت أن تنطوي عليه، تُضرب أشد ما يكون الضرب.. ثم تُضرب يدها ويُنزع منها.. اللبن يتطاير من فمه، وشعرات أمه في يديه.. تنظر إليهم؛ ما هي إلا دقائق، وإذا بالخمسة عظامٌ أمامها.. تذكَّرتْ كم كانت تلاعبهم.. كم ساهرتهمْ.. كم ضاحكتهمْ.. هم الآن عظام.. إنه الثبات!..

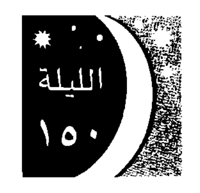
يقول أحدهم: أنا لا أستطيع ترك الأغاني والفيديو كليب!.. لا تتركها أبداً!..

هل تظن أن ﴿مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىۡءٍ﴾ محتاج منك أن تترك الأغاني الماجنة واللقطات المثيرة؟..

تقول: لما ذكر الشيخ هذه القصة، إذا بالفتاة الغريبة ترتعش.. استأذنتْ فجأة بسرعة وخرجتْ..

تقول قريبتي: تبعتُها، فإذا بها قد اتكأت على أحد الجدران تبكي.. تقول: هدّأتُها وأقنعتها أن ترجع للمحاضرة..

❋ ❋ ❋



إني أرى منزلي.. (٢)

فإذا بالشيخ يسترسل ويذكر قصة امرأة فرعون: امرأة مُكبلة تُضرب بالسياط حتى يتكشف اللحم!.. صحيح أنها موجعة جدّاً، ولكنها علمت: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٥]..

فلما أحست الألم الشديد؛ ما صرخت.. ولكنها قالت من كل قلبها: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ﴾ [التحريم: ١١]..

تريد أن تسلّي نفسها.. تُذكّر نفسها بأنَّ هناك جنان..

يقول ابن كثير: فتُرفَع عنها الحجب، فإذا بها ترى قصراً وترى الأنهار تجري من تحته: ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ﴾ [محمد: ١٥]، ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ [محمد: ١٥].. ترى سندساً وإستبرقاً، وحريراً وجناناً، وثماراً وطيوراً.. فتبسمتْ.. نسيت الضرب.. جنّ الجنود كيف نضربها وتبتسم؟!.. قالت: والله إني لأرى منزلي من الجنة..

تقول قريبتي: لما قال الشيخ: الجنة.. إذا برأس الفتاة يسقط على حجري، وبدأت الأنفاس تزفر، واللون يتغير!..

تقول: حملناها بسرعة إلى قاعة أخرى، طلبنا الإسعاف والطبيب.. صرت أقرأ عليها ودمعاتي على وجهي خائفة، وما يزداد التنفس إلا صعوبة..

قالت لي إحداهنَّ: واللهِ ما أظنها إلا تحتضر..

كانت تشخص ببصرها إلى السماء.. فقالت لها إحداهن: قولي: «لا إلٰه إلا الله».. فما ردّت!..

تقول: لما قالت الثالثة.. فإذا بها ترفع يدها؛ تصرخ وتقول:

والله إني أرى منزلي من النار.. إني أرى منزلي من النار[1]!..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [يونس: ٤٤].

﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠].

يقول الشاعر في الاستعداد للآخرة:

تـزوّدْ مـن الـتـقـوى فـإنـكَ لا تـدري ... إذا جنَّ ليلٌ هل تعيشُ إلى الفجرِ

فكم مِنْ فتًى أمسى وأصبحَ ضاحكاً ... وقد نُسِجَتْ أكفانُه وهو لا يدري

وكم مِنْ صغارٍ يُرتجى طولُ عمرهم ... وقد أدخلتْ أجسادُهم ظلمةَ القبرِ

وكم مِنْ صحيحٍ ماتَ من غيرِ علةٍ ... وكم من سقيمٍ عاشَ حيناً من الدهرِ

● آخر ساعة في حياتك:

إذا كان هذا آخر وقت في حياتك، فاجعله في طاعة..

وإذا كانت هذه آخر ساعة في حياتك، فاجعلها في عبادة..

وإذا كانت هذه آخر دقائق في حياتك، فأنفقها في فعل الخيرات..

وإذا كانت هذه آخر دقيقة في حياتك، فاجعلها توبة..

وإذا كانت هذه آخر ثانية في حياتك، فلا تيئس من رحمة الله..

فلماذا لا تجعلها الآن وكأنها آخر ساعة؟!..

❋ ❋ ❋

(١) قصص لا أنساها، للدكتور عبد المحسن الأحمد، (بتصرف).

الليلة ١٥١

أيّها أرجى وأحسن آية في القرآن؟

تعددت الآراء في أرجى وأحسن آية في القرآن..

فقال أبو بكر رضي الله عنه: قرأت القرآن كله، فلم أرَ فيه آية أرجى وأحسن من قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٤]؛ فإنه لا يشاكل العبد إلا العصيان (أي: إن العبد يعصي ولا بدّ).. **ولا يشاكل المولى إلا الغفران!..**

وقال عمر رضي الله عنه: قرأتُ القرآن كله، فلم أرَ أرجى وأحسن من قوله تعالى: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [غافر: ١ ـ ٢]؛ فإن الله قد **قدَّم غفران الذنب على قبول التوب**: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ [غافر: ٣].

وقال عثمان رضي الله عنه: قرأتُ القرآن كله، فلم أرَ آية أرجى وأحسن من قوله تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩ ـ ٥٠]، لأن الله تعالى **قدَّم الغفران والرحمة على أليم العذاب.**

وقال علي رضي الله عنه: قرأتُ القرآن كله، فلم أرَ آية أرجى وأحسن من قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]؛ **فأمر المسرفين على أنفسهم أن لا ييئسوا** من رحمة الله، وفتح لهم أبواب التوبة على مصاريعها...

وقال القرطبي: قرأتُ القرآن كله، فلم أرَ آية أرجى وأحسن من قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]؛ **فالله تعالى أعطى الأمان لمن آمن ولم يدنِّس إيمانه** بظلم أيّاً كان...

وقال الشيخ عبد الرحمن الصفوري: قرأتُ القرآن كله، فلم أرَ آية أرجى وأحسن من قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ [الزمر: ١٧].

يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «الفقيه كلُّ الفقيه من لم يقنِّط الناس من رحمة الله، ولم يُؤيسْهُم من روح الله، ولم يؤمِّنْهم من مكر الله».

❁ ❁ ❁



الليلة ١٥٢

من الضياع إلى الطمأنينة

قد تمرّ في حياة الإنسان لحظات يتحول فيها مجرى حياته إما إلى خير وإما إلى شر..

وهذه إحدى الفتيات تروي قصة التحول الكبير في حياتها؛ تقول: نشأت في عائلة ثرية جدّاً، طفولتي سعيدة هانئة.. ولكن في مرحلة المراهقة انتابني شعور بالوحشة والضجر، شعرت بأن المال والجاه والشهرة وحتى الجمال لا يحقق لي الطمأنينة في نفسي.

كنت أشتري الملابس الغالية فأكون سعيدة للحظات، ثم تصبح شيئاً عادياً لا إثارة فيه.. تقدم لخطبتي كثيرون؛ فعندي الجمال والمال والنسب والحسب.. تزوجت زواجاً موفّقاً، ولكنني لم أشعر بالطمأنينة والسعادة رغم ما أمتلك من ثروة وزوج..

قلت في نفسي: لعلي بعد الإنجاب أشعر بالسعادة التي تبقى ولا تزول سراعاً..

وبعد الإنجاب لم أتغير.. كل شيء عادي روتيني، سعادة لحظات قليلة ثم يعود كل شيء إلى ما كان عليه.

أحسست أن هناك شيئاً أفتقده سيحقق لي السعادة الدائمة التي لا تنقطع، والطمأنينة التي لا تزول، ولكن ما هو الشيء الذي أفتقده؟ جميع مُتع الدنيا ملك يديّ؛ فما هو الشيء الذي ينقصني؟ وأين أجد السعادة التي لا تنقطع؟.

بحثتُ في نفسي: ماذا تريدين؟ وما هو الشيء الذي لم تحصلي عليه بعد؟ فأجابتني: أريد أن أكون قريبة من الذي بيده السعادة الحقيقية لكي يعطيني إياها.. إنك تشعرين بالوحشة لأنك بعيدة عن الله؛ فلماذا لا تقتربين

منه فتأمني وتشعري بالسعادة الحقيقية؟!.. لقد تداركتني رحمة الله تبارك وتعالى، وهداني إلى صراطه المستقيم، أسأل الله لي ولكم الثبات.

كنت في السابق أُصلّي متى استيقظت من النوم؛ أغلب الصلوات أؤديها بلا خشوع ولا طمأنينة، ولم أكن أُحافظ على الأذكار..

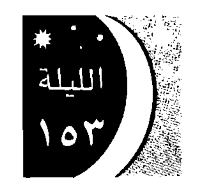
حافظت على الصلوات في أوقاتها مجتهدة على أدائها بأكمل وجه، وحافظت على الأذكار، تبدلت حياتي.. اطمأنت نفسي وهدأت روحي.. مسكينة أنت أيتها الروح! كم كنت أحرمك من زادك الحقيقي؟! ظننت أنني أسعدك بالذهاب والإياب والشراء واللباس والطعام، فوجدت أنك تسعدين بالقرب من خالقك وبارئك الذي سوف ترجعين إليه.

يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ [الفجر: ٢٧ ـ ٢٨].

ويقول تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]؛ نعم لقد وجدت الطمأنينة؛ فلك الحمد يا رب العالمين.

ويقول الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

* * *



إحسان للأهل حتى في الاعتكاف

ليس الاعتكاف قطيعة للأهل، ولا هو عزلة مطلقة عن محيط الأسرة؛ فلا يمنع المرء من القيام برعاية أهله، ولا يحول بينه وبين مظاهر حُسن العشرة.

ومن ذلك حديث صفيَّة رضي الله عنها زوج رسول الله ﷺ، وفيه: أنها جاءت إلى رسول الله ﷺ: تزوره في اعتكافه في المسجد في العشر الأواخر من رمضان، فتحدثت عنده ساعة، ثم قامت تنقلب (أي: ترد إلى بيتها) فقام النبي ﷺ معها يقْلِبُها (أي: يردها إلى منزلها)[1].

وفي رواية: «كان النبي ﷺ في المسجد وعنده أزواجه، فَرُحْنَ (ذهبن)، فقال لصفية بنت حيي: **لا تعجلي حتى أنصرف معك**. وكان بيتها في دار أسامة، فخرج النبي ﷺ معها»[2].

فأين هذا من بعض من يرتدي أزياء التدين؟! ثم ماذا يكون حظ أهله منه؟..

لا يجد أهله من أخلاقه إلا أسوأها، ولا من أوقات فراغه إلا آخرها، ولا من تفكيره واهتمامه إلا أقل القليل، حتى ييئس منه أهله، فلا يطمعون في عطفه وإحسانه، ولا يأملون ببرِّه وإشفاقه.

أما هو.. فيظلُّ يطلب من أهله غاية البر وتمام الإحسان! ولكنه نسي الحقيقة التي تقول: «إنك لا تجني من الشوك العنب، ولا من العلقم حلاوة العسل».

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري.

ألم يقل الرسول ﷺ: **«خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي»**؟![1].

ألم يكن الرسول ﷺ يساعد أزواجه في أعمال البيت؟! فعلام نتكبّر على مساعدة أزواجنا؟!.

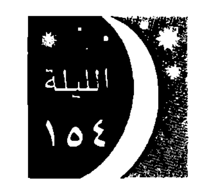
علامَ نجد أنفسنا غير قادرين على أن نقوم بأي عمل في بيوتنا؟!.

أليس الإحسان إلى الأهل من سبل الوصول إلى رضا الله سبحانه؟! حتى الصدقة.. فأفضل الصدقات درهم تنفقه على أهلك ـ كما جاء في الحديث النبوي الشريف.

فلنحسن إلى أهلينا، لنكن في بيوتنا جسداً واحداً نعمل معاً، ونستريح معاً، والكلّ فيه هانئ وسعيد.

❁ ❁ ❁

(١) رواه الترمذي.



قلوبٌ يتنزَّلُ عليها نصر الله!

مِنَ المؤمنين مَنْ صدق ما عاهد الله عليه؛ ترك مفاتن المال وإغراءه، وطلب من الله الشهادة في سبيله..

مِنْ هؤلاء: **النعمان بن مقرن**.. يبعثه عمر ﷺ **والياً على بلدة في العراق**.

يتولى النعمانُ الولاية، ويدير شؤونها؛ يجمع المال لبيت مال المسلمين، فيجد نفسه أمام بريق المال ليس عليه رقيب إلا قلبه العامر بالإيمان، ولكنه **يخشى على نفسه الفتنةَ من بريق المال!..**

فإذا به يكتب إلى أمير المؤمنين عمر ﷺ رسالة يقول فيها: «يا أمير المؤمنين **إن مَثَلي ومَثَل «الولاية».. كَمثَلِ شاب في ريعان شبابه عند امرأة مومس تتزين له وتتعطر**.. وإني أستحلفك بالله أن تعفيني من هذه المهمة، ثم تبعثني على رأس جيش لأغزو في سبيل الله».

يقرأ عمر الرسالة فيعجب من هذا الذي ترفَّع على الدنيا وزينتها، واختار مهمة أخرى هي الجهاد في سبيل الله.. فيقول عمر: إن قلوباً مثل هذه حريٌّ أن يتنزَّلَ عليها نصر الله! ويعود النعمان بن مقرن إلى المدينة، ويدخل مسجد رسول الله ﷺ، فيبادره أمير المؤمنين قائلاً: لقد انتدبتُك لعمل..

فأجاب النعمان: إن كان جباية المال؛ فلا.. وإن كان جهاداً في سبيل الله؛ فنعم...

ويتولى النعمان إدارة المعركة في «نهاوند»؛ فما أن هبَّت طلائع الأصيل حتى صاح القائد المؤمن: أيها الناس! إني سأهزُّ الراية ثلاثاً..

فأما **الأولى** فليتوضأ كل جندي.

وأما **الثانية** فليعدَّ سلاحه.

وأما **الثالثة** فاحملوا على العدو، ولا يلوِينَّ أحدٌ على أحد وإن قُتِلَ النعمان!..

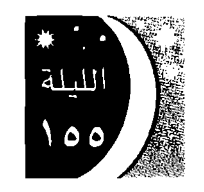
وإني راغبٌ إلى الله بدعوة، وأُقسِمُ على كل امرئ منكم أن يؤمِّنَ عليها: **(اللهم ارزقِ النعمانَ اليوم شهادةً في نصر عظيم، وفتحٍ على المسلمين)**، فأمَّنَ القومُ، ثم هزَّ الراية ثلاثاً.

وتقدَّم القائدُ الصفوفَ، فأطبق المسلمون على أعدائهم وكان النصر العظيم والفتح الكريم.

ولكن ماذا حدث للنعمان؟ كان أحد شهداء هذه المعركة؛ صادفه أحد جنوده وما زال به رمق، فسأله النعمان: من أنتَ؟ قال: أنا معقل بن يسار. قال النعمان: ما فعل اللهُ بالناس؟ قال: لقد فتح الله للمسلمين. فقال النعمان: الحمد لله كثيراً، اكتبوا بذلك إلى عمر.. ثم فاضتْ روحه..

وهكذا كتب النعمان بن مقرن في موقعة «نهاوند» الفصلَ الختامي لدولة الأكاسرة، وجعل أول سطوره من دمه؛ رغبة فيما عند الله.

❊ ❊ ❊



مَنْ كان يريد الحياة الدنيا وزينتها

يقول تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ [القصص: ٧٧].

ولكن الدنيا التي يذمها الإسلام هي دنيا الغفلة والجري وراء الشهوات، الدنيا التي تُشغل الإنسان عن الله وتلهيه عن الآخرة، الدنيا التي يتعلق بها البخلاء فلا ينفقون في سبيل الله، الدنيا التي يركن إليها الجبناء فلا يقولون كلمة حق، الدنيا التي شاء الله أن تكون مملوكة لنا.. فجاء صِغارُ الهمم وأَبوْا إلا أن يكونوا عبيداً لها! تلك هي الدنيا التي يقول الله تعالى في أصحابها:

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥ ـ ١٦].

قيل لإبراهيم بن أدهم: أوصنا.. فقال:

إذا رأيتم الناس مشغولين بأمر الدنيا؛ فاشتغلوا أنتم بأمر الآخرة..

وإذا اشتغلوا بتزيين ظواهرهم؛ فاشتغلوا بتزيين بواطنكم..

وإذا اشتغلوا بعمارة البساتين والقصور؛ فاشتغلوا بعمارة القبور (أي: العمل لما بعد القبر)..

وإذا اشتغلوا بخدمة المخلوقين؛ فاشتغلوا بخدمة رب العالمين..

وإذا اشتغلوا بعيوب الناس؛ فاشتغلوا بعيوب أنفسكم..

واتخذوا من الدنيا زاداً يوصلكم إلى الآخرة، فإنما الدنيا مزرعة الآخرة.

يقول الشيخ محمد الغزالي رَحِمَهُ اللهُ:

«إن شأن الدنيا أنزلُ قدْراً من أن يأسى عليه رجل العقيدة.

وإن الأمة التي تستبدُّ بها الشهوات لا تصلح للحياة ولا تصلح بها حياة».

ويقول الدكتور مصطفى السباعي رَحِمَهُ اللهُ:

«من تعلق قلبه بالدنيا؛ لم يجد لذة الخلوة مع الله..

ومن تعلق قلبه باللهو؛ لم يجد لذة الأنس بكلام الله..

ومن تعلق قلبه بالجاه؛ لم يجد لذة التواضع بين يدي الله..

ومن تعلق قلبه بالمال؛ لم يجد لذة الإقراض لله..

ومن كثرت منه الآمال؛ لم يجد في نفسه شوقاً إلى الجنة».

* * *

الليلة
١٥٦

هل نفرح بنعم الله؟

● الناس يفرحون بالنعمة على درجات ثلاث:

١ ـ فمنهم من يفرح بالنعمة لأنه سينتفع بها.

٢ ـ ومنهم من يفرح بها لأنها دليل على عناية الله به فَرَزَقَهُ تلك النعمة.

٣ ـ ومنهم من يفرح بها لأنها وسيلة لمزيد من التقرب إلى الله تعالى.

فالفريق الأول ليس من الشاكرين؛ لأنه فَرِحَ بالنعمة وليس بالمُنعم.

والثاني شكَرَ الله تعالى على تلك النعمة.

والثالث حقَّقَ كمال الشكر؛ فلم يفرح بالنعمة على أنها نعمة فحسب، بل على أنها وسيلة إلى المزيد من التقرب إلى الله ﷻ..

● يقول صالح اللخمي وهو يعظ ابنه:

«يا بنيّ إذا مرَّ بك يوم وليلة قد سَلِم فيهما دينك وجسمك ومالك؛ فأكثر الشكر لله تعالى، فكم مِنْ مسلوب دينه، ومنزوع مُلْكه، ومهتوك ستره، ومقصوم ظهره في ذلك اليوم.. وأنت في عافية؟!.

أليس هذا ما يحدث كل يوم في كثير من بلاد المسلمين؟! ألا تشعر بنعمة الله عليك في أن جنَّبك تلك الويلات؟! ثم ألا تشعر بما يُصيبُ إخوانك المسلمين المضطهدين في كل مكان؟! ألا تدعو الله لهم ـ على الأقل ـ أن ينصرهم، ويفرِّج همومهم، ويحفظ دماءهم، ويُسدِّد على طريق الحقِّ أهدافهم؟!.

اللهمَّ آمين.

● شكا أحدهم الفقر إلى أحد العارفين، فقال له:

أيسرُّك أنك أعمى ولك عشرة آلاف درهم؟ قال: لا.

قال: أيسرُّك أنك أخرس ولك عشرة آلاف درهم؟ قال: لا.

قال: أيسرُّك أنك أقطع اليدين والرجلين ولك عشرون ألف درهم؟ قال: لا.

قال: أيسرُّك أنك مجنون ولك عشرة آلاف درهم؟ قال: لا.

قال: أما تستحيي أن تشكو مولاك، وله عندك كل هذه النِّعم؟!.

● يروي الأصمعي: أنه قال لغلام فصيح وذكي: أيسرُّك أن يكون لك مئة ألف درهم وأنت أحمق؟! قال: لا والله.

فقلتُ: ولِمَ؟ قال: أخاف أن يجني عليَّ حُمقي جناية تذهبُ بمالي، ويبقى عليَّ حُمقي!..

● ويقول أحد الصالحين: لا أحبُ واحدة من الثلاث: الفقر والمرض والموت:

فأما **الفقر**: فوالله للغِنَى أحبُّ إليَّ منه؛ لأن الغنى به تُوصَلُ الرحم، ويُحَجُّ البيت، وتبسط اليد بالصدقات.

وأما **المرض**: فوالله لأنْ أعافى فأشكر أحبُّ إليَّ من أن أُبْتَلى فأصبر.

وأما **الموت**: فوالله ما يمنعنا من حبه إلا ما قدَّمناه من أعمالنا، فنستغفر الله.

❊ ❊ ❊

الليلة ١٥٧

يحفر قبره بأسنانه

قال حكيم: من يأكل فوق الشبع؛ يحفر قبره بأسنانه!..

وقيل: لو سئل أهل القبور: ما سبب قِصَرِ آجالكم؟ لقالوا: التخمة!..

قال لقمان لابنه وهو يوصيه: يا بنيّ! إذا ملئت المعدة، نامت الفكرة، وخرست الحكمة.. وقعدت الأعضاء عن العبادة.

وقال أحد الحكماء: من كثر أكله كثر شربه، ومن كثر شربه كثر نومه، ومن كثر نومه كثر تُخَمه، ومن كثر تخمه قسا قلبه، ومن قسا قلبُه غرق في الآثام.

قال حنظلة لعمر: يا أمير المؤمنين! احذر مَنْ إذا أكرمْته أهانك، وإذا أهنْته أكرمك!.

قال: مَنْ هذا؟.

قال: جسدك.. إن أنتَ تابعتَ بطنك وجسدك فيما يريدان منك؛ فَضَحاكَ وأهاناك في الدنيا والآخرة.

وإن أهنْتَهما وعصيْتهما وقويتَ عليهما؛ كافآك في الدنيا، ونجَّياك في الآخرة.

فلا تطع شهواتك وأهواءك فيما يغضب الله ﷻ.. تمتع بالحلال الطيّب، ولكن دون إسراف ولا تفريط.

وقال عمر بن الخطاب ﷺ: إياكم والبطنة! فإنها ثِقَلٌ في الحياة، نتنٌ في الآخرة.

قيل لجالينوس: ما لك لا تمرض؟!..

فقال: لأني لم أجمع بين طعامين رديئين..

ولم أُدخِل طعاماً على طعام..

ولم أحبس في معدتي طعاماً تأذيتُ منه..

يقول الإمام القرطبي:

أجمع العلماء على أن قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾ [الأعراف: ٣١] قد جمعت الطبَّ كلّه.

ويقول الشاعر:

لا بارك اللَّه في الطعام إذا كان هلاكُ النفوس في المِعَدِ

ويقول آخر:

وكم من أكلةٍ منعتْ أخاها بلذَّةِ ساعةٍ أكلات دهرِ

❊ ❊ ❊

الليلة ١٥٨

توكلٌ.. لا تواكل

التوكل والتواكل كلمتان يسيء استخدامهما كثير من الناس.

فالتوكل: هو أنك إذا أردت أن تعمل عملاً؛ عملْتَهُ بجدٍّ وإتقان، وأنتَ تعتقد أن التوفيق من الله وليس من عملك، والله ﷻ يقول: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

أما التواكل: فهو علة كثير من المسلمين الذين يعتقدون أن الله يرسل الرزق والنجاح دون علم ولا عمل!..

فليس التوكل تركَ الأخذ بالأسباب، بل معناه انحصار الأمل في الله، والالتجاء إلى تدبيره وحكمته.

لما أُلقيَ إبراهيم عليه السلام في النار بالمنجنيق؛ أتاه جبريل فقال له: ألك حاجة؟ فقال إبراهيم: أما إليك فلا.. وأما إليه سبحانه فحسبي من سؤالي علمه بحالي.. فأوحى الله إلى النار: ﴿يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩].

يقول أبو بلال الأسود: خرجتُ حاجّاً، فلما صرتُ في بعض الطريق؛ إذا أنا بامرأة ليس معها زاد، فقلت لها: ما أرى معك زاداً ولا ما تحملين فيه الزاد!..

فقالت: خرجتُ من بَلْخ (ولاية في أفغانستان) ومعي عشرة دراهم، وقد بقي بعضها.

فقلتُ لها: إذا نفذتْ ماذا تصنعين؟.

قالت: عليَّ هذه الجُبَّة أبيعها وأُنفق ثمنها.

قلتُ: فإذا فنيَ ما معك ما تصنعين؟.

قالت: أبيعُ هذا الخمار، وأُنفق ثمنه.

قلت: فإذا فنيَ ما تصنعين؟.

قالت: يا بطَّال.. أسأله فيعطيني (أي: تسأل الله).

قلتُ: ألا سألتهِ قبلَ ذلك؟.

قالت: ويحكَ! إني أستحيي أن أسأله شيئاً من الدنيا ومعي فضلٌ من عرضِها (فهي تشعر أنها غنية وليس عندها سوى جُبَّة وخمار!).

وهناك موطن يستلزم فيه التوكل وذكر الله والاطمئنان إليه؛ عندما يُطلب من المؤمنين الصابرين أن يشتروا حياتهم بنبذ الإيمان والعودة إلى الضلال القديم، إلى الفسق والفجور، إلى اللهو والعبث والمجون.. عندئذ يتوكل المؤمن على الله، ويسأله العون والعزيمة؛ قال تعالى: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: ١٢].

والتوكل على غير الله قصير العمر، عديم الجدوى، أما التعلق بالله فهو ارتباط بالمصدر الدائم للخير، ولذلك قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨].

يقول أحد العارفين: من وثق بالله أغناه، ومن توكل عليه كفاه، ومن خافه قلَّتْ مخافته (يوم القيامة)، ومن عَرَفه تمَّت معرفته.

اللهمَّ اجعلنا لك من العارفين.

❁ ❁ ❁

الليلة
١٥٩

«لو استقاموا على الطريقة...»

يقول تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الجن: ١٦ ـ ١٧]، **فهناك ارتباط** وثيق بين الاستقامة وبين الرخاء والتمكين في الأرض.

كان العرب في جوف الصحراء يعيشون شظف العيش، حتى استقاموا على طريقة الإسلام، ففُتحتْ لهم الأرض، وتدفقت عليهم الأرزاق، ثم حادوا عن الطريقة، فاستُلبتْ خيراتهم، ولا يزالون في نكد وشظف حتى يعودوا إلى طريق الله.

والرخاء ابتلاء من الله للعباد؛ فنعمة المال كثيراً ما تؤدي إلى البطر وقلة الشكر، ونعمة القوة كثيراً ما تقود إلى التيه والخيلاء، ونعمة الذكاء كثيراً ما تقود إلى فتنة الغرور والاستخفاف بالآخرين، ولا تكاد تخلو نعمة من الفتنة إلا من عصم[1].. ألم يقل الله تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: ١ ـ ٢]؟!.

فلم يحدد الله تعالى المتكاثَر به؛ بل هو كل ما كاثر العبدُ غيرَه من أسباب الدنيا من مال أو بناء أو **علم لا يبتغي به وجه الله**؛ فمَنْ تنافس مع الآخرين في جمع المال ليقال: إنه الأغنى، ومن تكاثر في البناء ليقال: إنه الأكثر مُلكاً للأراضي والمباني، ومن استزاد في العلم ليقال: إنه العالم الوحيد...

كل هؤلاء وأمثالهم ممن **«ألهاهم التكاثر»، ولم يطلبوا بذلك وجه الله**، توعدهم الله وعيداً شديداً حتى يقول أحدهم يوم القيامة: ﴿يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى﴾ [الفجر: ٢٤]!.

---

(١) خواطر الفجر، (بتصرف).

وما أجمل قول الله تعالى حينما يبشِّر المستقيمين في حياتهم بأن لهم جنات؛ فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣ ـ ١٤].

وهذا مصداق حديث رسول الله ﷺ، حينما أتاه أحد الصحابة، وقال: يا رسول الله! قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك.

قال: «قل: آمنتُ بالله، ثم استقم»[1].

يقول الفضيل بن عياض في قوله تعالى: ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]: أحسنُ عملاً؛ أي: أخلصهُ وأصوبه.

فقيل: ما أخلصه وما أصوبه؟.

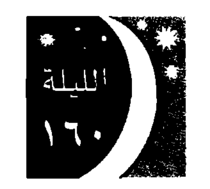
فقال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يُقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يُقبل.. حتى يكون خالصاً صواباً.

والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السُّنَّة.

❊ ❊ ❊

---

(١) رواه مسلم.



جاءت محاسنه بألف شفيع

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ:

انظر إلى موسى عليه السلام؛ رمى الألواح التي فيها كلام الله فكسرها، وجرَّ بلحية نبيٍّ مثله (هارون عليه السلام).. وربه يحتمل له ذلك كله، ويحبُّه ويكرمه ويتجاوز عنه؛ لأنه قام بتلك المقامات العظيمة بمقابلة أعدى عدو لله ـ فرعون ـ وصدع بأمر الله!..

وانظر إلى يونس عليه السلام؛ حيث لم تكن له تلك المقامات التي كانت لموسى عليه السلام، غاضبَ ربَّه مرةً، فأخذه وسجنه في بطن الحوت..

وفرقٌ بين من أتى بذنب ولم يكن له من المحاسن ما يشفع له، وبين من إذا أتى بذنب جاءت محاسنه بكل شفيع، كما قال الشاعر:

وإذا الحبيبُ أتى بذنب واحدٍ　　جاءتْ محاسنُه بألف شفيع

ألا تريد إذن أن تكون من أصحاب المحاسن؟ وأن يكون لك من يذكر محاسنك عند الله؟.

يقول عليه الصلاة والسلام: «**إن ما تذكرون من جلال الله من التسبيح والتكبيرِ والتحميد يتعاطفنَ حول العرش، لهنَّ دويٌّ كدوي النحل، يُذَكِّرنَ بصاحبهن، ألا يحبُّ أحدكم أن يكون له من يُذَكِّر به؟!**»[1].

يقول أحد العارفين: من وطَّن قلبه عند ربه سكن واستراح، ومن أرسله في الناس اضطرب واشتد به القلق.

ويقول أحدهم: **إذا أحب الله عبداً**: اصطنعه لنفسه، واجتباه لمحبته، فشغَلَ همَّه به، ولسانَه بذكره، وجوارحه بخدمته..

---

(١) رواه أحمد.

ويقول آخر: **إذا أراد الله بعبده خيراً**: جعلَه معترفاً بذنبه، ممسكاً عن ذنب غيره (فلا يذكر عيوب الناس وذنوبهم)، جواداً بما عنده، زاهداً فيما عند غيره.. محتملاً لأذى غيره..

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«ولهذا كان الناس أربعة أصناف:

- من يعمل لله بشجاعة وبسماحة؛ فهؤلاء هم المؤمنون المستحقون للجنة..

- ومن يعمل لغير الله بشجاعة وسماحة؛ فهذا ينتفع بذلك في الدنيا، وليس له في الآخرة من خلاق..

- ومن يعمل لله لكن بلا شجاعة ولا سماحة؛ فهذا فيه من النفاق ونقص الإيمان بقدر ذلك..

- ومن لا يعمل لله ولا فيه شجاعة ولا سماحة؛ فهذا ليس له دنيا ولا آخرة»[(١)]..

❁ ❁ ❁

(١) الاستقامة، ص٣١٨.

الليلة ١٦١

نفوس مطمئنة

احذر نفسك؛ لأن النفس **الأمارة بالسوء** تقودك للمعاصي، فتنساق وراء الشهوات، فتودي بك إلى الهلاك..

انظر إلى قول امرأة العزيز: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: ٥٣].. فعلمتْ أن تلك النفس كادت أن تهوي بها إلى الرذيلة والفساد.

واحذر **النفس الغافلة** التي لا تثبت على الحق المبين؛ فتارة هي في عبادة، وتارة في معصية..

وكن من أصحاب **النفس اللوامة** التي تلوم صاحبها إن هو قصَّر في حق الله؛ وتؤنبه إن عصى الله وخالف أمره، فتعيده إلى الطريق المستقيم..

ألم يقسم الله تعالى بالنفس اللوامة: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: ١ ـ ٢].

جاهد نفسك، واسأل الله أن يجعلها من **النفوس المطمئنة** الممتلئة بحب الله تعالى، الساكنة بالتقوى، الثابتة على طريق الهدى، لا تنساق وراء الشهوات، ولا تزحزحها الزخارف والمغريات، لا تخضع لأهواء الإنترنت، ولا الفضائيات المُفسدات، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ۝٢٩ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ [الفجر: ٢٧ ـ ٣٠].

يقول الإمام البوصيري:

والنفسُ كالطفلِ إن تهملْه شبَّ على ... حبِّ الرضاعِ وإن تفطمْهُ ينفطمِ

فلا تَرُمْ بالمعاصي كسرَ شهوتها ... إن الطعامَ يقوِّي شهوة النهمِ

يروى أن داود عليه السلام قال: «حق على العاقل أن لا يغفل عن أربع

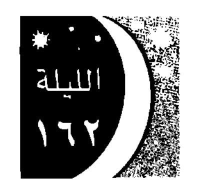
ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يخلو فيها مع إخوانه يخبرونه بعيوبه ويصدقونه، وساعة يخلو فيها بين نفسه وبين لذاتها فيما يحلّ ويجمل؛ فإن في هذه الساعة عوناً على تلك الساعات، ومجمَّةً للقلوب».

يقول حكيم:

اجتنب سبع خصال يسترح جسمك وقلبك، ويسلم لك عِرْضك ودينك:

- لا تحزن على ما فات..
- ولا تحمل همّاً لم ينزلْ بك..
- ولا تَلُمِ الناس على ما فيك مثله..
- ولا تطلب الجزاء على ما لم تعمل..
- ولا تنظر بشهوة إلى ما لم تملك..
- ولا تغضب على من لم يضرَّك غضبه..
- ولا تمدح مَنْ لم يعلم من نفسه خلاف ذلك..

❊ ❊ ❊



فلا أنساب بينهم

كان الأصمعي يطوف حول الكعبة ذات يوم؛ إذ رأى شاباً متعلّقاً بأستارها وهو يقول:

يا مَنْ يجيب دُعا المضطرِ في الظُّلَمِ ... يا كاشف الضُّرِّ والبلوى مع السَّقَمِ

قد نام وفدُكَ حول البيتِ وانتبهوا ... وأنتَ وحدكَ يا قيومُ لَمْ تنمِ

أدعوكَ ربي حزيناً هائماً قلِقاً ... فارحم بكائي بحقِّ البيتِ والحَرَمِ

إن كان جودُك لا يرجوه ذو سَفَهٍ ... فمَنْ يَمنُّ على العاصين بالكَرمِ

ثم سقط على الأرض مغشيّاً عليه، فدنا منه فإذا هو زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم..

فلما أفاق قال له الأصمعي: ما هذا البكاء وأنت من بيت النبوة؟! أليس الله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]؟!.

فقال زين العابدين: هيهات هيهات.. إن الله خَلَق الجنة لمن أطاعه ولو كان عبداً حبشيّاً، وخَلَق النار لمن عصاه ولو كان حُرّاً قرشيّاً.. أليس الله تعالى يقول: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١ ـ ١٠٣]؟!.

فقال الأصمعي: هذا مصداق حديث رسول الله ﷺ حين قام على الصفا، يقول: «**يا فاطمة بنت محمد! يا صفية بنت عبد المطلب! يا بني عبد المطلب! لا أملك لكم من الله شيئاً، سلوني من مالي ما شئتم**»(١).

---

(١) رواه مسلم.

وقال رسول الله ﷺ: «قاربوا وسدِّدوا، واعلموا أنه لن ينجوَ أحدٌ منكم بعمله» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا؛ إلا أن يتغمَّدني الله برحمة منه وفضل»[1].

والمقاربة: القصدُ الذي لا غُلوَّ فيه ولا تقصير.

والسداد: الاستقامة والإصابة.

قال العلماء: معنى الاستقامة: لزوم طاعة الله تعالى.

❀ ❀ ❀

(١) رواه مسلم.

الليلة ١٦٣

القضاء والقدَر

من الناس ـ والعياذ بالله ـ من اتهم الله في قضائه؛ فقال: هو الذي قدَّر عليَّ أن أُذنب أو أكفر أو أفعل كذا!..

ومنهم من أنكر وجود القدَر، واعتبر الإنسان حرّاً لا دخل للقدر في عمله؛ وكلاهما مخطئ يُوقع نفسه في الكفر..

والله خلق الخلق، وأعطى لكل إنسان عقلاً يدرك به الخير والشر، وبيَّن له عن طريق الرسل طريقي الخير والشر، وعاقبة كل منهما، ثم أعطاه الاختيار الكامل يختار لنفسه ما شاء؛ فإن اختار طريق الخير سار فيه وأعانه الله عليه، وإن اختار طريق الشر سار فيه ولم يجبره الله عليه.

وعَلِمَ ربنا ماذا سيصنع هذا الإنسان؛ فكتب عنده ماذا سيصنع، فلا يعمل أحد عملاً ضد مشيئة الله، ولا يجبر الله أحداً على عمل شيء.. ﴿قُلۡ كُلّٞ يَعۡمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٤].

يقول الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله: «الإيمان بالقدر حياة؛ لأنه يفتح لك في كل ظلمة شعاع ضياء، وفي كل عُسْرةٍ بابَ رجاء...

ولولا الرجاء لماتَ المريض من وهمه قبل أن يميته المرض، ولقُتل الجندي في الحرب من خوفه قبل أن يقتله العدو، ولولا الرجاء ما كانت الحياة..

ولو تُركتِ الأمور لاحتمالات العقل وقوانين المادة؛ لما استطعتَ أن تتنفس الهواء أو تشرب الماء خشيةَ أن تكون فيه جرثومة داء، ولا ركبتَ سيارة لاحتمال أن تُصدم، ولا صعدتَ بناءً لإمكان أن ينهدم، ولا اتخذتَ صديقاً لأنه قد يخون!..

والإيمان بالقدَر عَزاء؛ لأنك إن قُدِّر عليك أن تُصابَ بولدٍ؛ فاحمد

الله؛ ففي الناس من أصيب بولديْن.. وإن خسرتَ ألفاً؛ ففيهم من خسر ألفيْن..

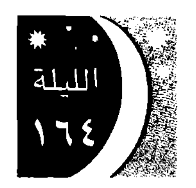
علينا أن نسعى ونبذل كل ما في وسعنا من جهد، ثم إن فشلنا فلا نحزن ولا نيئس، بل نعيد المحاولة مرة تلو مرة..

كن مع القدر كمن يسوق سيارة في طريق مزدحم؛ فهو إن جثم على تفكيره أنه سيصاب بحادثٍ؛ فلا يتقدَّم خطوة إلى الأمام ولا يتأخَّر!..

وإن طاش ولم ينتبه إلى مَنْ حوله من سيارات؛ لم يسلم من الحوادث...

ولكن اعقل وتوكل، انتبه واحذر؛ فإن وصلتَ بسلام فاحمد الله، وإن أُصبتَ ـ لا سمح الله ـ فأنت لم تقصِّر، ولكنه حُكم القدَر (أي: حكمُ الله)».

* * *



لماذا تصلّي على النبي ﷺ؟

١ ـ **لأن الله تعالى أمر بها**: وهو وملائكته يصلون على النبي ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

٢ ـ **ولتنال شفاعة النبي ﷺ**: فالرسول عليه الصلاة والسلام يقول: «من صلَّى عليَّ حين يصبح عشراً، وحين يمسي عشراً، أدركتْه شفاعتي يوم القيامة»[١].

٣ ـ **ولأنها تبلغ الرسول ﷺ**: إذ يقول عليه الصلاة والسلام: «إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خُلق آدم، وفيه قُبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة عليَّ» قالوا: يا رسول الله وكيف تُعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟! فقال: «إن الله ﷻ حرَّم على الأرض أجساد الأنبياء»[٢].

٤ ـ **ولكي لا تكون من الخاسرين**: فالرسول عليه الصلاة والسلام يقول: «رغم أنف رجل ذُكرتُ عنده فلم يصلِّ عليَّ»[٣].

٥ ـ **ولكي لا تكون من أبخل البخلاء**: فالرسول ﷺ يقول: «فالبخيل مَنْ ذُكرتُ عنده فلم يصلِّ عليّ»[٤].

٦ ـ **ولأن الصلاة على النبي ﷺ سبب لصعود الدعاء**: يقول عمر بن

---

(١) صحيح الجامع (٦٣٥٧).

(٢) رواه أبو داود، صحيح الجامع (٢٢١٢).

(٣) رواه الترمذي، صحيح الجامع (٣٥١٠).

(٤) رواه الترمذي.

الخطاب رضي الله عنه: «إن الدعاء موقوف بين السماء والأرض؛ لا يصعد منه شيء حتى تصلّي على نبيك صلى الله عليه وسلم»[(١)].

٧ ـ **ولكي لا تصاب بالحسرة والندامة**: فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول: «ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه، ولم يصلُّوا على نبيِّهم؛ إلا كان عليهم ترة، فإن شاء عذَّبهم، وإن شاء غفر لهم»[(٢)]. ومعنى كلمة **ترة**: حسرة وندامة.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تجعلوا قبري عيداً، وصلُّوا عليَّ؛ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم»[(٣)].

٨ ـ **ولكي تفوز برحمة الله**: يقول عليه الصلاة والسلام: «إن جبريل عليه السلام قال لي: ألا أُبشِّرُك؟ إن الله عز وجل يقول: من صلَّى عليك صليتُ عليه، ومن سلَّم عليك سلَّمتُ عليه»[(٤)].

فمن صلّى على حبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم، صلَّى الله تعالى عليه؛ فذكره برحمته وثنائه عليه، وإكرامه وبرِّه إليه.

❊ ❊ ❊

(١) رواه الترمذي.

(٢) رواه الترمذي، انظر: صحيح الجامع (٤٦٠٧).

(٣) رواه أبو داود بإسنادٍ صحيح.

(٤) رواه أحمد، والحاكم، وصحح إسناده.

الليلة ١٦٥

لا تمدنَّ عينيك

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ١٣١].

أي: لا تشغل نفسك بأفراد من الكفار وعبَّاد الدنيا؛ متَّعناهم ببهجة زائدة في الحياة الدنيا لنجعلها لهم فتنة وابتلاء...

يقول أحد العارفين: يا بن آدم لا تخشى من ضيق الرزق ما دامت خزائن الله ملآنة، وخزائنه لا تنفد أبداً..

ولا تأنسْ بغير الله؛ فإن أَنِسْتَ بغيره تعالى فاتَكَ الخيرُ كلُّه..

وارضَ بما قسم الله لك فتريح بدنك..

ولا تطالبْه برزقِ غدٍ، كما لا يطالبُك بعمل غد..

فإنه لا ينسى من عصاه؛ فكيف ينسى مَنْ أطاعه؟!..

ويقول آخر: «قليلٌ يكفي خيرٌ من كثير يطغي».

ألسنا نجد فيمن حولنا من أطغاه المال وأفسده؟! ومن أنساه المالُ طاعةَ ربه؟!..

دخل سفيان الثوري على جعفر بن محمد، فقال له: يا سفيان! إذا أنعم الله عليك نعمةً فاحمد الله، وإذا استبطأت رزقاً فاستغفر الله، وإذا حَزَبَك (اشتد عليك) أمرٌ فقل: لا حول ولا قوة إلا بالله، والجأ إلى الصلاة...

ويقول أحد العارفين: شكوتُ إلى أستاذي قسوة في قلبي، فقال: هل نظرتَ إلى شيء فتاقت إليه نفسك؟ قلت: نعم. قال: احفظ عينيك؛ فإنك



إن أطلقتهما أوقعتاك في مكروه، وإن ملكتهما ملكتَ سائر جوارحك.

فقد تنظر إلى القصور العامرة فتعجب بها، وإلى السيارات الفارهة فتُبْهرُ بها؛ فتذكر قول الله تعالى: ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢].. فيا ليت هؤلاء الأغنياء عملوا لآخرتهم عُشْرَ سعيهم لدنياهم؛ لكانت الآخرة خيراً لهم.

وليس معنى هذا بالطبع أن يتفرغ الإنسان للعبادة ويترك العمل، ولكن أن يعمل بقوله تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾ [القصص: ٧٧].

يقول رسول الله ﷺ:

«**أربعٌ إذا كنَّ فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا:**

حفظُ أمانةٍ..

وصدقُ حديث..

وحسْنُ خليقة..

وعِفَّة في طُعمة»[١] أي: الطعام.



فهل اجتمعت فينا هذه الخصال الأربع؟!..

❀ ❀ ❀

---

(١) صحيح الترغيب، للألباني (١٧١٨).

الليلة
١٦٦

أم أحمد بن حنبل

وُلد أحمد بن حنبل في ربيع الأول سنة (١٦٤هـ)، ولم يكد يبلغ الثالثة من عمره حتى مات أبوه، فقامت أمه على تربيته ورعايته...

لم تنشغل عنه بشيء؛ حتى إنها رفضت ـ رغم جمالها وصغر سنِّها ـ الزواج من كثير من الأثرياء الذين تقدّموا للزواج منها.

فقد أحسَّتْ بأمارات النباهة والذكاء على ولدها الصغير أحمد، فقررت أن تقف بجانبه لعلّ الله ﷻ يجعل الخير على يديه... كانت أمه تأخذه إلى المسجد وهو في الرابعة من عمره لكلِّ صلاة، حتى في فترة حيضها توصله إلى المسجد وتقف خارج المسجد تنتظره حتى ينتهي من الصلاة.

استطاع أحمد في وقت وجيز أن يحفظ كتاب الله ﷻ، ويجيد اللغة العربية بشكل مبهر..

كان أحمد يعرف أن حالة الأسرة شديدة البؤس، وأن أمَّه تضحِّي كثيراً من أجله، ولهذا ازداد حرصاً وإصراراً على التعلم والتفوق أيضاً؛ كان يتمنى رضاها دائماً، ويبحث عمّا يحقق لها السعادة...

وكان يرى أمه كم تتعب من أجله، فكان يبحث عن أي عمل يقوم به نظير دراهم معدودات تعينه على طلب العلم، وتساعد أمه في معيشتها، فعمل في كتابة الرسائل لما تميز به من لغة جيدة وخط جميل؛ غير أنه كان يتورع عن كتابة الرسائل التي تتنافى مع أخلاق الإسلام كرسائل العشّاق والمحبين مثلاً.

وتعلَّم كذلك مهنة النسيج؛ فكان يذهب إلى النسّاجين ليعمل عندهم، أليس في هذا رسالة إلى أبنائنا الذين يعيشون في بيئة فقيرة، أو متواضعة..

فيسرفون في مصروفهم ليقلِّدوا مَنْ هم في بحبوحة العيش، ويُرهقون أهليهم بتلك النفقات، بدل أن يبذلوا جهدهم في تعلّم أي حرفةٍ شريفة تُدِرُّ عليهم ولو مبلغاً زهيداً من المال، فيساعدوا أهلهم، ويقفوا معهم. . فيكسبوا رضا الوالدين. . ويبارك الله فيهم.

ولشدة فقر أحمد وبؤسه كان يضطر لأن يسافر ضمن بعض القوافل كخادم لهم يحرس لهم أمتعتهم، ويحمل حاجاتهم، وذلك ليتمكن من الوصول إلى المشايخ والعلماء الذين يسمع عنهم.

كان أحمد شديد البرّ بأمه، ولذلك لم يتزوج حتى لا يُدخِل على أمه امرأة أخرى قد تكون سبباً في مضايقتها؛ فلما ماتت تزوج وأنجب ولديه عبد الله وصالح.

❋ ❋ ❋

الليلة ١٦٧

امرأة تنقذ زوجها

نعم.. كم من امرأة عظيمة كانت وراء كل رجل عظيم؛ تشدُّ من أزره، وتدفعه إلى مدارج السعادة والنجاح؟!..

وكم من نساء تميَّزن ببر أزواجهن وبحُسن تربية أولادهنّ؛ فكان وراء ذلك سكن نفسي، واستقرار عائلي...

فالمرأة هي كل المجتمع وليست نصفه؛ إن هي سعدت، أسعدت النصف الآخر فكانت سبباً في سعادة المجتمع كله..

● تعالوا معاً نقرأ قصة «**أم حكيم**»، المرأة التي أنقذت زوجها من الشرك والضلال ـ بإذن الله ـ.

«أم حكيم» زوجة عكرمة بن أبي جهل تُذكَر في الخالدات في التاريخ؛ فقد استطاعت أن تُقنع عكرمة بالإسلام..

قطعتِ الأرض إلى اليمن باحثة عن زوجها.. لتدعوه إلى أمان رسول الله ﷺ، وطامعة في إنقاذه من الكفر..

أبوها الحارث بن هشام الذي لم يدخل الإسلام بعد، وعمها أبو جهل أعدى أعداء نبيِّنا محمد ﷺ، وزوجها عكرمة..

كان عكرمة قد قال لابن عمّه خالد عندما دعاه للإسلام: «لو لم يبقَ غيري في الأرض لما اتبعتُه أبداً».. ثم لاذ بالفرار إلى اليمن!..

ولكن المفاجأة أذهلتْه؛ عندما رأى زوجته أم حكيم قادمة إليه.. ظنَّ أنها فارَّة من الإسلام إليه، ولكنها أتته لتدعوه إلى أمان محمد بن عبد الله؛ فقد أعطاه الرسول ﷺ الأمان...

وهو يعرف عهد محمد ووفاءه. . .

فلما دنا من مكة قال رسول الله ﷺ: «يأتيكم عكرمة بن أبي جهل مؤمناً؛ فلا تسبُّوا أباه؛ فإنَّ سبَّ الميِّت يؤذي الحيَّ، ولا يبلغ الميِّتَ»[١].

فلما رآه وثب إليه فرحاً، فوقف ومعه امرأته منتقبة، فقال: يا محمد! إن هذه أخبرتْني أنك أمَّنتَني. فقال: «صدقتْ فأنت آمن». وأسلم عكرمة على يدي زوجه.. فهنيئاً لمن قال عنه النبي ﷺ: «لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم»[٢].

● أعرف امرأة كانت صابرة على زوجها؛ يقسو عليها أشد القسوة، ولكنها لم تخرج عن طاعته، صبرت عليه واحتسبت.. ابتلاها الله بسرطان في بطنها؛ تألمت وصبرت حتى أتتها سكرات الموت؛ فإذا بها توصي أبناءها بأبيهم خيراً، وتدعو له بالهداية والمغفرة! أساء لها فأحسنت إليه، وما هي إلا أيام بعد موتها حتى اهتدى زوجها، وأصبح يذكرها ليل نهار، ويدعو لها مثلما كانت تدعو له من قبل.

❋ ❋ ❋

---

(١) روا الحاكم في المستدرك.

(٢) رواه البخاري.

الليلة ١٦٨

ماذا بعد رمضان؟

مضى على رمضان الفائت فترة من الزمن، أتذكر كيف كنّا نقوم ليله، ونصوم نهاره، ونقرأ القرآن بالليل والنهار؟.

أتذكر كيف كنّا نلزم الصلوات في المساجد؛ حيث تغصُّ المساجد بالمصلين في رمضان؟.

ولكن هل ما زلنا الآن كما كنّا في رمضان؟ نخاف إن فاتنا يوم لم نقرأ فيه جزءًا من القرآن، ونعيش أيامنا وليالينا نتقن أعمالنا، ونخاف ربنا.. نتقلب بين تفكّر وخشوع، وتأمل وخضوع...

ومن يقارن أحوال الناس في رمضان وبعد رمضان ليعجب كل العجب حينما يرى مظاهر الكسل والفتور والتراجع عن الطاعة، وكأن لسان حالهم يحكي أن العبادة والتوبة وسائر الطاعات لا تكون إلا في رمضان.. وما علموا أن الله سبحانه هو رب الشهور كلها، وما شهر رمضان بالنسبة لغيره من الشهور، إلا محطة تزود وترويض على الطاعة والمصابرة عليها إلى حين بلوغ رمضان آخر.

يقول أحدهم: من تعوّد الفتور والكسل أو مال إلى الراحة فقدْ فقدَ الراحة.

وقال آخر: إن أردت ألا تتعب فاتعب لئلا تتعب.

ولا أدل على ذلك من وصية الباري جلَّ وعلا لنبيِّه ومصطفاه ﷺ: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ﴾ [الشرح: ٧]، لأن الكسل لم يؤدِّ حقّاً، ولم يقم فيه بواجب.

وليس من هدي سيد المرسلين انهماك مستمر في العبادة، ولا حرمان

النفس والأهلين من حقهم، بل لا بد من الاعتدال في كل شيء، والاستمرار على العمل الطيب وإن قل.

وذنب واحد بعد التوبة أقبح من ذنوبٍ قبلها، والنكسة أصعب من المرض، بل ربما أهلكت المريض، فسلوا الله الثبات على الطاعات إلى الممات، وتعوذوا بالله من تقلب القلوب.

لا تكن كالمرأة التي نقضتْ غزلَها من بعد قوة أنكاثاً..

اختر من يعينك على طاعة الله، واحرص على الدعاء بعد رمضان مثلما كنت تدعو في رمضان..

لا تحرم نفسك من قيام الليل ولو ليلة في الأسبوع..

ولا تنسَ قراءة القرآن، وكن في غير رمضان كما كنتَ في رمضان..

* * *

سرٌّ لا يعرفه إلا التائبون

لأمر التوبة سرٌّ عظيم لا يعرفه إلا التائبون المقبلون على الله؛ أمر يجعل دمعة العين قريبة، وإحساسٌ بالقرب من الله مرهف، وشعورٌ يجعل التائب بادي الانكسار، عظيم القدرة على رغبات نفسه، ظاهر الحزن.. ولكنه ذو قلب يرقص سعادة وسروراً بين يدي مولاه الذي اصطفاه لمنزلة التوبة العظيمة التي حُرِمَ منها الكثير بإعراضهم عن الله سبحانه.

يقول عليه الصلاة والسلام: «لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها، وقد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذا هو بها، قائمة عنده، فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح»[1].

كان رسول الله ﷺ يتوب إلى الله في اليوم مئة مرة، وفي الاقتداء بالرسول ﷺ تأتي محبة الله سبحانه، يقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

ورسالة نبعثها لمن عصى الله وتجرأ عليه نقول له:

أما آن لك أن تتوب؟! أما آن لك أن تعود؟! أما اشتقت لجنة الله؟! أما اشتقت لمجاورة الحبيب محمد ﷺ؟!.

ولكن للتوبة شروط:

الشرط الأول: أن تقلع عن المعصية فوراً.

الشرط الثاني: أن تندم على فعلها.

---

(١) رواه مسلم.

الشرط الثالث: أن تعزم ألا تعود إليها أبداً.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

والمؤمن إذا فعل سيئة؛ فإن عقوبتها تندفع بعشرة أسباب:

- أن يتوب، فيتوب الله عليه؛ فالتائب من الذنب كمن لا ذنب له..
- أو يستغفر فيُغفر له..
- أو يعمل الحسنات تمحوها؛ فإن الحسنات يذهبن السيئات..
- أو يدعو له إخوانه المؤمنون ويستغفرون له حيّاً وميتاً..
- أو يُهدون له من ثواب أعمالهم ما ينفعه الله به..
- أو يشفع فيه نبيُّه محمد ﷺ..
- أو يبتليه الله في الدنيا بمصائب تُكفِّر عنه..
- أو يبتليه في البرزخ بالصعقة فيكفِّر بها عنه..
- أو يبتليه في عرصات القيامة من أهوالها بما يُكفِّر عنه..
- أو يرحمه أرحم الراحمين..

❋ ❋ ❋

الليلة
١٧٠

وأعرض عن الجاهلين

الحِلْم: أن تصبر على الأذى دون ضعف منك ولا عجز؛ فلا تنتقم.. وكان من صفات النبي ﷺ؛ فقد أُوذي رسول الله ﷺ فقيل له: ألا تدعو على المشركين؟ فقال: «**إني لم أُبعث لعاناً، وإنما بُعثت رحمة**»[(١)].

ولما ضُرب وأوذي يوم الطائف؛ قال: «**اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**»[(٢)].

ولما اشتد عليه ﷺ أذى الكفار أرسل الله إليه جبريل ومعه مَلَكُ الجبال، فسلَّما عليه وقال ملك الجبال: مُرْني أُطْبق عليهم الأخشبين (وهما جبلان بطرفي مكة). فقال عليه الصلاة والسلام: «**بل أرجو أن يخرجَ من أصلابهم من يعبد الله**»[(٣)].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**وجبتْ محبة الله على من أُغضب فحلم**»[(٤)].

يروى أن رجلاً شتم عمرو بن عبيد وأفرط في الشتم، فصبر عليه حتى فرغ. وقال: آجَرَكَ الله على ما ذكرتَ من صواب، وغفر لك ما ذكرتَ من خطأ!..

بعض الناس يغضب في أدنىٰ الأمور وأوهى الأسباب، ولو علموا أن الحِلْم سيد الأخلاق، يُكمل صاحبه بجميل الخصال، ويحببه إلى الله تعالى، ويرفع قدره عند الناس.. لما عرفوا للغضب سبيلاً؛ ألم يقل الله

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه أحمد.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) رواه ابن عساكر.

تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٨].

شتم رجلٌ «الشعبيَّ» فقال: إن كنتُ كما قلتَ فغفر الله لي، وإن لم أكن فغفر الله لكَ!..

وقال آخر: ثلاثة لا يُعرَفون إلا في ثلاثة مواطن: لا يُعرفُ الجوادُ إلا في العُسْرَة، والشجاعُ إلا في الحرب، والحليمُ إلا في الغضب.

كان الأحنف بن قيس مشهوراً بين الناس بالحلم، فقيل له: ممن تعلمت الحِلم؟ فقال: من قيس بن عاصم. قيل: وما بلغ من حلمه؟ قال: بينما هو جالس في داره إذ أتته جاريةٌ له بسفود[١] عليه شواء، فسقط من يدها فوقع على ابن صغيرٍ له فمات، فدهشت الجارية.. فقال لها: لا تثريب عليك، أنتِ حرة لوجه الله.

يروى أن الحسن البصري بلَغَهُ أن شخصاً تطاول عليه وقال في حقه كذا وكذا، فأرسل الحسن البصري إلى ذاك الرجل طبقاً من الفاكهة، ومعه خطاب يقول فيه: لقد بلغني أنك قلت في شأني كذا وكذا.. وإني لا أستطيع أن أعطيك من حسناتي ما منحْتَني من حسناتك، فاقبل هذا الطبق جزاء جميل صنيعك معي.

فهل نستطيع أن نفعل فعل الحسن البصري مع العشرات من الناس ممن يغتابوننا ويرسلون إلينا حسناتهم وهم عنها غافلون؟!.

* * *

(١) **السفود**: عود من حديد يشوى عليه اللحم.

الليلة ١٧١

عبادة.. ويقين

● يقول أحد الصالحين:

علمتُ أن الله مطلعٌ عليَّ، فاستحييت.. (فإذا أردت أن تعصي الله فتذكر أن الله مراقبك ومطلع على ما تفعل).

وعلمتُ أن رزقي لا يأكله غيري، فاطمأننت.. (فليس عليك إلا أن تعمل بجد وإتقان، فالرزَّاق هو الله).

وعلمتُ أن عملي لا يعمله غيري، فاجتهدت.. (فلا يفيدك يوم القيامة إلا عملك، فتذكر ذلك الامتحان الرهيب).

وعلمتُ أن نهايتي إلى الموت، فاستعددت.. (فاعمل لآخرتك كأنك تموتُ غداً).

● سَلِ الله تعالى دوماً أن يتقبل عملك؛ فإن قَبِلَ عملك كنتَ من المتقين..

يقول أحدهم: لأن أعلمُ أن الله تقبَّلَ مني مثقال حبة من خردل من العبادة أحبُّ إليَّ من الدنيا وما فيها؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

● كانت مولاة لإبراهيم النخعي تعمد إلى اليوم الشديد الحرِّ فتصومه!.. فقيل لها: إنكِ تعمدينَ إلى أشدِّ الأيام حرّاً فتصومينه؟!..

فقالت: إنَّ السِّعر إذا رخُص اشتراه كلُّ أحد! وإذا كانت بضاعة الدنيا المتميزة هي الغالية السعر لا يقدر على شرائها إلا النذر القليل؛ فكيف ببضاعة الآخرة التي تهونُ عندها كلُّ الأثمان؟!.

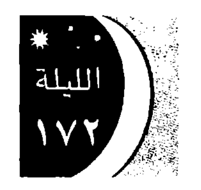
● يروى أن عُفَيْرة كانت قد تعبَّدت وبكت حتى عميَتْ، فقال أحدهم لصاحبه: ما أشدَّ العمى على مَنْ كان بصيراً!..

سمعت عفيرة هذا الكلام فقالت له: «يا عبد الله! عمىٰ القلب عن الله أشدُّ من عمى العين عن الدنيا.. والله وددتُ أن الله وهبَ لي كُنْهَ محبَّته.. وأنَّه لم تبق مني جارحةٌ إلا أخذها!..».

● وكانت امرأة عابدة من أهل الكوفة تقول: لو نادى منادٍ من السماء ليمُتْ أعظم الناس جُرْماً؛ لرأيتُ أن نفسي أول ذائقة للموت!..

* * *





أين يُحشر المتكبّرون؟

الكِبْر داء المتجبرين؛ يحجبُ به المتكبرُ عيوبَهُ ونقائصه عن الناس. .

يقول عليه الصلاة والسلام: «بينما رجل يمشي في حلَّة تعجبُهُ نفسُه، مُرجِّلٌ شعرَه، يختالُ في مشيته؛ إذ خسف الله به؛ فهو يتجلجلُ في الأرض إلى يوم القيامة»[(١)].

وأسوأ أنواع الكبر هو الكبر عن الحق. .

استكبر الكفار يوم دُعوا إلى الإسلام، فقال الله عنهم: ﴿إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ﴾ [غافر: ٥٦].

واستكبر إبليس عن السجود لآدم: ﴿ٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤].

وهو من أكبر الذنوب عند الله بعد الكفر؛ فقد قال عليه الصلاة والسلام: «لا يدخل الجنة إنسانٌ في قلبه مثقال حبة من خردل من كِبْر»[(٢)].

فهل تخيَّلْنا خطر هذا الذنب العظيم؟! أن يتكبَّر الإنسان ويستعلي على عباد الله، أن يتخذ لنفسه ألقاباً وعظمة؛ فلا يصل إليه إلا من يريد. .

يقول عليه الصلاة والسلام: «يُحشر المتكبّرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال؛ يغشاهُم الذل من كل مكان، فيساقون إلى سجن في جهنم يسمى (بولس)، تعلوهم نار الأنيار، يُسقوْن من عصارة أهل النار طينة الخبال»[(٣)].

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه أحمد، والترمذي، وقال: حسن صحيح.

فعلام تتكبر أيها الإنسان؛ وقد كنت تراباً يطؤه الناس، ثم صِرتَ نطفة مذرة، ثم تصير جيفة قذرة؟!.

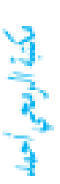
يقول عليه الصلاة والسلام: «يقول الله تعالى: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري؛ فمن نازعني واحداً منهما ألقيتُهُ في جهنم ولا أبالي»[١].

فالكبرياء والعظمة لا تليق إلا بالملك القادر، لا بالعبد العاجز!.

فإن أُعجب الإنسان بجماله فجماله ليس من صنعه..

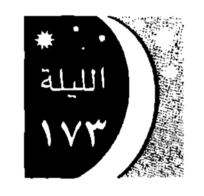
وإن أعجب بعلمه فعلمه ليس من وسعه..

وإن أعجب بماله وعزّه؛ فالدنيا لو كانت تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء..



❁ ❁ ❁

(١) رواه ومسلم.



رجل سقط من عين الله

● طلب الخليفة هشام بن عبد الملك ذات يوم أحد العلماء، فلما دخل عليه قال: السلام عليك يا هشام!.. ثم خلع نعليه، وجلس بجانبه!.. فغضب هشام وهمَّ بقتله.. ولما تحادثا وجَدَه عالِماً كبيراً؛ فلما انتهى الحديث عاتبه الخليفةُ بقوله:

لقد سمّيتني باسمي ولم تُكنني، أو تدعوني بالخلافة بأمير المؤمنين، وخلعتَ نعليك، وجلستَ بجانبي؛ فلِمَ فعلتَ ذلك؟.

قال العالِم: لم أدْعُك بالخلافة لأن الناس لم ينتخبوك كلهم..

وسمَّيتُك ولم أكنِّكَ لأن الله **نادى الأنبياءَ بأسمائهم** (يا عيسى.. يا إبراهيم...)، **وكنّى عدوَّه** فقال: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾!..

وخلعتُ نعلي بجانبك، وأنا **أخلعهما عندما أدخل بيوت الله فلا** يغضبُ عليَّ الله!..

وجلستُ بجانبك؛ لأني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سرَّه أن يَمْثُل له الرجال قياماً (أي: يقفون أمامه وهو جالس) فليتبوأ مقعده من النار»[1] فكرهتُ لك النار..

فأمر له الخليفة بمال، فأباه وانصرف..

فلماذا التكبر على الناس؟! ولماذا نُبهَرُ بالمتكبرين؟!.

● يروى أن أحد الأمراء مرَّ بموكبه؛ الأمير على جواده، وحوله الجنود والزينات.. واصطف الناس يحيونه، والغرباء يقولون: مَنْ هذا؟ مَنْ هذا؟..

---

(١) رواه أحمد.

فقالت امرأة: هذا رجل سقط من عين الله، فعاقَبَه بما ترَوْن!..

● يقول ابن المبارك: رأس التواضع أن تضع نفسك (أي: تتواضع) عند من هو دونك في نعمة الدنيا، حتى تُعلمه أن ليس لك بدنياك عليه فضل، وأن ترفع نفسك عمن هو فوقك في الدنيا حتى تعلمه أنه ليس له بدنياه عليك فضل.

قال الشاعر:

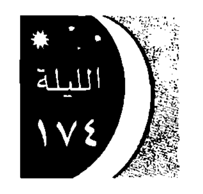
وأقبحُ شيءٍ أن يرى المرءُ نفسَهُ　　　رفيعاً وهو عند الله وضيعُ

تواضعْ تَكن كالنجم لاحَ لناظرٍ　　　على صفحات الماء وهو رفيعُ

ولا تكُ كالدخان يعلو بنفسهِ　　　على طبقات الجو وهو وضيعُ

فهل تريد أن تكون نجماً لامعاً، أم دخاناً ضائعاً؟..





وبشّر الصابرين

يقول الحق جلَّ في علاه في الذين أصابتهم مصيبة.. فقالوا: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٦].

والصبر عند الصدمة الأولى كما يقول الحبيب المصطفى ﷺ، وهو ركن حصين يبدد الأحزان ويزيل الهموم، ناهيك بعِظم ثواب الصابرين.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [الزمر: ١٠]، بغير حساب.. أجل؛ وهل هناك أجمل من ذلك الجزاء؟! قال تعالى: ﴿وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٦].

سئل رسول الله ﷺ: ما الإيمان؟ قال: «**الصبر والسماحة وحسن الخُلق**»[1].

وقال علي رضي الله عنه للأشعث بن قيس: إن صبرتَ جرى عليك القلمُ وأنت مأجور.. وإن جزعتَ جرى عليك القلمُ وأنت مأزور (أي: آثم).

فالمصيبة ـ كما يقول ابن المبارك ـ واحدة؛ فإذا جزع صاحبها فهما اثنتان: المصيبة، وذهاب الأجر!..

يقول عليه الصلاة والسلام: «**من أصيب بمصيبة في ماله أو جسده وكتمها، ولم يشكُها إلى الناس؛ كان حقّاً على الله أن يغفر له**»[2].

حكي أن أعرابية دخلت من البادية فسمعت صُراخاً في دارٍ، فقالت:

---

(١) رواه أحمد.

(٢) رواه الطبراني، وقال المنذري: لا بأس بإسناده.

ما هذا؟ فقيل لها: مات لهم إنسان! فقالت: ما أراهم إلا من ربهم يستغيثون، وبقضائه يتبرَّمون، وعن ثوابه يرغبون!..

ولله در الشاعر الذي يقول:

إذا بُليتَ فثقْ بالله وارضَ بهِ | إن الذي يكشفُ البلوى هو اللهُ

إذا قضى اللهُ فاستسلمْ لقدرته | ما لامرئٍ حيلةٌ فيما قضى اللهُ

اليأسُ يقطع أحياناً بصاحبه | لا تيئسنَّ فإن الصانعَ اللهُ

ويقول إبراهيم بن العباس:

ولرُبَّ نازلةٍ يضيقُ بها الفتى | ذرعاً وعند الله منها المخرجُ

ضاقتْ فلما استحكمتْ حلقاتُها | فُرجتْ وكان بظنِّهِ لا تُفرجُ

ولو أن الناس أدركوا أن متاعب الحياة وهمومها ما هي إلا جراحٌ لا بدَّ لها من أيام، بل ربما أسابيع أو شهور حتى تندمل وتشفى؛ لصبروا واحتسبوا الأجر من الله وكانوا من الفائزين.

* * *



رسالة لمن في الستين والسبعين (١)

قال الحسن البصري: «يا بن آدم! إنما أنت أيام مجموعة، كلما ذهب يوم؛ ذهب بعضك».

فكم من أعمار ضاعت وضاع أصحابها!..

وكم من أعمار انقضت قبل أن تنقضي آمال أصحابها!..

وكم من أعمار عاشها أصحابها بغير غاية!..

وكم من أعمار انقضت في غير طاعة الله تعالى!..

وفي طول العمر قيام لحجة الله على العبد.

نعم.. كلما امتدت أيامك؛ ازدادت حجة الله تعالى عليك.

كثير أولئك الذين غفلوا عن هذا المعنى وهم في حمأة الحياة، وصراع البقاء.

قال رسول الله ﷺ: «**من عمّر من أمتي سبعين سنة؛ فقد أعذر الله إليه في العمر**»[1].

قال قتادة: اعلموا أن طول العمر حجة، فنعوذ بالله أن نعيَّر بطول العمر، ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ [فاطر: ٣٧]، ومَثَلُ هذا كمثل من يُودِعُ في رصيده كل يوم مبلغاً من المال؛ يسرُّه أن يدوم له ذلك؛ حتى يكثر ماله؛ فإذا كان هذا حال من أودع في رصيده الفاني؛ فأين هذا من سرور من أودع في رصيد آخرته؛ ذلك الرصيد الخالد؟!..

---

(١) رواه الحاكم. انظر: صحيح الترغيب، للألباني: (٣٣٦٠).

قال رسول الله ﷺ: «**ألا أنبئكم بخيركم؟**» قالوا: نعم. قال: «**خياركم أطولكم أعماراً، وأحسنكم أعمالاً**»[١].

دخل سليمان بن عبد الملك مسجد دمشق، فرأى شيخاً يزحف، فقال: يا شيخ، أيسرُّك أن تموت؟! قال: لا! قال: ولِمَ، وقد بلغت من السن ما أرى؟!..

قال: ذهب الشباب وشرُّه، وبقي الكِبَرُ وخيرُه، إذا أنا قعدتُ ذكرتُ الله، وإذا قمت حمدتُ الله، فأحبُّ أن تدوم لي هاتان الخصلتان!.

وقيل لشيخ: كم أتى عليك؟ فقال: عشر سنين! قيل: وكيف وأنت شيخ كبير؟! قال: أنا منذ عشر سنين من التوابين!..

فكم من كبير أضاع ساعات العمر في الجلوس أمام شاشة التلفاز؛ هاجراً لنداء الله إلى الصلاة؟!.

وكم من كبير أضاع ساعات الليل في السهر العقيم، والقيل والقال؟!..

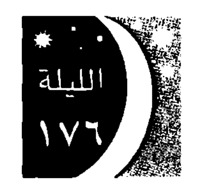
وكم من كبير أضاع ساعات النهار مع أصدقاء السوء؛ غادياً أو رائحاً؟!.

وهناك صنف آخر أضاع العمر في المكاسب والسعي خلف الرزق؛ فتراه مشغولاً بأمر أولاده، غير ملتفت إلى شأنه؛ حتى يفجأه الموت بكأسه، فيترك خلفه ما لغيره غُنْمه وعليه غُرْمه!..

* * *

---

(١) رواه أحمد، وابن حبان، والبيهقي. انظر: صحيح الترغيب: (٣٣٦١).



رسالة لمن في الستين والسبعين (٢)

قال أبو حازم: «الناس عاملان: عامل في الدنيا للدنيا، قد شغلتْهُ دنياهُ عن آخرته، يخشى على أولاده الفقرَ، فيفني عمره في بغية غيره! وعاملٌ في الدنيا لما بعدها، فجاءه بالعمل نصيبه من الدنيا، فأصبح عزيزاً عند الله، لا يسأل الله شيئاً فيمنعه»..

فعجباً لك أيها الساعي لبنيان دنياه! هلاّ سعيت إلى بنيان آخرتك؟!..

يا عامرَ الدُّنيا على شَيْبه ... فيك أعَاجيبُ لمن يعجبُ
ما عذرُ من يعمُرُ بنيانَهُ ... وجسمُهُ منهدمٌ يَخْربُ

فيا أيها الممدود له في عمره: ها أنت تبصر رحيل الناس صغارهم وكبارهم.. نعم، إن الموت لا يميّز بين الصغير والكبير، ولكنه إلى الكبير أقرب! لذلك قال رسول الله ﷺ: «**أعمار أمتي بين الستين إلى السبعين، وأقلُّهم من يجوز ذلك**»[١].

احرص على الازدياد من النوافل؛ فإنك في عمر ينبغي أن تبادر فيه إلى الصالحات، وأن تأخذ منها بأكبر نصيب..

حاول أن تبكر في الحضور إلى المسجد، وأنْعِمْ بها إن عوّدتَ نفسك أن تكون أول الناس حضوراً، وآخرهم انصرافاً..

وفي حضورك المبكر إلى المسجد؛ أكْثِر من صلاة النافلة، وقراءة كتاب الله تعالى.. وافعل ذلك أيضاً بعد الصلاة، إلا أن يكون من الأوقات التي نُهي عن الصلاة فيها؛ فزد عندها من وِرْدك من القرآن..

---

(١) رواه الترمذي، وابن ماجه. انظر: صحيح الترمذي، للألباني: (٣٥٥٠).

لا تجالس إلا من ينفعك في دينك، واحذر المجالس التي يكثر فيها اللغو والرفث.. وإن جلست في مجلس؛ وأحسست أن أهله في غفلة؛ فبادر إلى القيام، ولا تستوحش ذلك؛ فإنك إن امتلأ قلبك بحب الطاعات؛ وجدت من الأنس والراحة ما تقرّ به عينك!..

وبما أن غالب الشواغل تكون في البيوت؛ فاحرص على ملء فراغك في البيت، ويكون ذلك بوسائل متعددة: كالتنفّل بالصلاة، وقراءة القرآن، وقراءة المفيد من الكتب، واستماع الأشرطة المفيدة، ومحادثة الأبناء فيما ينفع... فالبيت إذا أحسن الفرد ترشيد طاقاته فيما هو نافعٌ؛ تحوّل إلى مدرسة عظيمة تتخرج منها الأجيال الناجحة..

ومن داخل بيتك يمكنك محادثة ذوي أرحامك، وتفقد أحوالهم عبر الهاتف[١].

أعرف رجلاً مسنّاً يعشق الشيشة (النارجيلة)، ويهوى الطرب، أوصى أبناءه قائلاً: إن أنا متُّ فأنزلوا في قبري الشيشة والعودَ الذي أعزفُ عليه!..

اللهمَّ إنا نسألك حسن الختام.

* * *

(١) من بلغ الستين والسبعين، أزهري أحمد محمود، (بتصرف).

الليلة ١٧٧

عجِّل.. فالباب مفتوح

● قال لي صاحب: ذات يوم قلَّبتُ أوراقي، فإذا بتلك المفاجأة العظيمة.. نعم والله إنها لعظيمة..

عامٌ كاملٌ من عمري مضى، وما أعلم أنه انقضى إلا في ضياع وانحراف.. فاعتلجني شعورٌ قلبيٌّ هزَّني كأنه صاعقةٌ عظيمة.. ارتجفتْ أعضائي، واهتزَّ كياني حينما علمتُ أن عاماً كاملاً مضى من عمري ما تزودتُ فيه لقبري..

اعتصر القلبُ حسرةً، وما تمالكت نفسي إلا ودمعةٌ حرّى تنحدرُ على خدي حزناً على التفريط: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

إن للسيئة سواداً في الوجه، وظلمةً في القلب والقبر، ووهناً في البدن، ونقصاً في الرزق، وبغضاً في قلوب الخلق..

وإن للحسنة ضياءً في الوجه، ونوراً في القلب، وسعة في الرزق، وقوة في البدن، ومحبة في قلوب الخلق[١]..

إذا أذنبت فتذكّر قول الشاعر:

إذا ما خلوتَ الدهرَ يوماً فلا تقلْ خلوتُ ولكن قل عليَّ رقيبُ
ولا تحسبنَّ الله يغفلُ ساعةً ولا أنَّ ما تُخفي عليهِ يغيبُ

● كان الفضيل بن عياض قاطعاً للطريق، وكان يتعشقُ جاريةً، فبينما هو ذات ليلة يتسورُ عليها الجدار إذ سمع قارئاً يقرأ قول الله ﷻ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ

---

(١) التوبة سبيل النجاة، محمد بن سرار اليامي، (بتصرف).

﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦].. فأطرق ملياً.. ثم تذكر غدراته وذنوبه؛ تذكر إسرافه ومعاصيه.. فما كان منه إلا أن ذرف دموع التوبة من عينٍ ملؤها اليقينُ برحمة الله، فتاب وأقلع عما كان عليه، حتى أصبح من أهل الخير والصلاح في زمنه.

يقول الشاعر:

واتق الله فتقوى الله ما … جاورتْ قلبَ امرئٍ إلا وصل

ليس من يقطعُ طُرقاً بطلاً … إنما من يتقِ اللهَ البطل

● نداءٌ لمن تأخر عن الركب، ولا يزال يرى القافلةَ تسيرُ إلى الخير.. هل من مشمر قبل الندم والبكاء؟! فالله ﷻ يقول: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ [النور: ٣١]، فهل من مجيب؟! ويقول: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ [الزمر: ٥٣] فهل لنا أن نتوب؟!..

عجّل.. فالبابُ مفتوح، وَرُبَّ متمهل فاتتهُ حاجتهُ..

ورحم الله من قال:

قبورنا تُبنَى ونحنُ ما تُبنا … يا ليتنا تُبنا من قبل ما تبنى

* * *

الليلة ١٧٨

حِكمٌ عظيمة

● قال لقمان الحكيم: صَحِبتُ الأنبياء فاستفدتُ منهم ثماني كلمات:

الأربعة الأولى:

إذا كنتَ في الصلاة فاحفظ قلبك..

وإذا كنتَ عند الناس فاحفظ عينك..

وإذا كنتَ في المجلس فاحفظ لسانك..

وإذا كنتَ على الطعام فاحفظ بطنك..

والأربعة الثانية:

اثنتان لا تنساهما أبداً: ذكْرُ الله والموت..

واثنتان لا تذكرهما أبداً: إحسانك إلى الناس، وإساءة الناس إليك!.



● ويقول أحد الحكماء:

ذقتُ الطيباتِ كلَّها؛ فلم أجد أطيبَ من العافية..

وذقتُ المراراتِ كلَّها؛ فلم أجد أمرَّ من الحاجة إلى الناس..

وحملتُ الصخر والحديد؛ فلم أجد أثقلَ من الدَّيْن..

ولو سُئلتُ عمن هو أثقل من الأرض والجبال؛ لقلتُ: تهمةُ البريء..

● يروى أن عيسى عليه السلام قال: لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله؛ فتقسو قلوبكم؛ فإن القلب القاسي بعيد عن الله ولكن لا تعلمون.. ولا تنظروا إلى ذنوب الناس كأنكم أرباب، وانظروا إلى ذنوبكم كأنكم عبيد؛ فإنما الناس

مبتلى ومعافى؛ فارحموا أهل البلاء، واحمدوا الله على العافية!.

● كان أحد الحكماء يعلِّم الناس هذه الكلمات:

مَنْ ليس له حِلمٌ فليس له عزٌّ في الدنيا والآخرة..

ومَنْ ليس له صبرٌ فليس له سلامة في دينه..

ومَنْ كان جاهلاً لم ينتفع بعلمه..

ومَنْ لا تقوى له فما له عند الله كرامة..

ومَنْ لا سخاء له فما له من ماله نصيب..

ومن لا نصيحة له فما له عند الله حُجَّة..

● ويقول أحدهم:

أربعة لا تُعرَفُ إلا عند أربعة:

لا يُعرفُ الشجاع إلا عند الحرب..

ولا الحليم إلا عند الغضب..

ولا الأمين إلا عند الأخذ والعطاء..

ولا الإخوان إلا عند النوائب..

* * *

الليلة
١٧٩

أغمض عينيك وتخيّل

● تخيّل نفسك: أنه قد نودي عليك يوم القيامة لتقف بين يدي الله في المحكمة الإلٰهية الكبرى؛ تُعرَضُ أعمالُكَ على الخالق الجبار، تُفتَح صحائفك، وتتكشفُ الذنوبُ والمعاصي؛ قد فعلتَ كذا يوم كذا، عصْيتَ ربك، وأطعتَ شيطانكَ.. هويتَ وغويتَ، وفعلتَ من الذنوب والسيئات ما لا يُعد ولا يحصى.

ترى الجنة أمامك، والفائزون يرفلون في النعيم، وترى النار أمامك، وأهلها يصطرخون..

تتوسل إلى الله تبارك في علاه أن يغفر ذنوبك، ويستر معاصيك.. تدعوه وتدعوه، وتسأله أن يعطيك فرصة أخرى لتكون من عباده المخلصين..

ويستجيب الله تعالى لذلك الدعاء؛ تفتح عينيك لتجد أن الله قد أعطاك فرصة أخرى كي تعود إليه.. أنتَ ما زلت في الحياة الدنيا، وبإمكانك أن تتوب.. بإمكانك أن تُحسن العمل مع الله؛ هو مشتاق إليك أن تعود إليه؛ يغفر لك من ذنوبك ما قدَّمتْ؛ فماذا أنتَ فاعل؟[١].

● قال مالك بن دينار:

ما أحببتَ أن يكون معك في الآخرة فقدِّمه اليوم.. (طاعات، وإحسان، وصدقات).

وما كرهتَ أن يكون معك في الآخرة فاتركه اليوم.. (ذنوب، ومعاصٍ، وآهات).

---

(١) روِّض النمر الذي بداخلك، (بتصرف).

● **ما هو حق التقوى؟:**

سُئل ابن عباس رضي الله عنهما عن معنى ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، فقال: هو أن يُطاع فلا يُعصى، ويُشكَر فلا يُكفَر، ويُذكَر فلا يُنسى...

ومن أجمل تعاريف التقوى قول عليٍّ رضي الله عنه:

التقوى هي: الخوفُ من الجليل، والعملُ بالتنزيل، والقناعةُ بالقليل، والاستعدادُ ليوم الرحيل..

فاسألوا الله حقَّ التقوى؛ تبلغوا الفردوس الأعلى..

❊ ❊ ❊





ثلاثون عاماً بثماني مسائل

حكي أن حاتماً الأصم كان تلميذاً لشقيق البلخي؛ سأله أستاذه يوماً: منذ كم صحبتني؟..

قال: منذ ثلاث وثلاثين سنة.

قال: فما تعلمتَ مني في هذه المدة؟.

قال حاتم: ثماني مسائل!..

قال شقيق: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾! ذهب عمري معك ولم تتعلم إلا ثماني مسائل! فما هي؟.

قال حاتم:

الأولى: نظرتُ إلى الخلْق؛ فرأيتُ كل واحد يحب شيئاً فلا يزال محبوبه معه؛ فإذا ذهب إلى قبره فارق محبوبه! فجعلتُ الحسناتِ محبوبي؛ فإذا دخلتُ قبري دخل محبوبي معي.

قال: أحسنتَ..

الثانية: نظرتُ في قول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠ ـ ٤١]؛ فعلمتُ أن قول الله حق، فأجهدتُ نفسي في محاربة الهوى، حتى استقرتْ على طاعة الله.

الثالثة: إني نظرتُ إلى هذا الخلق؛ فرأيتُ كل مَنْ معه شيءٌ ذو قيمة؛ يخاف عليه ويحافظ عليه، ثم نظرتُ في قوله تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦].. فكنتُ كلما حصلتُ على شيء له قيمة، وجَّهتُه في سبيل الله تعالى لكي يبقى لي عنده.

الرابعة: نظرتُ إلى هذا الخلْق؛ فرأيتُ الناس يتمايزون بالمال والحسب والنسب، ونظرتُ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].. فلجأتُ إلى التقوى حتى أكون عند الله كريماً.

الخامسة: نظرتُ في هذا الخلق؛ فوجدت بعضهم يطعن في بعض، فعلمتُ أن أصل ذلك كله هو الحسد.. ونظرتُ في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الزخرف: ٣٢]؛ فتركتُ الحسد، وأيقنتُ أن الذي قُسِمَ لي كائنٌ لا بدَّ منه.

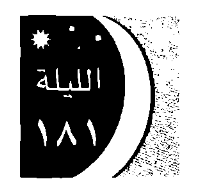
السادسة: نظرتُ إلى هذا الخلْق يعادي بعضهم بعضاً، وتذكرتُ قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦].. فعاديْتُه وأحببتُ الناس.

السابعة: نظرتُ إلىٰ الخلق؛ فوجدتُهم يطلبون الكثرة، ويُذِلُّون أنفسهم بسببها، ثم نظرتُ إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]، فعلمتُ أني من جملة المرزوقين، فاشتغلتُ بالله ﷻ وتركتُ ما سواه..

الثامنة: نظرتُ إلى هذا الخلق؛ فرأيتُهم يتوكلُ بعضهم على بعض؛ فهذا يتوكل على تجارته، وآخرُ على صنعته، وكل مخلوق يتوكل على مخلوق.. فرجعتُ إلى قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]؛ فتوكلتُ على الله..

قال شقيق: وفقك الله يا حاتم! فلقد جمعت الأمور كلها..

* * *



هل نحن مستعدون؟

هل نحن مستعدون للقاء الله؟ . .

سؤال ينبغي أن نطرحه على أنفسنا كل يوم، يقول الشيخ علي الطنطاوي رَحِمَهُ اللَّهُ:

«اذكروا الموت لتستعينوا بذكره على قسوة قلوبكم . .

اذكروه لتستعدوا له؛ فإن الدنيا كفندق نزلتَ فيه؛ أنت في كل لحظة مدعوٌّ للسفر، لا تدري متى تُدعى . .

فإن كنتَ مستعداً: حقائبك مغلقة، وأشياؤك مربوطة؛ لبَّيْتَ وسِرْتَ . . . وإن كانت ثيابك مفرَّقة، وحقائبك مفتوحة؛ ذهبتَ بلا زاد ولا ثياب.

لا تقل: أنا شاب . . ولا تقل: أنا عظيم . . ولا تقل: أنا غني . .

فإن عزرائيل إن جاء بمهمته لا يعرف شابّاً ولا شيخاً، ولا عظيماً ولا حقيراً، ولا غنيّاً ولا فقيراً».

وهذا شاب كان يقف مع فتاة بالشارع، أتاه من ينصحه فهربتِ الفتاة . . وأخذ الناصح يذكّره بالموت وفجأته، والساعة وهولها، فإذا به يبكي . . يقول الداعية: فلما انتهيتُ من الحديث أخذتُ رقم هاتفه وأعطيتُه رقمي، ثم افترقنا . . .

وبعد أسبوعين كنت أقلّب في أوراقي فوجدتُ رقمه . . اتصلت عليه في الصباح مسلّماً وسألته: يا فلان أتعرفني؟ فقال: وكيف لا أعرف الصوت الذي كان سبباً في هدايتي؟! . .

فقلتُ: الحمد الله، كيف حالك؟ فقال: منذ تلك الكلمات وأنا في سعادة واطمئنان؛ أصلي وأذكر الله تعالى..

فقلتُ: لا بد أن أزورك اليوم وسآتيك بعد العصر، قال: حيّاك الله..

وعندما حان الموعد جاءني ضيوف فأخَّروني إلى الليل، ولكني قلت: لا بد أن أزوره..

طرقت الباب فخرج لي شيخ كبير، فقلت له: أين فلان؟ قال: من تريد؟.

قلت: فلان..

قال: قد دفناه في المقبرة قبل ساعات!..

قلت: لا يمكن.. فقد كلّمتُه اليومَ في الصباح!..

قال: لقد صلّى الظهر ثم نام، وقال: أيقظوني لصلاة العصر.. فجئنا نوقظه وإذا هو جثة هامدة؛ قد فاضت روحه إلى بارئها.

يقول: فبكيت..

قال: من أنت؟.

قلتُ: تعرّفت على ابنك قبل أسبوعين...

قال: أنت الذي كلّمتَه؟.. أنت الذي اهتدى ابني على يديه؟.. دعني أقبّل رأسك، دعني أقبّل الرأس الذي أنقذ ابني من النار.. فقبَّل رأسي.

والحمد لله رب العالمين

المراجع

١ ـ د. خالد عمر الدسوقي: **بواعث السرور**، مكتبة ألف، الجيزة، ٢٠٠٥م.

٢ ـ فيصل قائد الحاشري: **جفاف المشاعر**، دار الإيمان، الإسكندرية.

٣ ـ وفاء محمد مصطفى: **روِّض النمر الذي بداخلك**، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٨م.

٤ ـ محمد صديق المنشاوي: **الزهاد مئة**، دار الفضيلة، القاهرة.

٥ ـ محمد بن رياض الأحمد: **العفاف**، عالم الكتب، بيروت، ٢٠٠٤م.

٦ ـ عبد الكريم عكاش: **سمير المؤمنين**، دار المحبة، دمشق، ٢٠٠٦م.

٧ ـ عبد الرحمن بكر: **قصص أذهلتني**، دار اليقين، المنصورة، ٢٠٠٧م.

٨ ـ د. عبد الرحمن رأفت الباشا: **صور من حياة التابعين**، دار الأدب الإسلامي، ١٩٩٧م.

٩ ـ د. رضا ديب عواضة: **سنابل الحكمة**، رشاد برس، بيروت.

١٠ ـ محمد أبو السعود: **خواطر الفجر**، شروق للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤م.

١١ ـ أحمد الشقيري: **خواطر شاب**، العبيكان، الرياض، ٢٠٠٧م.

١٢ ـ د. جاسم محمد مهلهل الياسين: **الكشكول**، مؤسسة الريان، بيروت، ٢٠٠٧م.

١٣ ـ عبد الرحمن بن علي الدوسري: **سيدي كيف؟**، دار طويق، الرياض، ٢٠٠٨م.

١٤ ـ ناجي الطنطاوي: **كلمات نافعة**، دار المنارة، جدة، ١٩٨٨م.

١٥ ـ محمد عبد العاطي بحيري: **صفقات غالية**، المكتبة التوفيقية، القاهرة.

١٦ ـ محمد الصائغ: **قطوف إسلامية**، ١٩٩٩م.

١٧ ـ بدوي محمود الشيخ: **رياض الصالحات**، دار السلام، القاهرة، ٢٠٠٦م.

١٨ ـ سعيد عبد العظيم: **هيا بنا نؤمن ساعة**، دار الإيمان، الإسكندرية.

١٩ ـ أسامة نعيم مصطفى: **أنيس المؤمنين**، دار النفائس، عمان، ٢٠٠٤م.

٢٠ ـ د. محمد فائز المط: **من كنوز الإسلام**، دار البشير، عمّان، ١٩٨٧م.

٢١ ـ محمد خالد ثابت: **الرضا راحة الطائعين**، دار المعظم، القاهرة، ٢٠٠٤م.

٢٢ ـ عبد الله بن سعيد الحقباني: **كلام أعجبني**، الرياض، ١٩٩٨م.

٢٣ ـ د. محمد عبد الرحمن العريفي: **استمتع بحياتك**، دار الحميد، الرياض. ١٤٢٧هـ.

٢٤ ـ إبراهيم الألمعي: **روائع الطنطاوي**، دار المنارة، جدة.

٢٥ ـ عبد الله محمد الداوود: **متعة الحديث**، الرياض.

٢٦ ـ د. شاكر مصطفى: **١٠٠ من معارك الجهاد في الإسلام**، دار طلاس، دمشق.

٢٧ ـ محمد أنور وردة: **يحكىٰ أن..**؛ دار غار حراء، دمشق.

٢٨ ـ خالد أحمد أبو شادي: **سباق نحو الجنان**، دار البشير، طنطا.

٢٩ ـ محمد خالد ثابت: **مدارس الحب مصانع الرجال**، المقطم للنشر، القاهرة.

٣٠ ـ د. مصطفى السباعي: **دروس من الحياة**، دار الوراق، بيروت.

٣١ ـ د. عبد الله بهجت وإيمان كردي: **الاستثمار الأمثل**.

٣٢ ـ محمد بن موسى الشريف: **الحب في القرآن**، القاهرة، دار المعارف.

٣٣ ـ ربيع حسن كوكة: **المسؤولية عن برِّ الوالدين**، دار الرضوان، حلب.

٣٤ ـ حسن محمد صديق: **من واقع الحياة**، دار ابن حزم، القاهرة.

* * *

مؤلفات الدكتور حسَّان شمسي باشا

ألَّف أكثر من خمسين كتاباً، ثلاثة منها في أمراض القلب باللغة الإنجليزية، هي:

١ ـ Hope Heartcare Handbook.

٢ ـ Handbook of Coronary Care.

٣ ـ Patients Guidelines to Heart Disease. (بالاشتراك مع الدكتور فواز الأخرس).

والباقي باللغة العربية، وهي:

● في أمراض القلب:

١ ـ كيف تقي نفسك من أمراض القلب؟ (الطبعة الخامسة).

٢ ـ ارتفاع ضغط الدم (الطبعة الخامسة).

٣ ـ الدهون.. والكولسترول.. والقلب (الطبعة السادسة).

٤ ـ قلبك بين الصحة والمرض (الطبعة الثانية).

٥ ـ دليلك إلى عمليات القلب الجراحية، بالاشتراك مع الدكتور وليد أبو خضير والدكتور عبد الله عشميق (الطبعة الثانية).

٦ ـ دليلك إلى القسطرة القلبية، بالاشتراك مع الدكتور خالد الشيبي والدكتور وقار حبيب (الطبعة الثالثة).

٧ ـ دليلك إلى كهربائية القلب، بالاشتراك مع الدكتور فائز بخاري والدكتور رائد سويدان (الطبعة الثالثة).

٨ ـ الوقاية من أمراض القلب، بالاشتراك مع البروفسور منصور النزهة (كتيب المجلة العربية، العدد الخامس والثلاثون، فبراير ٢٠٠٠م).

٩ ـ الوقاية من الحمى الروماتيزمية.

١٠ ـ الوقاية من أمراض شرايين القلب التاجية.

● في الصحة العامة:

١ ـ وصايا طبيب (الطبعة الرابعة).

٢ ـ شبابك كيف تحافظ عليه.

٣ ـ صحتك بين الحقائق والأوهام.

٤ ـ كيف تتخلَّص من الصداع؟ (الطبعة الثانية).

٥ ـ كيف تتخلَّص من الإمساك؟ (الطبعة الثانية).

٦ ـ أطباء الغرب يحذِّرون من شرب الخمر.

٧ ـ القهوة والشاي: فوائدها وأضرارها (الطبعة الثالثة).

٨ ـ الميلاتونين: هل هو الدواء السحري؟.

٩ ـ القشرة والصلع والشيب والحناء.

١٠ ـ حذار حذار من هذه الكتب.

● **في الطب النبوي:**

١ ـ قبسات من الطب النبوي والأدلة العلمية الحديثة (الطبعة الثانية).

٢ ـ زيت الزيتون بين الطب والقرآن (الطبعة الرابعة).

٣ ـ الأسرار الطبية الحديثة في السمك والحوت (الطبعة الثالثة).

٤ ـ النوم والأرق والأحلام.. بين الطب والقرآن (الطبعة الثالثة).

٥ ـ الأسودان: التمر والماء (الطبعة الرابعة).

٦ ـ الإعجاز الطبي في القرآن والسنَّة، كتيب المجلة العربية، العدد (٩٤)، ديسمبر ٢٠٠٤م.

٧ ـ معجزة الاستشفاء بالعسل والغذاء الملكي (الطبعة السادسة).

٨ ـ الشفاء بالحبة السوداء بين الإعجاز النبوي والطب الحديث (الطبعة السادسة).

٩ ـ الأسرار الطبية الحديثة في الثوم والبصل (الطبعة الرابعة).

١٠ ـ الرضاعة من لبن الأم (الطبعة الثانية).

١١ ـ أسرار الختان تتجلى في الطب الحديث (الطبعة الثانية).

١٢ ـ الطب النبوي بين العلم والإعجاز (الطبعة الثالثة).

● **قضايا طبية فقهية:**

١ ـ الدليل الطبي والفقهي للمريض في شهر الصيام.

٢ ـ الصوم بين الفقه والطب، بالاشتراك مع الدكتور محمد علي البار.

٣ ـ صحتك في الحج والعمرة (الطبعة الثانية).

٤ ـ صوموا تصحوا (الطبعة الثانية).

٥ ـ رمضان بين يديك (بالاشتراك مع عدد من المؤلفين) دار العلوم، عمّان.

● أخلاقيات الطب:

١ ـ مسؤولية الطبيب بين الفقه والقانون، بالاشتراك مع الدكتور محمد علي البار (الطبعة الثانية).

٢ ـ الرعاية الصحية.. مشاكل وحلول، بالاشتراك مع الدكتور محمد علي البار والبروفسور عدنان أحمد البار.

٣ ـ أخلاقيات البحوث الطبية، بالاشتراك مع الدكتور محمد علي البار.

● في الأدب والتاريخ:

١ ـ هكذا كانوا يوم كنا (الطبعة الثانية).

٢ ـ الداء والدواء بين الأطباء والأدباء (الطبعة الثانية).

● في التربية والسلوك:

١ ـ أسعد نفسك وأسعد الآخرين (الطبعة السادسة).

٢ ـ كيف تربي أبناءك في هذا الزمان؟ (الطبعة السادسة).

٣ ـ همسة في أذن شاب (الطبعة العاشرة).

٤ ـ همسة في أذن فتاة (الطبعة العاشرة).

● إسلاميات:

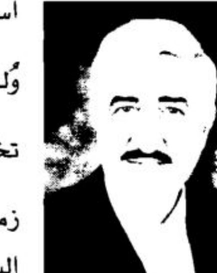
١ ـ سهرة عائلية في رياض الجنة.

٢ ـ عندما يحلو المساء.

هذا إضافة إلى أكثر من سبعين بحثاً طبيّاً في أمراض القلب نشرت في المجلات الطبية الأمريكية والأوروبية، كما نشرت له مئات المقالات في المجلاّت والصحف العربية.

* * *

الدكتور حسّان بن وصفي شمسي باشا



استشاري أمراض القلب في مستشفى الملك فهد للقوات المسلحة بجدة.

وُلد في حمص عام ١٩٥١م، وتخرج من كلية الطب في حلب عام ١٩٧٥م.

تخصص في بريطانيا بأمراض القلب، وعمل هناك أكثر من عشر سنين.

زميل الجمعية الأمريكية لأطباء القلب، عضو جمعية أمراض القلب البريطانية، زميل الجمعية العالمية لأمراض الأوعية الدموية، عضو الجمعية الأمريكية لأطباء العناية المركزة، عضو جمعية التغذية البريطانية.



خبير في مجمع الفقه الإسلامي الدولي.

مستشار محكّم لدى عدد من المجلات الطبية.

أُدخل في موسوعة Who is Who لمشاهير الأطباء في العالم عام ٢٠٠١م.

أُدخل في موسوعة Who is Who للمشاهير في العالم لعام ٢٠٠٢م.

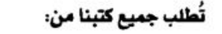


ألّف أكثر من ٥٠ كتاباً، ثلاثة منها في أمراض القلب باللغة الإنجليزية.

له عدد من البرامج في الفضائيات العربية.







تُطلب جميع كتبنا من:

دار القلم ـ دمشق

هاتف: ٢٢٢٩١٧٧ فاكس: ٢٢٥٥٧٣٨ ص.ب: ٤٥٢٣

www.alkalam-sy.com

الدار الشامية ـ بيروت

هاتف: ٨٥٧٢٢٢ (٠١) فاكس: ٨٥٧٤٤٤ (٠١)

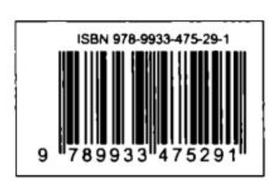
ص.ب: ١١٣/٦٥٠١

توزّع جميع كتبنا في السعودية عن طريق:

دار البشير ـ جدّة

٢١٤٦١ ص.ب: ٢٨٩٥ هاتف: ٦٦٠٨٩٠٤ / ٦٦٥٧٦٢١





ISBN 978-9933-475-29-1

9 789933 475291